نَحـوُ النــص

(دراسة تطبيقيّة على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)

إعداد

عثمان حسين مسلم أبو زنيد

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

المشرف

الأستاذ الدكتور نهاد الموسى

المشرف المشارك

الأستاذ الدكتور جاسر أبو صفيّة

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربيّة وآدابها

كليّة الدراسات العليا

الجامعة الأردنيّة

نيسان، ٢٠٠٤

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (نحو النص: دراسة تطبيقيّة على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة) وأُجيزت بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٢٨

أعضاء لجنة المناقشة **التوقيع**

الأستاذ الدكتور نهاد الموسى، مشرفاً ورئيساً
أستاذ العربية واللسانيات العربية .....

الأستاذ الدكتور جاسر أبو صفيّة، مشرفاً مشاركاً
أستاذ الأدب الإسلامي .....

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الدكتور جعفر عبابنة، عضواً
أستاذ النحو والصرف .....

الدكتور وليد سيف، عضواً
أستاذ اللسانيات .....

الأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية، عضواً
أستاذ اللسانيات (جامعة اليرموك) .....

الإهداء

- **إلى:**

فلسطين: أرضاً، وشعباً؛

شهيدها، وثائرها، وصابرها.

- **إلى:**

روح طاهرة في جوار باريها.

- **إلى:**

أمي...

نبعاً يتدفق حباً؛

وعشقاً يتجدّد فرحاً؛

وشوقاً يتطلع أملاً.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **إلى:**

من طوّقني كرماً،

وأغرقني بذلاً...

إخوتي؛ ولا سيّما حسن.

- **إلى:**

الصوت والصدى؛

هدوء الثقة...

وعطر الندى،

عصف الثورة...

وفوح الشذى.

عثمان

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه وبعد:

فأجزل الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور **نهاد الموسى**؛ الذي أكرمني وشرّفني فجاد بالإشراف على هذه الرسالة، فكان شيخاً ناصحاً، وأستاذاً موجّهاً، وأخاً صبوراً؛ وكذلك للمشرف المشارك الأستاذ الدكتور **جاسر أبو صفيّة**، فأنعم بهما خلقاً وإشرافاً.

فلساني يعيا وقلمي يجف قبل أن أفيهما حقهما من الشكر والعرفان.

وأشكر لأعضاء لجنة المناقشة الكرام الذين تحمّلوا عبء تقويم هذه الرسالة وتصحيحها، وهم: الأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية، والدكتور جعفر عبابنة، والدكتور وليد سيف؛ فجزاهم الله عنّي خير الجزاء.

كما أتقدّم بالشكر لأساتذتي في قسم اللغة العربيّة: أ. د. **عبد الجليل عبد المهدي**، أ. د. **محمد بركات أبو علي**، أ. د. **محمد حسن عوّاد**، **والدكتور إبراهيم خليل**، وجميع زملائي وأصدقائي الذين ساعدوا في إخراج هذا العمل.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة.	ب
الإهداء.	ج
شكر وتقدير.	د
فهرس المحتويات.	هـ
الملخص باللغة العربيّة.	ح
المقدّمة.	١
الفصل الأوّل: النص ونحو النص (الحدود والمكوّنات).	٥
– مفهوم النص وتعريفاته – تطوّراً وتعدّداً.	٦
– نحو النص والبحث اللغوي:	٢٢
• المصطلح والتعريف.	٢٢
• فضاء النشأة.	٢٣
• المهمّات والجدوى.	٢٨
• البحث اللغوي بين نحو الجملة ونحو النص.	٣٠
– نحو النص: محاولة تأطيريّة.	٣٨
الفصل الثاني: نحو النص والخطب العمريّة: الخطوات الإجرائيّة بين التفصيل والإجمال.	٤٢
أوّلاً: النظرة التفصيليّة (تطبيق على خطبة البيعة).	٤٦
– الدائرة النصيّة: معالمها ونحو النص (السيرورة والصيرورة).	٤٦
• البنية الكليّة للنص.	٤٦
• البنى النصيّة الكبرى.	٤٨
• البنى النصيّة الصغرى.	٥٢
– الوحدة النصيّة العامّة ونحو النص (التعالق والانسجام).	٦٥
• قائل النص.	٦٦
• موضوع النص.	٧٠
• لماذا قيل النص.	٧٢
• لمن قيل النص.	٧٣
• أين قيل النص.	٧٥
• متى ألقي النص.	٧٧
• كيف تم إلقاء النص.	٧٨
• إحالات النص إلى خارجه.	٨٠
– تفاعل الوحدات النصيّة (الكينونة والإنتاج).	٨٢
– نحو النص والمعطيات اللغويّة (الاتساق وتحقيق الرؤى):	٨٧
١– الإحالة:	٨٧
• الضمائر والتطابق الإحالي.	٨٩
الموضوع	**الصفحة**
• ألفاظ الإشارة.	٩٩

محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٢- الاستبدال.	١٠٢
٣- الحذف.	١٠٥
٤- العطف.	١٠٩
٥- الاتساق المعجمي:	١١٤
• التكرار.	١١٨
• المصاحبة المعجميّة.	١٢٣
• الألفاظ المعبّرة عن علاقات التضمّن.	١٢٤
٦- التعريف والتنكير.	١٢٤
ثانياً: النظرة الإجماليّة (قراءة في خطب عمر): (الخطب العمريّة ونحو النص: مظاهر الاتساق وملامح الانسجام).	١٢٧
- الاتساق النصي من خلال الوحدات المعجميّة وعلاقاتها.	١٢٩
- الاتساق النصي: دلالة وتركيباً.	١٣٧
- الانسجام النصي في الخطب العمريّة.	١٤٥
الفصل الثالث: نحو النص والوصايا العمريّة.	١٦٢
- الدائرة النصيّة: معالمها ونحو النص.	١٦٧
• البنية الكليّة للنص.	١٦٩
• البنى النصيّة الكبرى.	١٧٠
• البنى النصيّة الصغرى.	١٧٤
- الوحدة النصيّة العامّة ونحو النص.	١٩٠
• قائله.	١٩١
• موضوعه.	١٩٢
• لماذا قيل.	١٩٣
• لمن قيل.	١٩٣
• أين قيل.	١٩٦
• متى قيل.	١٩٦
• كيف ألقي النص.	١٩٧
• إحالات النص إلى خارجه.	١٩٧
- نحو النص والمعطيات اللغويّة.	١٩٩
١- وسائل الاتساق الإحاليّة.	١٩٩
• الإحالة الضميريّة.	١٩٩
• التطابق الإحالي.	٢٠٥
• الإحالة الإشاريّة.	٢٠٦
٢- الاستبدال.	٢٠٩
٣- الحذف.	٢١٢
٤- العطف.	٢١٢
الموضوع	**الصفحة**
٥- الاتساق المعجمي.	٢١٨
• التكرار.	٢١٨
• المصاحبة المعجميّة.	٢٢٦

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

• الألفاظ المعبّرة عن علاقات التضمّن.	٢٢٧
٦- علاقات السببيّة.	٢٣٠
الفصل الرابع: نحو النص والرسائل العمريّة.	٢٣٢
• الدائرة النصيّة معالمها ونحو النص.	٢٣٥
• البنى الكليّة للنص.	٢٣٥
• البنى النصيّة الكبرى.	٢٣٦
• البنى النصيّة الصغرى.	٢٣٦
- الوحدة النصيّة العامّة ونحو النص.	٢٤٠
- نحو النص والمعطيات اللغويّة.	٢٤٢
١- وسائل الاتساق.	٢٤٢
• الإحالة بالضمائر.	٢٤٢
• الإحالة بألفاظ الإشارة.	٢٤٣
٢- الاستبدال.	٢٤٤
٣- الحذف.	٢٤٥
٤- العطف.	٢٤٦
٥- الاتساق المعجمي.	٢٤٨
• التكرار.	٢٤٨
• المصاحبة المعجميّة.	٢٥٠
٦- التعريف والتنكير.	٢٥١
الخاتمة.	٢٥٤
المصادر والمراجع.	٢٥٩
الملخص باللغة الإنجليزيّة.	٢٨٨

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

نَحـــــوُ النـــص

(دراسة تطبيقيّة على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)

إعداد

عثمان حسين مسلم أبو زنيد

المشرف

الأستاذ الدكتور نهاد الموسى

المشرف المشارك

الأستاذ الدكتور جاسر أبو صفيّة

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

ملخّص

سعت هذه الدراسة إلى وضع منهجيّة قرائيّة تشكّل أساساً لوصف الأشكال النصيّة المتباينة وعلاقاتها المتبادلة، تجمع بين الاعتبارات اللفظيّة والتركيبيّة والمعنويّة والمقاميّة، فتلج إلى الفضاء النصي، فتخترق أنظمته، وتفكّك مستوياته الداخليّة، وتتعرّف كيفيّة انتظام اللغة داخله، وكيفيّة تحقق نصيّته.

فحاولت توظيف تقنيات نحو النص ووسائله في ممارسة تطبيقيّة على خطب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ووصاياه ورساله للولاة، والتزمت معها إطاراً نظرياً موحّداً، وأخذت تترسم كينونة النص العمري من خلال نماذج معيّنة منها.

وتوزّعت الدراسة على أربعة فصول؛ عالجت في الأوّل مفهوم النص، وتعريفاته على ضوء نظريّات لغويّة واتجاهات بحث مختلفة، مثل: البنيويّة والسيميائيّة والسوسيولوجيّة، ثمّ وقفت مع نظرة لسانيّات النص له، واستقصت عناصرها، ثمّ بحثت في ماهيّة نحو النص ومهامه وأهم محاولاته، ومدى صلته بالبحث اللغوي الجملي.

وبعد أن حدّدت لنفسها إطاراً نظرياً، تناولت في الفصل الثاني خطبة لعمر بن الخطاب، فبحثتها بشموليّة وتفصيل، متدرّجة من الدوائر النصيّة والوحدات النصيّة وتفاعلها، إلى علاقات نحو النص الاتساقيّة وأثر المعطيات اللغويّة فيها، فبحثت أثر الإحالة والاستبدال والحذف

والعطف والتكرار والمصاحبة المعجميّة والتعريف والتنكير في تحقق نصيّة النص، وأجملت الحديث حول الاتساق والانسجام النصيين في خطب عمر بن الخطاب كاملة.

وسارت في الفصلين الثالث والرابع السيرة نفسها، ولكن مع جنسين نثريين مختلفين، هما الوصايا والرسائل، فطبّقت عليهما الخطوات نفسها؛ وانتهت إلى مجموعة من النتائج أجملت فيها مقوّمات النص، ودوائر نحو النص العمري، وميّزات الخطاب العمري المنطوق، وميّزات الخطاب العمري المكتوب.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، وعلى نبيّه محمد أفضل صلاة وأتم تسليم، وبعد،

فقد شهدت الدراسات اللغويّة في العقدين الأخيرين من القرن الماضي تطوّرات هائلة، مسّت مختلف مستويات التحليل اللسانيّة، وخرجت على بعض أعراف علم اللغة – التي كانت ترى الجملة أكبر وحدة لغويّة، وأقصى ما يحاط به في البحث اللغوي – متجاوزة بذلك حدود الجملة إلى فضاء لغوي أوسع هو فضاء النص.

وفي هذا الفضاء، تحوّل اللسانيون من التعامل مع الجملة، على أنّها بنية مستقلة، إلى معالجة الكيان اللغوي الأوسع وهو النص، واتجهوا نحو الاهتمام به، واتخاذه موضوعاً للدراسة؛ فتناولوه بالوصف والتحليل، وبحثوا علاقته بالاتصال اللغوي، وأثره في علاقات النص الداخليّة والخارجيّة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وكان الهدف من ذلك أن تصاغ نظريّة نصيّة عامّة تشكّل أساساً لوصف الأشكال النصيّة المتباينة وعلاقاتها المتبادلة، تنظر إلى النص بشكل كلي، فلا تقف عند بنائه التركيبي إلا بقدر ما يؤثر هذا الركن البنائي في حركة النص الكليّة.

فأخذ البحث اللساني يجمع بين الاعتبارات اللفظيّة والتركيبيّة والمعنويّة والمقاميّة، ويعيد تشكيل مناهج المعرفة اللغويّة لدراسة العلاقات المنظمة للنص، فنتج عن ذلك ما عُرف بـــ"نحو النص"، وهو محاولة لوضع منهجيّة قرائيّة تلج إلى الفضاء النصي، وتخترق أنظمته، وتفكك مستوياته الداخليّة، وتتعرّف كيفيّة انتظام اللغة داخله، وتحقق نصيّته.

وركز "نحو النص" في بحثه لنصيّة النص على التماسك النصّي، وهو قائم على علاقات اتساق بين الوسائل اللغويّة التي تصل بين العناصر المكوّنة للنص، وعلى علاقات انسجام تشمل العلاقات المعنويّة الظاهرة والمخفيّة والمعطيات المشكلة لإطار تلقي النص.

وفي ضوء هذه المقاربات، سعت هذه الدراسة إلى معرفة القواعد والعلاقات التي تنتظم النص، فحاولت توظيف تقنيات نحو النص ووسائله في ممارسة تطبيقيّة على خطب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ووصاياه ورسائله للولاة.

ولما كانت المعالجة النصيّة تحتاج إلى ضوابط ومحدّدات تقي الباحث من الانقياد مع النص بفعل شحنات النص الشعوريّة ومحمولاته الفكريّة، فقد حدّدت الدراسة لنفسها إطاراً نظرياً

استخلصته من رؤى نحو النص المختلفة، وأخذت تترسم كينونة النص العمري من خلال نماذج معيّنة من خطبه ووصاياه ورسائله.

ولعل أكبر ما سوغ لي اختيار النصوص العمريّة للتطبيق عليها، أنّها تمثل مرحلة متقدّمة من مراحل سيرورة النص العربي، وأنتجتها "ذات" شغلت الناس – قديماً وحديثاً – بمكانتها ورؤيتها السياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة، وعُرفت بقربها من المتلقين، وتطوّرها تبعاً لمتغيّرات الحياة والحاجة الإنسانيّة.

كما أنّ النص العمري بأجناسه النثريّة الثلاثة – الخطب والوصايا والرسائل – يمثل أنماطاً متباينة من أشكال التواصل، فخطاب الخطبة يكون مباشراً وموجّهاً إلى جمهور، بينما يكون خطاب الوصيّة موجّهاً إلى شخص أو مجموعة محدّدة من الناس، وهذا يختلف عن خطاب الرسالة التي تكتب إلى متلق محدّد، ويتوفر كاتبها على إمكانيّة تحبيرها، ونفي ما قد يشوبها ممّا لا يكون ملائماً لإطار التلقي.

جميع الحقوق محفوظة

لهذا، فقد سارت هذه الدراسة مع النص العمري – بأجناسه الثلاثة – سيراً ثابتاً، فوحّدت خطواتها، وشاكلت حركاتها، حتى تصل إلى نتائج مرضية، تتميَّز فيها خصائص كل جنس، فكان من آثار توحيد الخطوات أن ظهر التكرار فيها، وهو ممّا اقتضته طبيعة المنهج وفرضته غايات الدراسة، حتى بدا الاستغناء عنه مغيِّباً لبعض جوانب التمييز بين كل جنس نصي وآخر، وحائلاً بين صياغة تأكيدات وصفيّة نصيّة دقيقة والإمعان في بحث النص والغوص من شكله إلى كنهه، واستنطاق ما يتضمنه كلٌ منها من دلالات وإشارات خصبة ثريّة.

وقبل السير في هذه الطريق، وقف البحث مع علم النص وقفاتٍ مطولة، فبحث مفهومه وتعريفاته وفي ضوء نظريّات لغويّة واتجاهات بحث مختلفة؛ مروراً بالبنيويّة والسيميائيّة والسوسيولوجيّة، ووصولاً إلى لسانيات النص وتحليل الخطاب، وهي المرحلة التي تمّ التركيز عليها، وطال المكث فيها، فسرِّح فيها البصر واستقصيَتْ عناصرها، من أجل أن تتضح صيرورة نحو النص علماً قائماً بذاته.

ثم سار البحث مع نحو النص ليتعرّف ماهيّته ومهامّه وأهم المحاولات التي رتبت خطواته وبيّنت أركانه، وعلاقاته الدقيقة بالبحث اللغوي الجملي؛ فوضع لنفسه إطاراً يقتضي المعالجة النصيّة ابتداءً من الوحدات الوظيفيّة الشاملة، وظروف الإلقاء، ودور المشاركين في العمليّة اللغويّة، وانتهاءً بعلاقات نحو النص التي تحكم النص وترتب علاقاته.

وبعد ذلك انتقل البحث إلى المرحلة التطبيقيّة، وهي غايته وفحواه؛ ثمّ ختم بخاتمة استصفى فيها ما توصّل إليه الباحث في معالجته للنص العمري، وما ثار في البحث من إشكاليّات، ولقد جاء توزيع الدراسة على النحو التالي:

أمّا الفصل الأوّل فبعنوان: النص ونحو النص (الحدود والمكوّنات)، وفيه ثلاثة مباحث، يبحث الأوّل في مفهوم النص وتعريفاته وتطوّرها وتعدّدها، ويبحث الثاني في مصطلح نحو النص وتعريفه وفضاء نشأته ومهمّاته وجدواه، وفي العلاقة بين البحث اللغوي القائم على نحو الجملة والقائم على نحو النص، وفي الثالث وضعت محاولة تأطيريّة لمعطيات نحو النص ليسير عليها البحث في تطبيقاته.

أمّا الفصل الثاني فجاء بعنوان: نحو النص والخطب العمريّة: الخطوات الإجرائيّة بين التفصيل والإجمال، وفيه قسمان: النظرة التفصيليّة، وهي تطبيق مباشر ومفصل على خطبة البيعة لعمر بن الخطاب، وبحثت هذه الخطبة ضمن أربعة محاور:

- الدائرة النصيّة: معالمها ونحو النص (السيرورة والصيرورة)، وفيه تمّ الحديث عن البنية الكليّة وتمّ تحديد البنى النصيّة الكبرى وكيفيّة توالد البنى النصيّة الصغرى فيها.
- الوحدة النصيّة العامّة ونحو النص (التعالق والانسجام)، وفيه بيان لعلاقة قائل النص وموضوعه وسببه ومتلقيه ومكانه وزمانه ووسيلته وإحالته إلى الخارج بالتكوين النصّي وعلاقات الانسجام.
- تفاعل الوحدات النصيّة (الكينونة والإنتاج)، وفيه توضّح كيفيّة ترابط النص مفهومياً ومنطقياً.
- نحو النص والمعطيات اللغويّة (الاتساق وتحقيق الرؤى)، وفيه تمّ بحث وسائل الاتساق من إحالة ضميريّة وإشاريّة واستبدال وحذف وعطف واتساق معجمي وأثرها في تحقيق نصيّة النص وتماسكه.

والقسم الثاني هو النظرة الإجماليّة، وهو قراءة في خطب عمر جملة، وتوزّع في ثلاثة اتجاهات، الأوّل: يبحث في الاتساق النصّي من خلال الوحدات المعجميّة وعلاقاتها؛ والثاني: يبحث في الاتساقي النصّي من جهتي الدلالة والتركيب، والثالث: يبحث في الانسجام النصّي في الخطب العمريّة.

وأمّا الفصل الثالث فهو بعنوان: نحو النص والوصايا العمريّة، وقد جاء على شاكلة، الفصل الثاني دون أن يكون منطوياً على قراءة عامّة للوصايا.

وأمّا الفصل الرابع فهو بعنوان: الرسائل العمريّة ونحو النص، وجاء على شاكلة الفصل الثالث.

وقبل أن أختم، أتقدّم بشكري الخالص لمن أمر الله بشكرهما؛ إذ قال: ﴿**أن اشكر لي ولوالديك**﴾. كما يسعدني أن أشكر للأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور جاسر أبو صفيّة؛ لتفضّلهما بالإشراف على هذا البحث، وأخصّ الأستاذ الدكتور نهاداً لما أبداه من سعة صدر وحُسن تحمّل، وفضل متابعة، وطول رعاية.

وفي الختام، لا يفوتني أن أثني على أخي حسن وأشكر له، كما أشكر لأساتذتي ولأصدقائي الذين قدّموا لي العون والمساعدة، وساروا معي خطوةً خطوة، فلهم منّي كل الشكر والعرفان.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الأوّل

النص ونحو النص (الحدود والمكوّنات)

- مفهوم النص وتعريفاته – تطوّراً وتعدّداً.
- نحو النص والبحث اللغوي:
  - المصطلح والتعريف.
  - فضاء النشأة.
  - المهمّات والجدوى.
  - البحث اللغوي بين نحو الجملة ونحو النص.
- نحو النص: محاولة تأطيريّة.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الأوّل

النص ونحو النص (الحدود والمكوّنات)

مفهوم النص وتعريفاته – تطوّراً وتعدّداً:

يمثل علم النص مجالاً معرفياً في العلوم الإنسانيّة، وقد أثار مصطلح "النص" إشكاليّة نقديّة في الدراسات الأدبيّة الحديثة، أدّت إلى اختلافٍ في مناهج البحث وتباينٍ في تحديد مفهوم "النص" وسماته، ممّا جعل البحث النصّي صعباً يتطلب دراية واسعة بمناهله المعرفيّة التي صدر منها.

ولم يحظ أيٌ من التعريفات الكثيرة للنص بالرضا من قِبل المناهج النقديّة المختلفة، وبرزت "تعريفات متعدّدة تشرح مفهوم النص (Text) بصفة عامّة، وأخرى تبرز الخواص النوعيّة الماثلة في بعض أنماطه المتعيّنة"[١]، وأخرى تحاول أن "تبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدِّمت له في البحوث النسويّة والسيمولوجيّة الحديثة"[٢]، لرسم معالم علم جديد يمكنه احتواء التداخل المعرفي بين هذه الاتجاهات المختلفة.

غير أنّ منهجيّة البحث وطبيعة النص كشفت أنّ الاتفاق على مفهوم محدّد للنص أمر لا يمكن الوصول إليه، ولا يمكن أن تتطابق رؤى الباحثين في فهمهم له، إذ إنّ كل اتجاه يفهمه وفقاً للمرجعيّة المعرفيّة التي ينطلق منها، والطريقة التي يتعامل بها معه، وبدا أن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقيّة من جهة التصوّر اللغوي؛ وذلك لاختلاف المدارس اللغويّة التي ينتمي إليها علماء اللغة، واختلاف حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم[٣].

وقد أفرزت هذه الاتجاهات والتصوّرات المتباينة كمّاً هائلاً من التعريفات بمصطلح النص، جعلت الباحثين يصنّفونها وفق معايير وضوابط كثيرة أيضاً، فأخذ فريق يصنّفها بحسب

((١) فضل، صلاح، (١٩٩٦). **بلاغة الخطاب وعلم النص**. (ط١)، مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان، ص٢٩٤.

(٢) نفسه، ص٢٩٤.

(٣) بحيري، سعيد حسن، (١٩٩٧). **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**. (ط١)، مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان، ص١٠٧.

الاتجاهات النقديّة التي أفرزتها[١]، وراح فريق آخر يبحث في صلتها بالبنى النصيّة والسياقات النصيّة[٢]، وصنّفها فريق ثالث بحسب صلتها بالجملة[٣].

وعند تصفح هذه الجهود النقديّة نجد أنّ كثيراً من النقاد والباحثين العرب الذين تناولوا مصطلح "النص" درجوا على البحث في ما إذا كان موجوداً بلفظه، أو بمعادله المعنوي، في التراث العربي، وأخذوا يربطون بين المعنى الاشتقاقي والمعنى الاصطلاحي له، فوجدوا أنّ جذر "ن ص ص" قديم في اللغة العربيّة وليس من الألفاظ الدخيلة أو المولدة، وأنّ معاني "النص" اللغويّة لا تنأى عن الرفع والإظهار بالمعنى الحسّي، والرفع والإسناد بالمعنى المجرّد، ولكن لا موقع للنص بمفهومه المعاصر في المعاجم العربيّة القديمة؛ كما أنّ المعاجم العربيّة الحديثة لم تتناوله من حيث هو مفهوم أدبي ونظرية نقديّة[٤].

وبيّن البحث أنّ النص غريب أيضاً عن الدراسات النحويّة العربيّة والغربيّة قديمها وحديثها مصطلحاً ومفهوماً، ولم يظهر إلا في النظريّات اللسانيّة الحديثة التي ظهرت بعد العقد السادس من القرن العشرين، وقد كان ظهوره في اللسانيّات الغربيّة بعد إرهاصات قدّمها هيالمسلاف (Hjelmslev) وهاريس (Harris)؛ إذ عدّ الأوّل النص قسماً أكبر قابلاً للتحليل، وتجاوز الثاني الجملة واهتم بتحليل الخطاب[٥].

---

(١) عزام، محمد، (٢٠٠١). **النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي**. (ط١)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص١١-٢٥.

(٢) الجراح، عبد المهدي، (٢٠٠٢). **الخطاب وأثره في بناء نحو النص: تطبيق على المعلقات السبع**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص١٩-٢٧.

(٣) الشاوش، محمد، (٢٠٠٠). **أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة: تأسيس "نحو النص"**. (ط١)، تونس: كليّة الآداب بمنوبا، وبيروت: المؤسّسة العربيّة للتوزيع، ص٨٢-٩٣.

(٤) انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**، مادة "نصّ"؛ والفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مادة "نصص"؛ وابن منظور، **لسان العرب**، مادة "نصص"؛ ومصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مادة "نصص"؛ ووهبة والمهندس، **معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب**، ص٢١٩؛ ويعقوب وآخرون، **قاموس المصطلحات اللغويّة والأدبيّة**، ص٣٧١؛ والشاوش، **أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة**، ص١٨٤؛ وعزام، **النص الغائب**، ص١٢؛ والفقي، صبحي، (٢٠٠٠). **علم اللغة النصي بين النظريّة والتطبيق**. (ط١)، القاهرة: دار قباء للنشر، ص٢٨-٢٩؛ وأبو دلو، أحمد، (٢٠٠٢). **تحليل الخطاب الجدلي في القرآن: دراسة في لسانيّات النص**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص١٦-١٧؛ والجراح، **الخطاب وأثره في بناء نحو النص**، ص١٨؛ وبصل، محمد إسماعيل، (١٩٩٤). **التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق**. مجلة المعرفة، (٣٧٠)، ص٦٦-٦٧؛ ومرتاض، عبد الملك، (١٩٩٠). **نظريّة، نص، أدب: ثلاثة مفاهيم نقديّة بين التراث والحداثة، قراءة جديدة لتراثنا النقدي**، المجلد الأوّل، نادي الأدب الثقافي بجدّة، جدّة، (١٩-٢٤/١١/١٩٨٨)، ص٢٢٦-٢٧١؛ وأبو غزالة، إلهام، وحمد، علي خليل، (١٩٩٩). **مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظريّة روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر**. (ط٢)، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ص٢٥؛ والبقاعي، شفيق، (١٩٩٦). مفهوم النص في اللسانيّات الحديثة. **مجلة الفكر العربي**، (٨٥)، ص١٦١-١٦٢.

(٥) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة "تأسيس نحو النص"**، ص١٨٣.

وأخذت الدراسات اللسانيّة بعد ذلك تعيد النظر في طروحاتها النظريّة، ولا سيما بعد أن ضاقت بإغفال منزلة القول المنجز، وإقصاء المعنى والسياق، فتجاوزت الإغراق في التجريد واتجهت إلى المعطيات التداوليّة، وأدخلت النص والخطاب ضمن دراساتها وربطتها بعلوم أخرى كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ وغيرها.

وتشعّبت هذه الدراسات وأخذت اتجاهاتها أشكالاً عدّة، فصار تحديد مفهوم النص يستوعب علامات فارقة من خلال كمٍّ غير محدود من التعريفات التي طرحتها الاتجاهات المختلفة(١)، ويمكن تقسيم هذه التعريفات تبعاً لمنطلقات أصحابها إلى:

١- تعريفات بنيويّة:

يرى أصحاب هذا المنهج ضرورة قطع النص عن مبدعه، وعن سياقاته التاريخيّة والاجتماعيّة والنفسيّة، ويركّزون على البنية النصيّة نفسها ويتعاملون مع النص على أنّه بنية مغلقة في مستوييه النحوي والدلالي، ومن هؤلاء تودوروف (Todorov) الذي يرى أنّ "النص قد يتطابق مع جملة، كما أنّه قد يتطابق مع كتاب بأكمله، وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه"(٢)، ويتابعه فاينريش (H. Weinrich)، ويعرّف النص بأنّه "تكوين حتمي أجزاؤه ثابتة؛ بمعنى أنّه كليّة مترابطة الأجزاء، تتابع الجمل فيها وفق نظام، وتسهم كل جملة في فهم ما تليها، كما تسهم المتقدّمة في فهم المتأخّرة، بحيث يتحقق المعنى من خلال معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كليّة كبرى"(٣).

وفي هذا الصدد تأتي محاولات برنكر (Brinker) وإيزنبرج (Isenberg) وشتاينتز (Steinitz) وهارفج (Herweg) التي تعرّف النص بأنّه "تتابع مترابط من الجمل"(٤)؛ وكذلك محاولة الأزهر الزناد؛ إذ يعرّف النص بأنّه "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، ويمثّل علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدال والمدلول"(٥)، ويلحظ من تعريف الزناد تقارب كبير مع

---

(١) بحيري، **علم لغة النص**، ص٢؛ والمومني، قاسم، (١٩٩٧). علاقة النص بصاحبه: دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعريّة. **عالم الفكر**، ٢٥(٣)، ص١١٨.

(٢) عياشي، منذر، (١٩٩٠). **مقالات في الأسلوبيّة**. (ط١)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص١٢٨؛ وبصل، التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق، ص٦٧.

(٣) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٩٢؛ وكليطو، عبد الفتاح، (١٩٩٧). **الأدب والغرابة: دراسات بنيويّة في الأدب العربي**. (ط٣)، بيروت: دار الطليعة، ص١٤.

(٤) شبلنر، **علم اللغة والدراسات الأدبيّة**، ص١٨٨.

(٥) الزناد، الأزهر، (١٩٩٣). **نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً**. (ط١)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص١٢.

بارت (Barthes) الذي يرى أنّ النص "هو السطح الظاهري للأثر الأدبي، وأنّه نسيج الكلمات المشتبكة والمنظمة بطريقة تفرض معنى متيناً وراسخاً ووحيداً"(١).

فالمنهج البنيوي يعتبر النص بنية مغلقة داخلها علاقات منظمة، بحيث إنّ اختلال النظام في طرف معيّن يؤثر في الأطراف الأخرى؛ ويتعامل مع كل نص باستقلاليّة وخصوصيّة، ولا يتجاوز النص في رصد المعطيات التي يصوغها وينتجها(٢)؛ فهو يستبعد علاقات النص بمبدعه، وبالواقع، ويرى أنّ التحليل البنيوي الشكلي وحده الكفيل بإبراز السمات النصيّة ولمس الظاهرة الأدبيّة في النص وبيان علاقاته الداخليّة وعلاقاته بالقارئ(٣)، وهو بذلك يعزل العمل الأدبي عن بيئته الكاملة، ومجتمعه الذي ألف فيه، والمنعكس في النص نفسه.

ومع أنّ فهم النص فهماً بنيوياً كاملاً يسهّل فهم سياقاته الاجتماعيّة والسياسيّة، ويعدّ إحدى الخطوات الهامّة في التعامل مع النص تعاملاً كلياً(٤)؛ فإنّه لا يكفي ولا يحسن التوقف عنده.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٢- تعريفات سيميائيّة:

قامت اتجاهات ما بعد البنيويّة، ولا سيما السيميائيّة التي عايشت البنيويّة، وخلفتها، بالإسهام الأكبر في تعريف النص، وقرنت السيميائيّة مصطلح "النص" بالتناص، ونظرت إلى النص على أنّه مجموعة من النصوص المتداخلة، ورأت أنّ النص لا يكون بالضرورة هو العبارات التي تكتب، بل قد يتمثل في الإشارات أو الرسومات التي توضع لغاية معلومة، مثل الرسوم والأشكال والإشارات التي يتم التعامل معها دون اللجوء إلى الكتابة أو القراءة، مثل إشارات المرور، وإشارات التحذير من خطر، أو التنبيه على منع عمل معيّن(٥).

وجاءت أهمّ التعريفات السيميائيّة للنص على يد فيليب سولرز (Sollers Philippe)، وجوليا كريستيفا؛ حيث ميّز سولرز بين ثلاثة مستويات للنص:

- الطبقة السطحيّة للنص؛ وهي الألفاظ، والجمل، والمقاطع...، أو ما هو مكتوب فعلياً، وهي تقرأ بوضوح.

---

(١) عزام، **النص الغائب**، ص١٤.
(٢) نور الدين، صدوق، (١٩٨٤). **حدود النص الأدبي: دراسة في التنظير والإبداع**. (ط١). الدار البيضاء: دار الثقافة، ص٧.
(٣) عزام، **النص الغائب**، ص١٩؛ والرويلي، ميجان، والبازعي، سعد، (٢٠٠٢). **دليل الناقد الأدبي**. (ط٣)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٢٦٢.
(٤) مالطي – دوجلاس، **بناء النص التراثي**، ص١٧.
(٥) مرتاض، **نظريّة، نص، أدب**، ص٢٧٣-٢٧٤.

- والطبقة الوسطى وهي التناص أو الجسد المادي للنص، وهو لا يكتب من جمل أو كلمات، وإنّما هو من نصوص، حيث تتقاطع الكتب فيما بينها، وتحمل إلى نطاق أبعد من حدودها، وذلك داخل النص المجمل؛ ويمثل سولرز للتناص بالكوميديا الإلهيّة لدانتي، وهو ما أطلق عليه "اختراقيّة الكتابة".
- أمّا الطبقة العميقة فهي "الكتابة" أو انفتاح اللغة.

وانتهى سولرز إلى أنّ النص المكتوب لا نهائي؛ لأنّه مكوّن من متتاليات لا تأخذ دلالتها إلا من خلال علاقاتها، وقارئ النص مرغم على أن يصير طرفاً في النص، والتقى بذلك مع مفهوم بارت للكتابة في مرحلته المتأخّرة(١).

أمّا جوليا كريستيفا فترى "أنّ النص أكثر من مجرّد خطاب أو قول؛ إذ إنّه موضوع لعديد من الممارسات السيمولوجيّة التي يعتد بها على أساس أنّها ظاهرة عبر لغويّة؛ بمعنى أنّها مكوّنة بفضل اللغة، لكنّها غير قابلة للانحصار في مقولاتها، وبهذه الطريقة فإنّ النص جهاز عبر لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصليّة، مشيراً إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها، والنص نتيجة لذلك إنّما هو عمليّة إنتاجيّة"(٢).

ومن هذا نتبيّن أنّها بجعلها النص ظاهرةً تتجاوز ما هو لغوي، لا تحصر تحليله في مقولات اللغة، وتربطه بالواقع الخارجي الذي يعبّر عن مقولات غير لغويّة، وتعطي بذلك النص حريّة التشكّل، والقارئ حريّة الفهم والتأويل(٣).

ومن هنا نفهم نظرة بارت إلى النص على أنّه عمليّة إنتاجيّة، تتشكّل من أصداء اللغات والثقافات الأخرى، وأنّه نسيج توليدي تنحل فيه الذات المبدعة(٤).

وجاء تعريف هارتمان (Hartmann) للنص بأنّه "علامة لغويّة أصليّة، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي"(٥)، أكثر عموميّة من تعريف كريستيفا "فهو يحدّد النص وفق ذلك بأنّه أي

---

(١) عزام، **النص الغائب**، ص٢١؛ وانظر: بارط، رولان، (١٩٨٦). **درس السيميولوجيا**. (ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي)، ط١، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ص٢١-٢٧.

(٢) فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٢٩٤؛ وانظر: ناصف، مصطفى، (٢٠٠٣). **بعد الحداثة صوت وصدى**. (ط١). جدّة: النادي الأدبي الثقافي، ص٦٠٧.

(٣) بحيري، **علم لغة النص**، ص١١٢.

(٤) بارت، رولان، (١٩٩٢). **لذة النص**. (ترجمة: منذر عياشي)، ط١، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ص١٠٩؛ وانظر: الجراح، **الخطاب وأثره في بناء نحو النص**، ص٢٣.

(٥) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٠٨.

قطعة ما ذات دلالة وذات وظيفة، وبالتالي هي قطعة مثمرة من الكلام"[١].

وبهذا فإنّ دراسة النص وفق هذه المميّزات الدلاليّة، لا تقف عند اللسانيّات، وإنّما تنطلق منها، وتتجاوزها إلى معظم العلوم الإنسانيّة، حتى يمكن الوصول إلى ما سمّته كريستيفا "النص المولد" وهو ما يتولد عن النص الظاهر، ويكون خارج الزمانيّة والشخصيّة ويمثل مجموع الدوال النهائي للنص الظاهر[٢]؛ لأنّ النظام اللغوي نسق رمزي و"الرموز دلالات لا تنضب، وإحالات لا تتوقف"[٣].

وهذا يُفضي إلى أنّ النص إشكالي؛ بمعنى أنّه اختلافي، ممّا يجعل اللغة تفقد طبائعها الرمزيّة من خلال تشتت دلالاتها وتباين تأويلها، وينأى بها عن كونها وسيلة للتواصل المباشر؛ ولا يقف السيميائيون عند انفتاح النص اللغوي وتعدّد حقوله الدلاليّة، واختلاف تأويلاته فحسب؛ بل يتجاوزونه إلى اعتبارهم مفهوم النص غير مقتصر على الأشياء المكتوبة، وإنّما يتعداها إلى الفنون التعبيريّة كالرسوم والموسيقى[٤]؛ فهو – النص – ممارسة دلاليّة إنتاجيّة لا تقتصر على الوصف اللساني، بل يُضاف لها ما للرياضيات والمنطق وعلم النفس[٥].

يعكس هذا آفاق المتاهات الممتدّة إلى جذور فلسفيّة وتأويليّة، غير محكومة بضوابط ومحدّدات مرجعيّة ثابتة، وهذه لا يمكن أن نفيد منها إلا بكبح جماحها، ومحاولة تأطيرها، وإعادة القربى بينها وبين الحقل اللساني، حتى لا نتجاوز خلفيّة النص الثقافيّة وعوالمه الممكنة.

٣- تعريفات علماء اللغة الاجتماعيين:

درس علماء اللغة الاجتماعيون كيفيّة تفاعل اللغة مع محيطها الخارجي والعوامل التي تؤثر في استعمالها، ووقفوا عند أثر المعنى، والتشكيل الاجتماعي، والتفاوت الفردي بين المتكلمين في اللغة المستعملة؛ وأدّت هذه المحاولات في علم اللسان الاجتماعي، والعلوم

---

(١) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٠١-١٠٢.
(٢) عزام، **النص الغائب**، ص٢٢-٢٣؛ ولاينز، جون، (١٩٨٦). **علم الدلالة السلوكي**. (ترجمة وتقديم: مجيد الماشطة)، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة، ص٢١.
(٣) حرب، علي، (١٩٩١). **لعبة المعنى**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٦٩.
(٤) بارت، رولان، (١٩٨٨). نظريّة النص. (ترجمة: محمد خير البقاعي). **مجلة العرب والفكر العالمي**، (٣)، ص٨٧-١٠٢.
(٥) البقاعي، شفيق، (١٩٩٦). مفهوم النص في اللسانيّات الحديثة، **مجلة الفكر العربي**، (٨٥)، ص١٦١-١٦٢.

الإنسانية، بوجه عام، إلى تعريف العلاقات المطردة بين السياقات الاجتماعيّة والثقافيّة، وبين بنيات اللغة وأشكالها ووظائفها[١].

ومع تنامي هذه الوجهة في البحث، ربط النقاد النص الأدبي بأرضيّته الاجتماعيّة التي نبت فيها، وعرّفوا النص على أنّه "بنية دلاليّة تنتجها "ذات" ضمن بنية نصيّة منتجة في إطار بنية أوسع اجتماعيّة وتاريخيّة وثقافيّة"[٢]، ممّا جعل البحث النصي يتطلب معرفة العوالم الموضوعيّة للنص، والهدف منه، وموضوعه، والجمهور الذي تلقاه، والصلات الاجتماعيّة بينه وبين المستمعين، وسياقه الزماني، والمكاني، والأقوال المتضمّنة فيه، وعلاقتها بكل ما يرتبط به مُلْقٍ ومُتَلَقٍ وظروف إلقاء[٣].

ويقتضي السياق الاجتماعي للنص من محلله النظر في السياق الترتيبي لكلمات النص وتراكيبه، بحيث يُوضع المعنى المعجمي لكلمات النص في مستوى وسط بين المستويين: المقامي والنحوي، ثمّ يوضع هذا الترتيب السياقي في موضعه المناسب داخل سياق الثقافة[٤]، وذلك حتى يتمكّن من رصد العلاقة بين النص والسياق؛ إذ إنّ الوحدات المعجميّة والدلاليّة والتركيبيّة في النص لا تنفصل عن المصالح الاجتماعيّة المكوّنة له[٥]، واللغة ليست مجرّد أصوات وصيغ وجمل ودلالات، بل هي أداة لممارسة اجتماعيّة على أساس أنّ النص اللغوي في جملته إنّما هو "نص في موقف" تؤثر في أبنيته عوامل معرفيّة ووجدانيّة[٦].

وقد كان الإلحاح على ارتباط العلوم الاجتماعيّة بالنص، يدفع اللسانيين الاجتماعيين إلى تبنّي الرأي القائل بأنّ التفاعل بين الأفراد والجماعات يحدث من خلال نصوص تكشف عن

---

(١) دايك، فان، (٢٠٠٠). **النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي.** (ترجمة: عبد القادر قنيني)، ط١، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ص١٣؛ والموسى، نهاد، **الوجهة الاجتماعيّة في منهج سيبويه**، ص٦٠.

(٢) يقطين، سعيد، (٢٠٠١). **انفتاح النص الروائي: النص والسياق.** (ط٢). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص١٢.

(٣) شبلنر، **علم اللغة والدراسات الأدبيّة**، ص١٦٦-١٦٧.

(٤) العموش، **الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق**، ص١٧؛ ولوكمان، توماس، (١٩٨٧). **علم اجتماع اللغة.** (تعريب: أبو بكر أحمد باقدار)، ط١، جدّة: النادي الأدبي الثقافي، ص٨٤.

(٥) لحمداني، حميد، (١٩٩٠). **النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي.** (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٧٢.

(٦) بحيري، سعيد حسن، (٢٠٠٠). اتجاهات لغويّة معاصرة، **علامات في النقد**، ١٠(٣٨)، ١٣٩.

المقاصد والمواقف وأشكال السلوك المختلفة[١]؛ ممّا جعل بحث العلاقات الاجتماعيّة وقضايا الاتصال المحيطة بالنص يأخذ الجانب الأكبر في فهم النصوص، والتعامل معها[٢].

وهذه الطريقة في التعامل مع النص، تفرض عليه بُعداً أحادياً يقيّده، ولا تسمح له بتجاوز المجتمعات واختراقها، ولا تعطيه الانفتاحيّة التأويليّة التي تضمن خلوده[٣].

٤- تعريفات لسانيّات النص وتحليل الخطاب:

بدأ التوجّه إلى اللسانيّات النصيّة مدفوعاً بإحساس قوي بأنّ الجملة لم تعد مجالاً كافياً لإشباع حاجة المحلل اللغوي، وأنّها لا تمثل غير جزء يسير ممّا يقدّمه المعنى الكلي للنص[٤]، فشعر اللسانيون بضرورة تجاوز حدود الجملة في درس قواعد الكلام إلى فضاء لغوي أوسع هو فضاء النص[٥].

جاء هذا التوجّه في البحث النصّي ثمرة لتضافر معارف لسانيّة واجتماعيّة وفلسفيّة أشبعت بحثاً وعناية، بعد أن حلت اتجاهات البحث اللغوي إلى قدر كبير من النضج ممّا هيّأ الظروف لضم أفكارها وتصوراتها لتأسيس مبادئ أوليّة للبحث النصي[٦].

ومع بداية اللسانيّات النصيّة في أواخر عقد الستينات من القرن العشرين، كثف روّاد هذا العلم جهودهم على بيان القصور الذي مُنيت به الدراسات اللسانيّة التي كانت ترى الجملة أكبر وحدة لغويّة – لإضفاء الشرعيّة عليه[٧]؛ ثمّ انتقلوا بعد ذلك – على اختلاف منطلقاتهم وغاياتهم وإجراءاتهم – لتقديم طرزهم وصيغهم ومصطلحاتهم في هذا المضمار[٨]، فاختلفت مصطلحاتهم وتعريفاتهم للنص، وربطوها بالجملة والدلالة النصيّة.

ويمكن تصنيف هذه التعريفات على النحو التالي:

---

(١) لحمداني، **النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي**، ص٧٢.

(٢) هاينه من، فولفجانج، وفيهفيجر، ديتر، (١٩٩٩). **مدخل إلى علم اللغة النصي**. (ترجمة: فالح بن شبيب العجمي)، ط١، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود، ص٧٦-٧٨.

(٣) عزام، **النص الغائب**، ص١٨.

(٤) الفقي، **علم اللغة النصي بين النظريّة والتطبيق**، ص٤٩.

(٥) الزناد، **نسيج النص**، ص٥.

(٦) بحيري، اتجاهات لغويّة معاصرة، ص١٣٨.

(٧) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٧٩.

(٨) مصلوح، سعد، (١٩٩١). نحو أجروميّة للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهليّة. **مجلة فصول**، ١٠(١، ٢)، ١٥٣.

١- تعريفات اعتمدت تكوّن النص من بُنى سطحيّة، وتقسم إلى ضربين:

الأوّل: ضرب يقوم على درجة من العموم التي لا تفيد في تمييز النص عن غير النص، ولا تنبئ عن المقوّمات البنيويّة التي تمثل قوام الوحدة النصّية، ومن تعريفات هذا الضرب للنص[١]:

- تعريف هارتمان – ستورك: "النص: متتالية من الكلمات تكوّن ملفوظاً منجزاً"[٢].
- تعريف ليونز (Lyons): "النص: هو ناتج السلوك اللغوي العادي الذي يمكن أن يكتب كتابة فنولوجيّة"[٣].
- تعريف تيتزمان (Titzmann): "يمكن أن يطلق النص على ملفوظات شديدة التنوّع مستعملة في مقامات شديدة التنوّع أيضاً، ويمكن أن تصدر عن متكلم واحد أو أكثر من متكلم"[٤].
- تعريف بليش (Pilch): "النصوص: هي أجزاء الخطاب المختلفة الطول الشفويّة أو المكتوبة، وكل جزء من أجزاء النص يكوّن قولاً"[٥].
- تعريف هيالمسلاف (Hjelmslev): "النص: ملفوظ لغوي، قد يكون محكياً أو مكتوباً، قصيراً أو طويلاً، قديماً أو حديثاً"[٦].
- تعريف للزناد: "النص: يُطلق على ما به يظهر المعنى أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي منه عندما يترجم إلى المكتوب، وهذا الشكل الصوتي يمثل آخر طور يبلغه الكلام في تولده (البنية السطحيّة)"[٧].
- تعريف روبرت (Robert): "النص: مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكّل مكتوباً أو منطوقاً"[٨].

فالناظر إلى هذه التعريفات لا يقوى – من خلالها – على تمييز النص ممّا ليس نصاً، كما أنّه لا يجد فيها محدّدات يستند إليها في معرفة حدوده، كما أنّها لا تبيّن متى أو كيف يكون

---

(١) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٨٣.
(٢) نفسه، ص٧٢.
(٣) نفسه، ص٨٣.
(٤) نفسه، ص٨٣.
(٥) نفسه، ص٨٣.
(٦) بصل، التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق، ص٦٧.
(٧) الزناد، **نسيج النص**، ص١٢.
(٨) عزام، **النص الغائب**، ص١٢.

النص نصاً، ولكنّها تتفق على أنّ النص يتحقق نتيجة سلوك لغوي، وتشير إلى أنّ مجال النص مفتوح، ويتنوّع تمثيله، فقد يكون منطوقاً أو مكتوباً، وأنّه يتكوّن من ألفاظ منجزة، ولكنها أيضاً لا تعرض لأثر قائل النص أو كاتبه أو متلقيه، كما لا تلقي للمقام والسياق النصي أي بال(*).

الثاني: ضرب يقوم في معالجته للنص على الجملة بشكل مباشر، ولكنّه لا يكتفي ببنية النص، وإنّما يدرس أحياناً وظيفته ومحتواه وموقعه التداولي، ممّا أفضى إلى بحث النص في إطارين أنتجا تعريفات رجراجة يصعب تحديدها.

وأمّا هذان الإطاران فهما:

١- إطار النص الأحادي الجملة.

وقد حاز هذا الإطار على اهتمام بالغ من لسانيّات النص، ولم يخلُ من الحديث عنه مقال يتحدّث عن اللسانيّات النصيّة كعلم جديد، وذلك لما أثاره من إشكاليّات مثل: تحديد بنية متميّزة للنص، ومتى تكون الجملة نصاً(١).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعة

وتمّ التغلب على مأزق النص الأحادي الجملة بربط الجملة المستعملة بالمقام والتداول، فعندما تصبح الجملة قولاً منجزاً يمثل رسالة تبث لمستقبل فيستقبلها تكون نصاً، فجملة "ممنوع التدخين" التي تكتب في الحافلات والطائرات ومكاتب الإدارات، مثلاً، هي نص؛ لأنّها تتضمّن كل المواصفات المقاميّة والتداوليّة المطلوبة لذلك، فهي: جملة + مستلزمات = قولاً منجزاً = نصاً؛ وتفصيل ذلك:

١- أنّها رسالة.

٢- بُثت (لأنّها كُتبت في مكان مظنون القراءة).

٣- أنّها بُثت بقصد أنّ يتلقاها الزبائن أو المسافرون أو الزوّار.

٤- بقراءتهم إيّاها (ونفترض أن تكون في مجتمع غير أمّي) فقد استقبلوها.

٥- أنّها أدّت غايتها كأي نص طويل النَفَس(٢).

ومن ذلك نتبيّن أنّ الجملة نظريّاً نوعان:

(*) أوردت هذه التعريفات بقصد الوقوف على مراحل تطوّر تعريف النص من وجهة نظر لسانيات النص وتحليل الخطاب، والإشارة إلى أن مفهوم النص مرّ بمراحل عديدة من المخاض حتى ولد ظاهر المعالم مفصل الأجزاء في مراحل متأخّرة ونتيجة تضافر جهود مجموعة من العلماء.

(١) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٨٤.

(٢) مرتاض، **نص، نظرية، أدب**، ص٢٧٣.

- جملة – نظام (System Sentence)، وهو شكل الجملة المجرّد الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما.
- جملة – نصّية (Text Sentence)، وهي الجملة المنجزة فعلاً في المقام[١].

وهذا يُفضي إلى قيام تقابل بين الجملة باعتبارها وحدة من وحدات النظام، والنص باعتباره إنجازاً لتلك الجملة أو لعدد أكبر من الجمل، وبذلك تصبح عندنا ثنائيتان – تضافان إلى ثنائيتي: اللغة والكلام، والقدرة والإنجاز – وهما: النظام والاستعمال، والجملة والنص[٢].

٢- إطار النص متعدّد الجمل:

أقام كثير من لسانيي النص تعريفاتهم له على الجملة؛ فقد عرّف بتوفي (Petofi) النص بأنّه "وحدة لغويّة متكوّنة من أكثر من جملة"[٣]، وعرّفه فيرر (Wirrer) بأنّه: "مجموعة من الجمل المنسجمة"[٤]، وعرّفه برينكر (Brinker) بأنّه "تتابع مترابط من الجمل"[٥]، وعرّفه هارفج (Harweg) بأنّه "ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص"[٦].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والنظر في مثل هذه التعريفات يبيّن أنّ أصحابها صدروا عن تصوّر باهت للنص بنية وتكويناً، فهي لا توضّح الخواص النوعيّة المميّزة للنص، ولا تومئ إلى درس النص دلالياً أو وظيفياً، كما أنّها لا ترسم له هيكلاً بنيوياً – واضح المعالم – يبيّن كيفيّة تكوّن الجمل وترابطها للحصول على النص.

وأخذ الدارسون النصّيون، بعد ذلك، يقومون بإجراءات تنظيميّة للنصوص تقوم على الوصف اللغوي الشكلي إلى حد ما[٧]، وانقسموا حيال النص إلى قسمين:

- قسم أرجع مختلف نصوص الخطاب إلى عدد من الجمل التامّة التي تكون منجزة في عمليّة تواصل، بحيث يتولد النص من ضمّ جملة إلى جملة على منوال النحو التوليدي:

نص ← جملة١ + جملة٢ + جملة...

---

(١) الزناد، **نسيج النص**، ص١٤.
(٢) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٩٢، وص١١٤؛ وانظر: بصل، **التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق**، ص٦٧.
(٣) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٨٣.
(٤) نفسه، ص٨٣.
(٥) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٠٣.
(٦) نفسه، ص١٠٨.
(٧) شبلنر، **علم اللغة والدراسات الأدبيّة**، ص١٩٧.

ويعرّفون النص بأنّه: متتالية متوالية من الجمل المجراة؛ أي الأقوال المنجزة[١].

وقسم يرى أنّ النص يتكوّن من مجموعات من الجمل قد ضمّ بعضها إلى بعض لا من جمل مفردة، فاقترح كوخارينكو (Kukharenko) الشكل التالي لتمثيل النص:

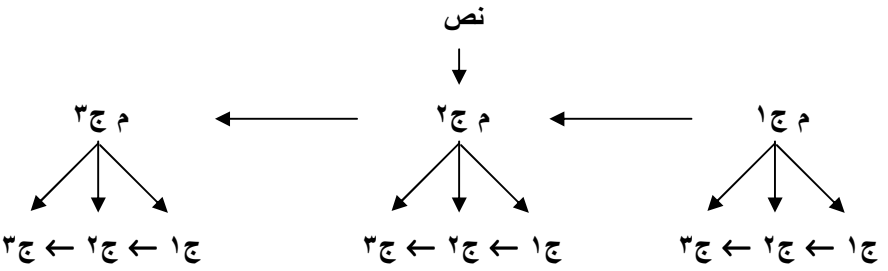

وأقام لانجليبن (Langleben) بناءً على ذلك التقابل بين ثلاثيّة: (نص، مجموعة جمل، جملة) بدلاً من الثنائيّة: (جملة، نص)[٢]، ولكنّه تعامل دلالياً مع كليّة النص، فاعتبر أنّ بنية النص كاملاً بنية حرّة مفتوحة، في حين تكون بنية مجموعة الجمل والجملة بنية مقيّدة مغلقة[٣].

واشترط بيرتينيتو (Bertinetoo) لقيام النص باعتباره مجموعة من الجمل وجوب توافر ثلاثة شروط هي:

١- أن تكون الجمل منسجمة من حيث الموضوع.

٢- أن تكون ذات وظيفة تواصليّة.

٣- أن تكون منجزة في عمليّة تواصليّة[٤].

٢- **تعريفات تغلب المضمون والجانب الدلالي وتزهد في الجانب الصياغي**؛ وتقسم هذه التعريفات إلى:

أ- قسم يعرّف النص بأنّه متتالية من الأقوال وليس من الجمل، باعتبار أنّ الجملة وحدة نظاميّة من وحدات اللغة، أمّا القول فهو استعمال لها، ولا وجود للنص قبل أن ينجزه متكلم[٥].

---

(١) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٨٩-٩٠؛ والعمري، **نظريّة الأدب في القرن العشرين**، ص٥١.
(٢) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٩١.
(٣) نفسه، ص٩٢.
(٤) نفسه، ص١٠٦.
(٥) نفسه، ص٨٨، ص٩٢؛ والعمري، **نظريّة الأدب في القرن العشرين**، ص٤٩.

ب- وقسم يعرّف النص بأنّه متتالية من القضايا؛ ويقتصر على محتواه القضوي المستفاد من الأقوال ومقتضياتها ومستلزماتها التي يمكن استخلاصها من المعرفة اللغويّة والعوالم الممكنة[١].

ويرى أصحاب هذا التعريف أنّ مجال النص هو الدلالة، ولا حاجة للالتفات إلى الجمل – التي لا تمثل إلا البنية السطحيّة – إلا بمقدار مساهمتها بتحقيقها لاتساق النص[٢]، وتتركّب القضايا في النص بتضمين بعضها في بعض على النحو التالي:

(قضيّة١ (قضيّة٢ (قضيّة٣))).

وبالتركيز على القضايا في النص، فقد أُقيمت نصّيته على المعنى الكلي له، واعتبر ما قد يكون من فساد في بعض جمله لا أهمّية له، إذ إنّ الصحّة النحويّة لكل جملة من الجمل المكوّنة للنص لا تقتضي بالضرورة صلاحه من حيث هو كل بفضل استقامة المعنى الكلي له[٣].

٣- تعريفات دمجت بين الدلالة والصياغة واعتمدت على تحقيق النص للوحدة والتمام المفضيين إلى الاستقلال:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إنّ دراسة النص من حيث هو بنية مجرّدة، وإهمال مقاميه – المقالي والمقامي – ومضمونه وتاريخه، لم تعد طريقة مرضية عند كثير من لسانيي النص؛ إذ وجدوا أنّ إهمال ما يحيط بالنص نفسياً واجتماعياً وتداولياً، والاقتصار على بحث ما يكون به الملفوظ نصاً يحرم الباحث من الوقوف على الخواص النصّية المميّزة للنص، ويمنعه من توظيف معرفته بالعالم واستخدام أدواتها في الكشف عن درجات التماسك النصّي[٤].

ورأت اللسانيّات النصّية الحديثة بعد أن طرحت نفسها بديلاً شاملاً للبلاغة والاتجاهات الأسلوبيّة – ضرورة دراسة النصوص من زاوية السيكولوجيا أو النقد الأيديولوجي، وربط الآثار النصّية المستخرجة ببعض الخصوصيّات البنائيّة للنص، والاهتمام بالنص المعالج تاريخياً، والوضع الاجتماعي للكاتب، والاختيار الذي يتبنّاه من بين الوسائل التي تمليها الظروف

---

(١) العمري، **نظريّة الأدب في القرن العشرين**، ص٥٢؛ وانظر: بحيري، **علم لغة النص**، ص١٠٩-١١٠.
(٢) خطابي، محمد، (١٩٩١). **لسانيّات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص١٣.
(٣) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٩٩، ص١٠٦.
(٤) دايك، تون أ. فان، (٢٠٠١). **علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات**. (ترجمة: سعيد حسن بحيري)، ط١، القاهرة: دار القاهرة للكتاب، ص١٤-١٨؛ وانظر: الزناد، **نسيج النص**، ص١٨-١٩، إذ يرى الزناد أنّ اللسانيّات النصّية أو نحو النص لا تبحث إلا في ما يكون به الملفوظ نصاً من خلال بحث الروابط بين جمل النص، وهو لا شك يتحدّث عن المراحل الأولى من نحو النص.

بالنظر إلى الجمهور الذي وجِّه إليه النص[١]، إضافة إلى وصف الخواص التي تحقق الوحدة والاستمراريّة البنيويّة للنص، ووصف وسائل الربط والسبك اللغويّة والمضمونيّة ومناقشة النص في سياق الإبلاغ، من حيث الإنتاج والاستقبال والعوامل الاجتماعيّة والنفسيّة التي تؤثر في النص[٢].

وفي ضوء التصوّرات التي طوّرتها طرق البحث النصّي والتداخل المعرفي فيه، فقد تحوّل علماء النص عن التعامل مع الجملة على أنّها بنية مستقلة، ونظروا للنص – مهما صغر حجمه – على أنّه "وحدة كليّة مترابطة الأجزاء أو بنية معقدة متشابكة، مكتفية بذاتها دلالياً، فيتحقق التماسك بين عناصرها المضمونيّة والائتلاف أو الترابط بين عناصرها الشكليّة"[٣].

ورأى بوجراند (Beagrande) أنّ الكيان اللغوي المتعدّد المستويات لا بدّ أنّ يكون هو النص، ولكنّ لا يمكن للسانيّات النص أن تعمل على تهيئة جو تجريدي لتوليد كل النصوص الممكنة في اللغة، واستبعاد كل ما ليس نصاً؛ فمجال التوليد مطرد الاتساع لا يمكن الإحاطة به؛ ولذلك فإنّ العمل الأهمّ للسانيّات النص هو دراسة مفهوم النصّيّة، ومن هذا المفهوم أيضاً يمكن تعريف النص[٤].

جميع حقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

واقترح دي بوجراند لفهم النص وإنتاجه واستعماله سبعة معايير، وجعلها محطّات يمرّ عليها الباحث النصّي بالنص كي يتأكّد من نصّيته، ولا يشترط تحققها جميعاً في نص ما حتى يكون النص نصاً، وإنّما يمثل بعضها مقتضيات تكميليّة ليكون النص صيغة لغويّة منجزة تامّة الإنجاز من تعيين للهدف والفائدة، والحلول في السياق المقامي[٥]، وهذه المعايير فهي[٦]:

١- الاتساق أو الترابط النحوي والمعجمي أو الحبك (Cohesion): وهي ترابط العناصر السطحيّة التي تحقق الترابط الرصفي وتشمل وسائل التضام النحويّة.

---

(١) بليث، هنريش، (١٩٩٩). **البلاغة والأسلوبيّة: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص**. (ترجمة: محمد العمري)، ط٢، المغرب ولبنان: أفريقيا الشرق، ص١٦، ص٢٨.

(٢) مصلوح، سعد، (١٩٩٩). مشكل العلاقة بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّات اللسانيّة. **قراءة جديدة لتراثنا النقدي**، المجلد الآخر، ص٨٦٠؛ وانظر: مصلوح، سعد، (١٩٩١). **في النص الأدبي دراسة أسلوبيّة إحصائيّة**. (ط١). جدّة: النادي الأدبي الثقافي، ص٤٩-٥٠.

(٣) بحيري، اتجاهات لغويّة معاصرة، ص١٤٠؛ وصمود، حمادي، (١٩٩٠). **في نظريّة الأدب عند العرب**. (ط١). جدّة: النادي الأدبي الثقافي، ص٢٠٤.

(٤) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨). **النص والخطاب والإجراء**. (ترجمة: تمام حسان)، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ص٩٥.

(٥) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٠٦.

(٦) دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص١٠٣-١٠٥؛ وأبو غزالة، **مدخل إلى علم لغة النص**، ص٢٥-٣٧، ويذكر أنّي أوردت عدّة ترجمات للمصطلح الواحد بسبب عدم الاتفاق بين المترجمين على أحدها، ولكني أوردت ما رأيته أكثر مناسبة أوّلا.

٢- الانسجام أو الالتحام أو السبك (Coherence): وتشمل عناصر المعرفة اللازمة لإيجاد الترابط المفهومي مثل العناصر المنطقيّة، وتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع الموضوع.

٣- النيّة أو القصد (Intentionality): وهي أن يكون تتالي النص خاضعاً لقصد المتكلم وغايته.

٤- القبول (Acceptability): وتتضمّن موقف متلقي النص واستعداده لقبوله نصاً.

٥- المقاميّة أو مراعاة الموقف (Situationality): وتشمل العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف.

٦- الإفادة أو الإعلاميّة (Informatively): وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصّية، أو الوقائع في عالم نصي، في مقابلة البدائل الممكنة.

٧- التناص (Intertextuality): ويتضمّن العلاقات بين النص ونصوص أخرى مرتبطة به.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

ويذكر بوجراند أنّ أكثر هذه المعايير صلة بالنص هما الاتساق والانسجام؛ فالأوّل ربط بين علامات لغويّة، والثاني ربط بين تصوّرات عالم النص. أمّا التناص ورعاية الموقف فهما عاملان نفسيّان، والإعلاميّة فبحسب التقدير، ولكن لا يمكن فهم أحد هذه المعايير دون التفكير في العوامل الأربعة جميعاً: اللغة، والعقل، والمجتمع والإجراء (Processing)[١]، وقد عرّف النص بناءً على ذلك بأنّه "حدث اتصالي تتحقق نصيّته كاملة باجتماع معايير سبعة، وهي: الاتساق، والانسجام، والنيّة، والقبول، والمقاميّة، والإفادة، والتناص"[٢].

وعند النظر في هذه المعايير نجد أنّها مثلت الثمار التي جناها بوجراند ممّا زرعه غيره من علماء نحو النص الذين ألحّوا في محاولاتهم المتكرّرة والمتتابعة على تطوير قواعد نصّية من علوم مختلفة، وبوجراند نفسه يشير إلى ذلك ويشيد بجهود كل من هاليداي ورقيّة حسن، وفان ديك، وبتوفي، وفاينريش، وبالمر، وغيرهم.

ومع أنّ نموذج دي بوجراند لمفهوم النص يعدّ الأكثر شمولاً، فإنّ إنجازات (هاليدي ورقيّة حسن Halliday M. A. K. & Hassan, Ruqaya) وفان دايك (Dijk T. A. Van) تستحوذ على اهتمام الدارسين النصّيين، وذلك لأنّها مثلت الخطوات قبل الأخيرة في مجال اللسانيّات

---

(١) دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص١٠٦.
(٢) نفسه، ص١٠٧.

النصّية، فقد كان لدراسات هاليدي ورقيّة حسن للعلاقة بين اللغة والبنى الاجتماعيّة أثر فعّال في الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى النص(١).

وبيّن هاليداي ورقيّة حسن أنّ النص "وحدة دلاليّة ينجز في شكل جمل متعالقة، ويمثل أي جزء من الكلام الشفوي أو المكتوب يكون كلاً"(٢)، وأنّ النص ليس وحدة نحويّة أوسع من الجملة ولكنّه وحدة معنويّة سياقيّة وتقوم علاقته بالجمل على الإجراء والإنجاز(٣)، أمّا وحدة النص فتقوم عندهما على عنصرين(٤):

الأوّل: بنية النص، وتتحكّم فيها ثلاثة عناصر هي:

١- المجال (Field)، ويعني الموضوع الأساسي في الخطاب بين المتشاركين فيه.

٢- نوع الخطاب (Mode)، وهو نوع النص المستخدم لإكمال عمليّة الاتصال، ويشمل طريقة بناء النص والبلاغة المستخدمة فيه، ما إذا كان مكتوباً أم منطوقاً، وما إذا كان نصاً سردياً أم جدلياً أو غيره.

٣- المشتركون في الخطاب (Tenor)، وهو طبيعة العلاقة القائمة بين المشاركين في الخطاب، أهي رسميّة أم غير رسميّة، ونحو ذلك.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الثاني: عنصر النظم، ويعتمد على مجموعة من الوسائل اللغويّة التي تساهم في وحدة النص، وتشمل الإحالة والمقارنة والاستبدال والحذف وأدوات الربط والتكرار.

ويُعدّ فان ديك علَماً بارزاً في اللسانيّات النصّية، ومثلت دراساته للنص في الجانبين الدلالي والتداولي منهلاً عذباً لأغلب دارسي نحو النص، لا سيما بعد أنّ ربط تماسك النص بضروب الروابط التداوليّة والدلاليّة معاً؛ وجعل التداوليّة تربط أفعال الكلام بمستعمليه، وأمّا الروابط الدلاليّة فتصل قضايا النص بعضها ببعض(٥).

ومع أنّه ارتكز في محاولاته لوصف شكل النص ومعناه على أسس دلاليّة منطقيّة فقد وُصفت هذه المحاولات بأنّها متقدّمة إلى حد بعيد في شرح عمليّات الترابط (النحوي) بين المتواليات النصّية، والتماسك (الدلالي) بين الأبنية النصّية الكبرى ودور القراءة والتأويل(٦).

---

(١) عوض، **نظريّة النقد الأدبي الحديث**، ص٨٢.
(٢) خطابي، **لسانيّات النص**، ص١٣.
(٣) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٤٥.
(٤) عوض، **نظريّة النقد الأدبي الحديث**، ص٨٧.
(٥) دايك، **النص والسياق**، ص٢٩.
(٦) بحيري، **علم لغة النص**، ص٢٢٠.

وتجدر الإشارة إلى أنّ فان دايك قدّم عدّة نماذج نصّية في مراحل مختلفة في إطار محاولاته لحل الإشكاليّات التي تنجم في أثناء عمليّات وصف النصوص وتحليلها وتفسيرها، ولم يصفها بالشمول، ولم يكف عن محاولة إضافة عناصر جديدة سعياً لوضع نموذج يصلح للتطبيق على عدد من النصوص المختلفة، وفي لغات مختلفة[١].

وبعد هذا التطواف مع تعريف النص على ضوء الاتجاهات والمدارس المختلفة، فإنّ الذي أرتضيه له تعريفاً هو أنّ النص: نظام كلي ينطوي على أبعاد دلاليّة ومحمولات معرفيّة تشكّل وحدةً تواصليّة في فضاء نصّي مركّب من مجموعة من العلاقات المتبادلة بين مجريات لغويّة ومعطيات إنجازيّة، خاضعة للدلالة العميقة المنتجة له، ولإطار التلقي المفترض في مرحلة الإنتاج.

نحو النص:

- تحرير المصطلح:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعة

نحو النص أحد مصطلحات عديدة وُضعت لترجمة مصطلح لساني حديث شاع في الدراسات النصّية الأوروبيّة، وهو في الإنجليزيّة (Text Grammar)، وفي الفرنسيّة (Grammaire de Text)، وفي الهولنديّة (Textgrammatik)؛ فقد عبّر عنه بعض المترجمين بنحو النص، وبعضهم الآخر بنحو النصوص أو بعلم اللغة النصّي أو بنظريّة النص أو بعلم النص أو بعلم لغة النص أو بأجروميّة النص أو بلسانيّات النص أو بلغويّات النص، وهذا الاضطراب راجع إلى عدم استقرار هذا المصطلح في الغرب؛ فقد عُبِّر عنه في الإنجليزيّة أيضاً بـــ (Linguistics of Text) و(Text Linguistics) إلى أن أصبح (Text Grammar) أكثرها قبولاً ودوراناً[٢].

ومصطلح "نحو" هنا ذو دلالة خاصّة فهو يعني كل القوانين التي تحكم نظاماً ما[٣]، وليس مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبّق على النص وتحتم على النص أن

---

(١) بحيري، اتجاهات لغويّة معاصرة، ص١٨٤.

(٢) انظر مثلا: الزناد، **نسيج النص**، ص٦، ص١٤؛ وشبلنر، **علم اللغة والدراسات الأدبيّة**، ص١٨٣؛ ودي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٦٢٨؛ وبحيري، **علم لغة النص**، ص١٣٤، ص٢١٨؛ وخليل، إبراهيم، (١٩٩٧). **الأسلوبيّة ونظريّة النص: مقالات وبحوث**. (ط١)، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ص١٢٦؛ والشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٢١٠، ص١٢٦٣، ص١٢٨١؛ وفضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٢٩٤، ص٣١٨؛ ودايك، **علم النص**، ص٤٧؛ ودايك، **النص والسياق**، ص١٣؛ وهانيه من، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ص٤٣٠؛ والفقي، **علم اللغة النصّي من النظريّة والتطبيق**، ص٢٣.

(٣) الزناد، **نسيج النص**، ص١٨.

يخضع لها مهما اختلف جنسه، وإنّما يتضمّن مجموعة من القوانين الاختياريّة التي تستخلص من النص ذاته بوصفه بنية كليّة أو بنية شاملة[١].

وبما أنّ "النحو في اصطلاح النحويين: علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً، وغرضه معرفة صواب الكلام من خطئه"[٢]، فإنّ نحو النص في اصطلاح النصيين: علم بمبادئ وأصول يعرف بها تماسك النص انسجاماً واتساقاً، وغرضه معرفة مدى تحقق نصّية النص.

- تعريف نحو النص:

هو فرع من فروع علم اللغة، يدرس النص باعتباره الوحدة اللغويّة الكبرى، ويبيّن جوانب عديدة فيه منها التماسك والترابط ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصّي ودور المشاركين في النص عند إنتاجه وتلقيّه سواء كان منطوقاً أو مكتوباً[٣].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- فضاء النشأة:

يذهب أغلب مؤرخي نحو النص إلى صعوبة نسبة هذا العلم إلى عالِم معيّن أو حصره ببلد أو بمدرسة أو باتجاه محدّد، كما يصعب التأريخ له بسنة معيّنة، ولكنّهم يرون أنّ ملامحه المميّزة ظهرت في العقد الثامن من القرن العشرين[٤]؛ إذ شهدت الدراسات اللسانيّة في تلك الفترة تحوّلاً وتوجّهاً نحو الاهتمام بقضايا النص واتخاذه موضوعاً للدراسة[٥].

وبما أنّ الدراسات اللسانيّة التقليديّة تتخذ من الجملة وحدة لغويّة كبرى للتحليل، فإنّ مَن أغرقوا في البحث في بدايات الاهتمام بالنص أخذوا يلتمسون إشارات – أوردها بعض الباحثين تفتح المجال لتجاوز الجملة ولا تشترط الوقوف عندها – ليعدّوها بدايات أوّليّة لنحو النص.

ولذلك فقد أشير إلى عمل مبكر لفايل (H. Weil) سنة ١٨٨٧م علق فيه تتابع اللفظ على تتابع الأفكار، وفصل هذا التتابع عن النحو، وقدّم من خلال ذلك المعايير الوظيفيّة للجملة، كما أشير إلى فصل من أطروحة باحثة أمريكيّة اسمها (I. Nye) تناولت فيه الربط بين الجمل

---

(١) بحيري، **علم لغة النص**، ص٢١٨-٢١٩.
(٢) الجرجاني، عبد القاهر، (ت: ٤٧١هـ). **العوامل المائة النحويّة في أصول علم العربيّة**. ط١، (تحقيق: البدراوي زهران)، دار المعارف، ص١٤٦.
(٣) الفقي، **علم اللغة النصي**، ص٣٦.
(٤) بحيري، **علم لغة النص**، ص١.
(٥) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٧٧، ويصنّف محمد الشاوش جدولاً بيّن فيه إحصائيّة لعدد الأعمال التي نُشرت في مجلة فرنسيّة تحت عنوان (Lingusitique du texte) بين عامي ١٩٧٨م و١٩٩٠م، وتشير هذه الإحصائيّة إلى تدفق هائل للدراسات النصّية في هذه الأعوام.

وعلاقاتها الداخليّة على أسس نصّية، وكان ذلك سنة ١٩١٢[١]، وعدّت إشارة هيالمسلاف (Hjelmslev) إلى ظاهرة التناسق والترابط وشبه الاعتراف – بتعبير محمد الشاوش – بوجود النص كياناً لغوياً، محطة أخرى من محطات نحو النص[٢].

ولكنّ محاولات زيلج هاريس (Zellig Harris) لنقل المناهج البنيويّة التوزيعيّة في التحليل وإقامة الأقسام إلى مستوى النص وربط النص بسياقه الاجتماعي تعدّ في نظر أغلب الباحثين البدايات الفعليّة في نحو النص، وكان ذلك في بحث نشره سنة ١٩٥٢م بعنوان "تحليل الخطاب" (Discourse Analysis)[٣][*].

وفي هذه الفترة كانت الدراسات اللسانيّة في أوروبا ومناطق أخرى من العالم قد فتحت الباب للدرس اللساني على علوم البلاغة والنقد والاجتماع والنفس والفلسفة ممّا شجّع على دكّ الحواجز التي أقيمت بينها، والجمع بين الاعتبارات اللفظيّة والتركيبيّة والاعتبارات المعنويّة والمقاميّة في مجال البحث اللساني[٤]؛ ولكن هذه النقلة الإجرائيّة في إعادة تشكيل المعرفة اللغويّة على هذا النحو كان لها أسباب هي:

١- ضيق مجال الدراسة اللسانيّة؛ فقد بدأ الباحثون يشعرون بأنّ فضاء نحو الجملة ضيّق ولم يعد كافياً للإجابة عن تساؤلاتهم، ففيه إقصاء كبير للدلالة والمعنى والسياق، بسبب تركيزه على دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها ممّا يجعل اللغة لا تعدو كونها هيكلاً شكلياً منطقياً مجرّداً، فكان التوجّه إلى بعض المعطيات التداوليّة، وتوسيع دائرة البحث من الجملة إلى النص، وربط ميدان البحث بعلوم إنسانيّة أخرى.

٢- التداخل المعرفي وانفتاح الدراسة اللغويّة على الدراسات الاجتماعيّة والنفسيّة والفنّية والإعلاميّة؛ ممّا أدّى إلى دراسة أثر هذه العوامل في بناء اللغة التي تظهر أقوالاً منجزة على شكل نصوص.

---

(١) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٨.

(٢) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٢٩؛ وانظر: فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٢٩٨.

(٣) انظر مثلاً: الفقي، **علم اللغة النصي**، ص٢٣؛ وبحيري، **علم لغة النص**، ص١٨؛ وخليل، **الأسلوبيّة ونظريّة النص**، ص١٣٠؛ وخليل، إبراهيم، (٢٠٠٢). **في النقد والنقد الألسني**. (ط١)، عمّان: منشورات أمانة عمّان الكبرى، ص١٤٧؛ وعبد المجيد، جميل، (١٩٩٨). **البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النصيّة**. (ط١). القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ص٦٥؛ ومصلوح، **نحو أجروميّة للنص الشعري**، ص١٥٣؛ وشبلنر، **علم اللغة والدراسات الأدبيّة**، ص١٨٥؛ ودي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٨٣ وغيرها.

(*) استعمل مصطلح "تحليل الخطاب" استعمالات مختلفة ليدل على لسانيّات ما وراء الجملة بصفة عامّة. راجع: دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٧٢؛ والرويلي والبازعي، **دليل الناقد الأدبي**، ص١٥٥.

(٤) الزناد، **نسيج النص**، ص٥.

٣- أزمة الاتجاهات النقديّة؛ فقد شهدت التيارات النقديّة في العقد السابع من القرن العشرين أزمة جعلتها تتوجّه إلى علم اللغة بحثاً عن حلول لمآزقها، فوجدوا أنّه – بأدواته المتوفرة آنئذٍ – عاجز عن تلبية آمالهم، ولمّا كان عمادُ الأدبِ والنقدِ النُصوصَ لا الجمل وفنون الكلام لا الأشكال اللفظيّة المجرّدة فقد وجدوا في ذلك شرعيّة للدعوة لتوسيع موضوع الدراسة اللغويّة ليشمل النص والخطاب ويتجاوز حدود الجملة.

٤- الحرص على توفير ملاءمة الدراسة اللغويّة للواقع اللغوي؛ فقد وجد اللسانيّون أنّ اختياراتهم المنهجيّة والنظريّة الماثلة لها خصوصيّات تختلف عن تلك التي سادت قبل التفاتهم إلى النص من حيث هو بنية لغويّة، ولا سيّما بعدما وجّه النقد إلى نظريّة تشومسكي التوليديّة التحويليّة وزيد الشّك في جدواها(*)(١).

ومن الجدير بالذكر هنا، أن يكون أحد البلاغيين العرب المحدثين قد تنبّه لهذه الأسباب سنة ١٩٣١م، ودعا إلى تجاوز مستوى الجملة إلى ما وراء الجملة في الفقرة والنص(٢)، حيث يقول أمين الخولي: "...فالبحث في المعاني إنّما هو بحث في طرفي الجملة – المسند والمسند إليه – وتوابعهما، ...ونجد أبحاث البيان لا تتجاوز دائرة الجملة أيضاً، ...أمّا وراء بحث الجملة فلا تجد شيئاً، بل تجد أنّ الأبحاث التي كان المرجو لها أن تتجاوز الجملة قد ردّت إليها، وألزمت حدودها فقط، فالبحث في الإيجاز والإطناب والمساواة مثلاً كان يصحّ فيه النظر إلى غرض الأديب كله، وكيف تناوله، وهل أسهب في ذلك أو أوجز...، لكنّهم لم ينظروا من ذلك إلا إلى الجملة أو ما هو كالجملة وراحوا يفاضلون بين جملة "القتل أنفى للقتل" وجملة "في القصاص حياة" (كذا) بعدِّ حروفهما، فهذا التضييق في دائرة بحث البلاغة... وأمّا التحلية فبأشياء منها توسعة دائرة البحث وبسط أفقه، فلا يقتصر على الجملة... فإنّنا اليوم نمدّ البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبيّة، ثمّ إلى القطعة الكاملة من الشعر أو النثر. ننظر إليها نظرتنا إلى كل متماسك، وهيكل متواصل الأجزاء، نقدّر تناسقه وجمال أجزائه، وحسن ائتلافه..."(٣).

(*) زيد الشّك في النظريّة التوليديّة التحويليّة – على الرغم من تعديل المنوال الأوّل لها – بسبب إقصاء تشومسكي لظواهر مثل: التكرار والتنغيم والأسلوب من مجال القدرة والنحو واعتبارها تابعة للإنجاز.

(١) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٨٠-٨١.

(٢) مصلوح، مشكل العلاقة بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّات اللسانيّة، ص٨٣٩؛ وانظر: عبد المجيد، جميل، (١٩٩٩). **بلاغة النص: مدخل نظري ودراسة تطبيقيّة**، ط١، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص١١-١٣.

(٣) الخولي، أمين، (١٩٤٧). **فن القول**. (ط١). القاهرة: دار الفكر العربي، ص٥٢، ص١٨٦؛ وانظر: الخولي، أمين، (١٩٦١). **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**. (ط١)، القاهرة: دار المعرفة، ص١٦٥-١٦٧، وص٢٦٦.

وهذه دعوة قيّمة ومبكرة جداً، وقد كانت حرية – لو وجدت مَن يتابعها أن تحدث ثورة في الدرس اللساني والبلاغي في العربية، تنتقل به من "نحو الجملة" إلى "نحو النص"[١]، وتبدو هذه الرؤية ناضجة، وصاحبها يُشخّص أسباب ضيق مجال الدراسة اللغويّة وعدم إتيانها بشيء ذي بال قياساً على ما يتوقع من توسيع دائرة البحث، ولكنّها ذهبت أدراج الرياح.

وما تشترك فيه هذه الدعوات والمحاولات – بغض النظر عن أصحابها – هو أنّ نحو النص كان إفرازاً حتميّاً لمجموعة من التحوّلات المعرفيّة والمنهجيّة التي جدّت في نظريّة اللغة، وأصولها، ومستوياتها ووظائفها، والفلسفة العلميّة الكامنة وراءها، وقد بدأ هذا الإفراز يتشكّل منهجياً مع الدراسات التي توغّلت في التنظيم الداخلي للنصوص، ولا سيّما محاولات هارفنج (Harweng) وإيزنبرغ (Isenperg) و رقية حسن التي ظهرت سنة ١٩٦٨م، إذ حاول الأوّل وصف التنظيم الداخلي للنص من خلال الحديث عن بعض العلاقات فيه، مثل: علاقة الإحالة، والاستبدال، والتكرار والترادف، والعطف والترتيب؛ واعتنى الثاني بالبحث في العوامل المتحكّمة في اختيارات صاحب النص، وعلاقات المجاورة بين الجمل، وجعلت الثالثة بحثها الموسوم بـــ"علاقات التماسك النحويّة في الإنجليزيّة المكتوبة والمنطوقة" منصبّاً على كشف علاقات الاتساق في داخل النصوص، ومعرفة القواعد النحويّة التي تنظم النص[٢].

وبعد ذلك تسارعت الأبحاث في هذا الإطار ونشر هاليداي (Halliday) بحثاً عدّ فيه النص والسياق وجهين لعملة واحدة، وأن فهم اللغة يستوجب فهم الكيفيّة التي تعمل بها النصوص، وبيّن أثر سياق الموقف في بناء النص[٣]، كما نشر فان دايك (Van Dijk) كتاباً بعنوان "بعض ملامح نحو النص" (Some Aspects of Text Grammar) سنة ١٩٧٢م اعترض فيه على النحو التقليدي ودعا إلى اتباع طرق جديدة في تحليل النص والتعامل مع النص على أنّه بنية كبرى، ومحاولة تحديد القواعد التي تحكم بنية المعنى الكلي للنص[٤].

وفي سنة ١٩٧٦م ظهر كتاب مشترك لـــهاليداي ورقيّة حسن شكّل أوّل دراسة نصّية متكاملة – قياساً على ما سبق – بعنوان: الاتساق في الإنجليزيّة (Cohesion in English) عالج فيه مؤلفاه مفاهيم مثل: النص، والنصّية، والاتساق، ...، وبحثا مظاهر الاتساق مثل: الإحالة والاستبدال، والحذف والوصل، والاتساق المعجمي[٥]، واعتبرا الاتساق جزءاً من مفهوم اللغة

---

(١) مصلوح، مشكل العلاقة بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّات اللسانيّة، ص٨٣٩–٨٤٠.
(٢) خليل، **الأسلوبيّة ونظريّة النص**، ص١٢٩–١٣٠، ص١٣٥.
(٣) عوض، **نظريّة النقد الأدبي الحديث**، ص٨٢، ص٨٤.
(٤) بحيري، **علم لغة النص**، ص٢١٩.
(٥) خطابي، **لسانيّات النص**، ص١١.

ومفهوماً دلالياً قوامه العلاقات المعنويّة الموجودة في النص وهو في الآن نفسه ما يكون به النص نصاً.

وبعد ذلك بعام، أعاد فان دايك صياغة ما تجمّع له من آراء العلماء المتفرّقة ونشر كتاباً بعنوان: "النص والسياق" (Text and Context) ركّز فيه على الظواهر الدلاليّة والتداوليّة، وبحث في مفاهيم الترابط والاتساق ومحلل الخطاب والعلاقات بين دلاليّة الخطاب وتداوليّته[١].

وجاء كتاب "النص والخطاب والإجراء" لـــدي بوجراند سنة ١٩٨٠م يمثل مرحلة متقدّمة، ويوضّح القضايا الأساسيّة التي عُولجت بشكل أعمق وأشمل، وأهمّ ما امتاز به هذا الكتاب أنّه بيّن أنّ الصفة المميّزة للنص هي استعماله في الاتصال وأنّ الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة، وبيّن معايير النصّية لأي نص[٢]، بعد أن أقام مقارنة بين النص والجملة[٣].

ومن أهمّ الدراسات التي عدّها بعض الدارسين نقلة نوعيّة في نحو النص وتحليل الخطاب دراسة من تأليف براون ويول (G. Brown & G. Yule) وعنوانها "تحليل الخطاب" (Discourse Analysis)[٤]، ويتمثل الفرق بين دراستهما وسائر المقاربات التي تناولت النص أو الخطاب في أنّهما عدا الخطاب مادة وموضوعاً وغاية، وقد اختزلا وظائف اللغة في وظيفتين هما نقل المعلومات والتفاعليّة[٥]، كما ركّزا اهتمامهما على المتلقي للنص أكثر من مُنشئه، وجعلا تأويل المتلقي للنص من أهمّ عوامل انسجامه[٦].

وهذه المحاولات والدراسات – التي بحثت عن وسائل تحليل تجاوزت فيها إطار الجملة – جاءت بمفاهيم وتصوّرات جديدة، ولكن ما يجمع بينها أنّها استندت – في القليل النصي – وإن بشكل متفاوت – على أربع مقولات جوهريّة هي: الاستعمال والتأثير والتفاعل والاتصال[٧].

---

(١) دايك، **النص والسياق**، ص١٤.
(٢) دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص١٠٣.
(٣) نفسه، ص٨٩.
(٤) يُشير فان دايك إلى أن مفهوم علم النص سمّي في المجال اللغوي الفرنسي بعلم النص (Science duTexte)، وفي الإنجليزيّة بتحليل الخطاب (Discourse Analysis)، راجع: دايك، **علم النص**، ص١٤.
(٥) براوند ويول، **تحليل الخطاب**، ص١.
(٦) خطابي، **لسانيّات النص**، ص٤٧-٥٠.
(٧) بحيري، اتجاهات لغوية معاصرة، ص١٤٨.

- مهمّة نحو النص:

ازدهر هذا الفرع المعرفي الجديد في الثمانينات من القرن الماضي، وطُرحت في إطاره آراء عديدة ومنها ما هو متباين إلى حدٍ ما، وأصبح الاعتماد على تصوّر موحّد أمراً صعباً، ولكن برزت بين هذه الأطر قواسم مشتركة؛ منها: أنّ تلك الدراسات عالجت نصوصاً، وكانت في معالجاتها تسعى إلى إبراز الطبيعة الكليّة للنصوص من خلال الوصف والتحليل وربط ذلك بالحاجات الاجتماعيّة(١).

وهذه القواسم المشتركة تخللها حديث عن النتائج المرجوّة من البحث النصّي والمهام التي يمكنه القيام بها؛ فقد اتفقت آراء العديد ممَّن عالجوا النص وتكرّرت رؤاهم، إذ لا يغادرون – في حديثهم عن وظائف نحو النص ومهمّاته – أمرين هما:

أولاً: الوصف النصّي.

ثانياً: التحليل النصّي(٢).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويشمل الوصف والتحليل مختلف العلاقات الداخليّة والخارجيّة للنص بأبنيته ومستوياته المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة، وبيان التأثيرات التي تحدثها النصوص على المتلقين(٣)، كما يشملان وصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال وكيفيّة قيام النص بوظائفه(٤).

فمهام نحو النص تتجاوز مهمّة علم اللغة التقليديّة، ولا تقتصر مهامه على مجرّد تنظيم الحقائق اللغويّة فحسب، ولا تقف عند المستويات اللغويّة؛ الصوتيّة والصرفيّة والدلاليّة من خلال وصف ظواهر كل مستوى وتحليلها، وإنّما تعدّته إلى الاهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه وقواعده وخواصه وآثاره، وأشكال التفاعل ومستويات الاستخدام وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصّية في المتلقي، وأنواع المتلقين وصور التلقي، وانفتاح النص وتعدّد قراءاته(٥)، فهو يهدف إلى صياغة نظريّة نصّية عامّة تشكّل الأساس لوصف شامل للأشكال

---

(١) هينه من وفيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ص٣.
(٢) الفقي، **علم اللغة النصّي بين النظريّة والتطبيق**، ص٥٥.
(٣) فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٣١٨-٣١٩.
(٤) دايك، **علم النص مدخل متداخل الاختصاصات**، ص١١.
(٥) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٦٢-١٦٣.

النصّية المتباينة وعلاقاتها المتبادلة يسهم بشكل فعّال مع النظريّة اللغويّة في تشكيل نظريّة عامّة للاتصال الفعلي الذي يتم عبر النص[١].

وهكذا فمهمّة نحو النص توضيح السمات والخواص الفرديّة وأشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة ودرجات الربط النحوي والترابط الدلالي، وتحليل الخواص المعرفيّة العامّة التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النصّية المعقدة في مرحلة الأداء، وإعادة إنتاجها في مرحلة التلقي[٢].

إنّ الاتساع المعرفي الذي يختصّ به نحو النص يجعل أداء مهمّته لا يعرف الاجتزاء، ولا يتوقف عند حد، ولا يقبل شروطاً مسبقة، وإنّما ينتقل من مستوى إلى مستوى آخر، وفي إطار وحدة كليّة، وفي صورة منظمة، بحيث يعالج ظواهر نصّية مختلفة مثل: علاقات التماسك النحوي النصّي، وأبنية التطابق والتراكيب المحوريّة، والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسّرة، والتحويل إلى الضمير، والتنويعات التركيبيّة وتوزيعاتها في نصوص فرديّة، وغيرها من الظواهر التركيبيّة التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكليّة[٣].

مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد حاول أحد الباحثين ترتيب خطوات هذا الأداء بما يلي:

أوّلاً: إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل.

ثانياً: وصف شكل النص، وموضوعاته، ووصف هذه الأدوات والروابط.

ثالثاً: التحليل، بإبراز دور هذه الروابط في تحقيق التماسك النصّي مع الاهتمام بالسياق والتواصل[٤].

وهذه المحاولة هي إحدى المحاولات المطّردة الرامية إلى وضع منهاج علمي يحدّد العلاقات النحويّة في النص، ويدرس الترتيب، والتنظيم مع التنبيه على أهمّ الروابط التي تسهّل على كل من المبدع والقارئ إدراك التماسك النصّي وربطه بالمستوى التداولي[٥] الذي يصمّم

---

(١) بحيري، اتجاهات لغويّة معاصرة، ص١٤٦.
(٢) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٤٣.
(٣) العبد، محمد، (١٩٨٩). **اللغة والإبداع الأدبي**. (ط١). القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ص٣٣.
(٤) الفقي، **علم اللغة النصي بين النظريّة والتطبيق**، ص٥٦.
(٥) خليل، **الأسلوبيّة ونظريّة النص**، ص١٤٧.

دور المتلقي والموقف وهدف النص والمقام ونوع المعلومات المطروحة وأنواع التفاعل وأشكال السياقات، وكيفيّة التواصل.

وبذلك يمكن لنحو النص أن يقدّم تفسيراً مقنعاً لكثير من الظواهر التي توصف بالشذوذ في قواعد اللغة، ويمكن أن يكون معيناً على تفسيرها تفسيراً مقنعاً[١]، لأنّ نحو النص ينظر إلى النص بشكل كلي، ولا يقف عند بنائه التركيبي إلا بقدر ما يؤثر هذا الركن البنائي في النص الكلي.

ومن مهمّات نحو النص الأخرى التي توقعها فان دايك: أن يمكّن من صياغة القواعد التي تمكّننا من حصر كل النصوص النحويّة في لغة ما[٢]، كما توقع دي جراند أن تؤثر مساهمات نحو النص في دراسات الترجمة لأنّها أمر من أمور الأداء التي عجزت اللسانيّات التقليديّة عن تقديم ما يساعدها في الترجمة الآليّة[٣].

- **البحث اللغوي بين نحو الجملة ونحو النص:**

على الرغم من محاولات أتباع علم اللغة الاجتماعي ربط اللغة بالسياق والبُعد الاجتماعي، فقد عجز نحو الجملة عن تقديم المقتضيات المعرفيّة اللازمة لفهم اللغة بأشكالها التفاعليّة المختلفة، ومستويات استخدامها المتنوّعة بسبب وقوفه عند حدود الجملة واعتبارها البنية الكبرى في الدراسة والتحليل، ممّا جعل تجاوز مستوى الجملة أمراً ضرورياً؛ فثمّة ظواهر لا يمكن أن توصف في إطار الجملة التي تنتقل من كونها كلاً في مرحلة عزلها عن سياقها المقالي والمقامي إلى مرحلة تكون فيها جزءاً من منظومة أكبر هي النص[٤].

ولا يعني هذا – بحال من الأحوال – إلغاء أو إقصاء ذلك التراث النحوي الضخم الذي بيّنت مفاهيمه ورسمت تصوّراته منذ قرون على أيدي أجيال متعاقبة من اللغويين، إنّما هو السعي لإثراء البحث اللغوي بأدوات ووسائل جديدة في البحث والتحليل لاستكمال جوانب النقص وسدّ الثغرات في الجهود السابقة[٥]؛ فوجود البنية الكليّة العليا "النص" لا يقصي مقولات نحو الجملة، بل على النقيض من ذلك تماماً؛ إذ يشكّل مستوى الجملة الأساس لأي وصف تالٍ[٦]،

---

(١) مصلوح، سعد، (١٩٩٠). العربية من "نحو الجملة إلى نحو النص". **دراسات مهداة إلى ذكرى عبد السلام هارون**، الكتاب التذكاري لجامعة الكويت، ص٤١٦، نقلاً عن: بحيري، **علم لغة النص**، ص١٤٣.
(٢) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٥٦-١٥٧.
(٣) دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٥٧٦.
(٤) انظر: دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٨٩، حيث يذكر فروقاً بين النص والجملة.
(٥) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٣٣.
(٦) نفسه، ص٢٣٩.

ومنه ينطلق البحث عن عناصر توضّح منطقيّة الجمل وصلتها بالموقف التواصلي الذي يجعل من النص وحدة كليّة.

فالنص نظام شامل؛ تتحكّم بالمستوى الأوّل منه القواعد النحويّة والدلاليّة التي تحدّد الترتيب الداخلي فيه، ويتعلق ذلك بمستوى الجمل أو المتواليّات الجمليّة؛ أمّا المستوى الثاني فيتحدّد بالنظر إلى النص كاملاً بوصفه وحدة كليّة، ويتم ذلك بتجاوز مجموع المعاني الجزئيّة التي تتحصّل عبر المستوى الأوّل(١)، حتى يتم الوصول إلى المستوى الأشمل، وهو البنية الكبرى التي تتركّب من قضايا تحيل على الوقائع نفسها(٢).

فنحو الجملة أو اللسانيّات التقليديّة يقف عند وصف الجمل وصفاً يستند إلى المكوّنات النحويّة، أمّا نحو النص فيستعمل وصف الجمل كعتاد من أجل وصف النصوص، ويمكنه أن يفيد – في ذلك – من جميع المنجزات التي حققتها الأسلوبيّة والبلاغة والشعريّة الحديثة، وإخضاعها لمفاهيم التراتب في الأبنية الكبرى(٣)، فكل منهما – نحو الجملة ونحو النص – قائم على الآخر، وكما أنّ الكلمة تتكوّن من الحروف والجملة تتكوّن من كلمات، فإنّ النص يتكوّن من الجمل، وكما أنّ الكلمة لا تقدّم في الجملة إلا معنىً معجمياً جزئياً، فإن الجملة لا تقدّم في النص إلا دلالة جزئيّة وبيّنة غير مكتفية بذاتها(*)، ولكنّه يرتكز عليها ارتكازاً شديداً(٤)؛ وليس المقام مقام مفاضلة بين نحو الجملة ونحو النص – كما قال بتوفي – فإنّ لكلٍّ حدوداً وأهدافاً ووسائلَ، ولا خلاف في أنّ الجملة هي المقولة الأساسيّة في النظريّة اللغويّة، ولكن الوحدة الأساسيّة للاتصال ليست الجملة بل النص(٥).

وتحليل نص يتطلب تصوّرات واسعة تشمل عناصر نحويّة ودلاليّة ومنطقيّة وتداوليّة يحدّدها نوع ذلك النص؛ إذ تتغيّر عناصر التحليل بتغيّر نموذج النص شكلاً ومضموناً، ويتسم التحليل النصّي بالديناميّة الحرّة في استخلاص المعايير والقيود من النص، ولا يفرض شكلاً

---

(١) بحيري، **علم لغة النص**، ص٢١٩.
(٢) العمري، **نظريّة الأدب في القرن العشرين**، ص٦٠.
(٣) فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٣٤٩.
(*) هذا بشكل عام وعند المعالجة الشاملة، إذ من المعلوم أنه قد تصبح الجملة أو الكلمة نصاً إذا اصطحبها مقتضيات سياقيّة، وعند ذلك تكون نصاً وليس جملة أو كلمة مجرّدة، ومثاله ما ورد عن عبارة "ممنوع التدخين"، وكلمة "قفْ" التي توضع عند مفترقات الطرق على إشارات المرور.
(٤) الفقي، **علم اللغة النصّي بين النظريّة والتطبيق**، ص٤٩.
(٥) بحيري، **علم لغة النص**، ص٢٨٥.

تحليلياً معيّناً على نص من خلال تصوّرات مسبقة[١]؛ لأنّ النص لا يخضع لقواعد معياريّة مثل الجملة[٢].

ولكنَّ هناك أنظاراً عامّة يضعها الباحث النصّي بين عينيه عند معالجة أي نص، ومن هذه الأنظار: التماسك النصّي، ومقبوليّة النص وتحقيقه للتواصل. وقد ذكر محمد خطابي أنّ اتساق النص وانسجامه – وهما ركنا التماسك النصّي – يحتلان موقعاً مركزياً في جميع الدراسات التي تبحث في تحليل الخطاب ونحو النص، ولا نكاد نجد واحدة منها تخلو من هذين المفهومين أو من أحدهما[٣].

ميّز علماء النص بين هذين المفهومين[٤]؛ فقد عدّوا الاتساقَ (Cohesion) قائماً على الصياغة، والانسجامَ (Coherence) قائماً على المضمون، وحسب دي بوجراند فإن الاتساق من مظاهر النحويّة والانسجام من مظاهر المقبوليّة[٥].

ويمثّل الاتساق والانسجام أهمّ معلمين من معالم نصّية النص، وغالباً ما يبحث اتساق النص قبل انسجامه؛ لأنّ دراسة الاتساق هي جزء من دراسة تحقق الانسجام، فبعض القرائن اللفظيّة يجعل من نص ما منسجماً كما يمكن أن يتحقق الانسجام دون وجودها، إذ تكون عندئذٍ مظاهر الانسجام تأويليّة لا لغويّة؛ "ويقصد عادة بالاتساق: ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطاب ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللغويّة (الشكليّة) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته"[٦].

"ومن أجل وصف اتساق الخطاب/ النص يسلك المحلل – الواصف طريقة خطيّة، متدرجاً من بداية النص (الجملة الثانية منه غالباً) حتى نهايته، راصداً الضمائر والإشارات

---

(١) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٤٠-١٤١.

(٢) الزناد، **نسيج النص**، ص٢٠؛ وانظر: الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٠٢-١٠٣، حيث فرّق جوبتك (Gopitik) بين القواعد الجمليّة والقواعد النصّية، ورأى أن كل قاعدة يمكن أن تجاوز حدود الجملة قاعدة نصّية وإن كل قاعدة تطبّق داخل حدود الجملة ولا تتجاوزها قاعدة حمليّة، وجاء هذا نتيجة الحرص على التفريق بين الجملة والنص.

(٣) خطابي، **لسانيّات النص**، ص٥.

(٤) يُشار إلى هذا التمييز لم يكن في بدايات نحو النص جلياً عند علمائه الأوائل، وقد خلطوا بين الاتساق والانسجام وجعلهما بعضهم شيئاً واحداً، ولكن بعد استواء نحو النص علماً مفصّل المعالم ميّزوا بينهما – كما أُشير أعلاه – وهذا ما سيسير عليه هذا البحث.

(٥) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٠٩.

(٦) نفسه، ص١٠٩.

المحيلة، إحالة قبليّة أو بعديّة، مهتمّاً أيضاً بوسائل الربط المتنوّعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة والاستدراك وهلمّ جراً"[١].

أمّا الانسجام فهو أمر نسبي، ولكنّه أعمّ من الاتساق وأعمق؛ إذ يتطلب من المتلقي الاهتمام بالعلاقات المعنويّة الظاهرة والخفيّة[٢]، ويعتمد على معرفته بالعالم الذي تحيل عليه الجملة أو الجمل، فقد يكون النص الواحد منسجماً أو غير منسجم بحسب معرفة المتلقي بعالم النص[*]، وجملة المعارف الحاصلة في ذهن منشئه أو متقبّله؛ ومثل هذا الطرح يجعل من الانسجام بين القارئ والنص أكثر منه بين الأجزاء المكوّنة للنص، وقد أدّى التطرّف في هذا الطرح إلى دعوى موت المؤلف، وافتراض انسجام النص مسبقاً، واعتبار المتلقي معيداً لإنشاء النص[٣].

ويُلاحظ أنّ باحثي نحو النص لا يختلفون حول وجوب الاهتمام بصورة ائتلاف الجمل في النص، ولكنّهم يختلفون في نظرتهم لانسجام النص بحسب منطلقاتهم، فالذين يركّزون على صياغة قواعد نحويّة تركيبيّة للنص يطيلون الوقوف عند التتابع الخطي للجمل[**]، أمّا الذين يغلبون الدلالة والتأويل فيرون أنّ التتالي الخطي الأحادي البُعد ليس مجال انسجام النص، فمجاله تنظيم ترتيبي متعدّد الأبعاد تحكمه مجموعة من الشروط، وانسجام النص ووحدته يرتكزان على مجموعة من العناصر، بحيث تشكّل الروابط المختلفة من وسائل لغويّة وغير لغويّة تنظم عناصر العالم النصّي، ويكون حينئذٍ انتظام جمل النص دليلاً على انتظام العناصر المكوّنة لعالم ذلك النص[٤].

وبذلك فإنّ السمة الأساسيّة القارة في النص هي صفة الاطراد والاستمراريّة، وهي التي تكون بالتواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكوّنة للنص[٥]، وتتمثل بما يُعرف بالتماسك

---

(١) خطابي، **لسانيّات النص**، ص٥، ويلاحظ أنّ محمد خطابي يضع الخطاب مرادفاً للنص وهذا ما لا نقرّه عليه.

(٢) نفسه، ص٦؛ وانظر: مفتاح، محمد، (١٩٩٠). **ديناميّة النص: تنظير وإنجاز**. (ط٢). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٤٤.

(*) وقد اعتمد بعض علماء النص مثل جينوت (Genot) ورَسِلْ (Russell) على جملة شهيرة هي "ملك فرنسا أصلع"، ورأوا أنها نص منسجم لمَن لا يعرف أنه ليس لفرنسا حالياً ملك وغير منسجمة لمَن يعرف ذلك، وكذلك فإن وضعت في سياق يتحدّث عن مرحلة الملكيّة في فرنسا فإنها تكون منسجمة، وإلا فلا. انظر: الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١١٤.

(٣) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١١١-١١٣.

(**) أبرز مثال على هؤلاء: هاليداي ورقيّة حسن في: (Cohesion in English).

(٤) دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدلالة: بحيري، سعيد حسن، (١٩٩٩). **دراسات في العلاقة بين البنية والدلالة**. (ط١). القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ص٧٩-٨٠.

(٥) عبد المجيد، **بلاغة النص**، ص١٥.

النصّي وهو مجموعة الروابط النحويّة والدلاليّة التي تحقق الصلابة والوحدة الضروريّة اللازمة لإبراز الطابع العلمي لأي نظام تفكير[١]، وهو ما ينضوي تحته كل من الانسجام والاتساق.

أخذ الاتساق والانسجام الحيّز الأكبر في البحث النصّي، ولكن معالجتهما تباينت من باحث لآخر؛ فقد عالج هاليداي ورقية حسن الاتساق بشكل مفصّل في كتابهما "الاتساق في اللغة الإنجليزيّة"[٢]، وعالج كل من فان دايك وبراون وبول الانسجام ومقوّماته دون أن يعنوا بالتفاصيل الدقيقة للاتساق؛ ولكن معالجاتهم أثبتت أنّ التماسك النصّي – الذي يبيّنه الاتساق والانسجام – ليس مجرّد خاصيّة تجريديّة للأقوال، كما أنّه لا يتحدّد على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل فحسب، وإنّما عن طريق البنية الكبرى التي استند إليها هاليداي وطوّرها فان دايك.

فالأبنية الصغرى التي يمثلها كل من المتتاليات والجمل تأتي جزءاً من التمثيل الدلالي الكلي الذي يحدّد معنى النص باعتباره عملاً كلياً فريداً وهو البنية الكبرى، وبدون هذه البنية الكبرى والقواعد التي تحكمها وتكمن تحتها يمكن أن يُنْزَلَقُ بسهولة إلى تصوّر أنّ التماسك النصّي مجرّد رابط سطحي وخطي بين الوحدات الجزئيّة، في حين نجد أنّ البنية الكبرى تشكّل التماسك الكلي المتضمّن للاتساق والانسجام، وتحتوي التماسك الجزئي المحلي في المستوى الكامن تحت متتاليات الجمل؛ أي تتضمّن التعالق والترابط بين الأبنية الصغرى والأبنية الكبرى[٣].

فالتحليل النصّي يبدأ – إذن – من البحث في تحقق البنية الكبرى فعلياً، عن طريق الاتساق والانسجام، وفيما يلي سنعرض موجزاً لأدوات كل من الاتساق عند هاليداي ورقية حسن، والانسجام عند فان دايك، وسيتم تفصيل ذلك كله خلال تطبيقه على خطب عمر بن الخطاب ورسائله ووصاياه.

أوّلاً: أدوات الاتساق عند هاليداي ورقية حسن، ويمكن إيجازها بالشكل التالي[٤]:

---

(١) الفقي، **علم اللغة النصّي بين النظريّة والتطبيق**، ص٧٣؛ وبحيري، **علم لغة النص**، ص١٢٠-١٢١؛ وفضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٣٤٠.

(٢) لم يكن المؤلفان يفرّقان بين الاتساق والانسجام، ولذا فقد وردت عندهما بعض مقوّمات الانسجام وعدّاها من مقوّمات الاتساق مثل الإحالة المقاميّة (Exophora).

(٣) فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٣٤٤.

(٤) لتفصيل ذلك انظر: خطابي، **لسانيّات النص**، ص١٦-٢٥؛ والشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٢٤-١٥٠.

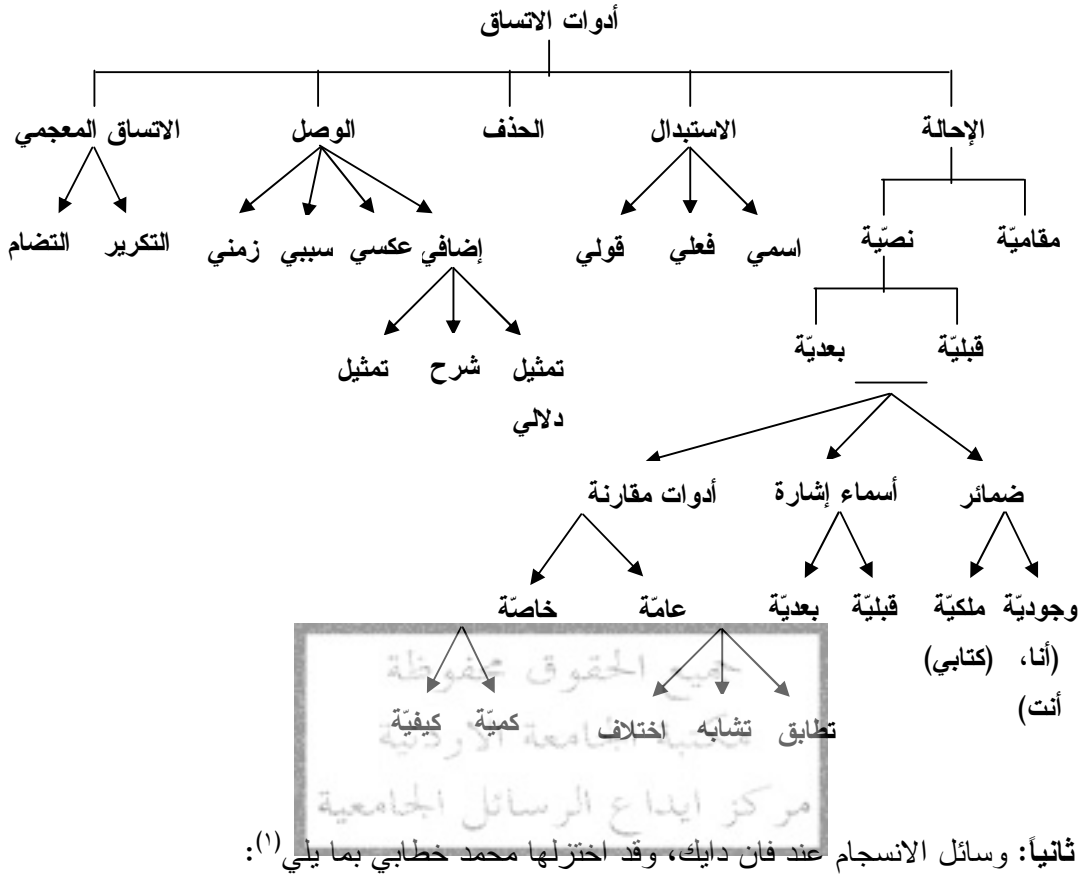

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً: وسائل الانسجام عند فان دايك، وقد اختزلها محمد خطابي بما يلي[١]:

أ- تطابق الذوات؛ مثلاً التطابق بين الاسم والضمير المحيل إليه.

ب- علاقات: التضمّن، الجزء – الكل، والملكيّة، مثل الغرفة جزء من البيت المملوك لشخص ما.

ج- مبدأ الحالة العاديّة المفترضة للعوالم عموماً والحالات الخاصّة للأمور أو مجرى الأحداث.

د- مفهوم الإطار، ويرتبط بتضييق تأويلات السياق غير المرتبطة بالسياق.

ه- التطابق الإحالي.

و- تعالق المحمولات.

ز- العلامات الرابطة بين المواضيع الجديدة، مثل الحوار الداخلي (المنولوج) والتذكر.

ويرى فان دايك أنّ تبيّن وسائل الانسجام هذه يتم بالتزامن مع العلاقات التي تحكم ترتيب الوقائع في النص، وهي:

---

(١) خطابي، **لسانيّات النص**، ص٣٧؛ وانظر: دايك، **النص والسياق**، ص١٤-١٦، ص١٨-١٨، ص٧٣-٧٤، ص٧٨-٨٥، ص١٤٤-١٤٩.

- العام – الخاص.
- الكل – الجزء.
- المجموعة – المجموعة الفرعيّة – العنصر.
- المتضمِّن – المتضمَّن.
- الكبير – الصغير.
- الخارج – الداخل.
- المالك – المملوك.

ويعدُّ تغيير هذا الترتيب دون أن يحقق أغراضاً معيّنة سلفاً سبباً في جعل الخطاب غير منسجم(١).

ولكن براون ويول لا يعتبران الانسجام شيئاً معطى، أو شيئاً موجوداً في النص ينبغي البحث عنه والعثور على مجسداته؛ إذ لا يملك النص في ذاته مقوّمات انسجامه، وإنّما المتلقي هو الذي يسند إليه هذه المقوّمات، بحيث يكون كل نص قابل للفهم والتأويل منسجماً، وإلا فلا؛ وهما بذلك يستندان إلى السياق ويجعلان له دوراً مزدوجاً، فهو مرشد إلى فهم النص وتأويله، وموجّه نحو التأويل المقصود ومحدّد له في آن واحد(٢).

إنّ فاحص هذه الأنظار والمحاولات المختلفة يجد أنّ في كل منها قصوراً، وتتجه نحو غاية تنحرف عن معالجة الموضوع بشموليّة، وتقترب من منطلقات حدّدها أصحابها سلفاً، واتبعوا في مقارباتهم وسائل متباينة من فريق لآخر، ولكن تضافر معطيات هذه المحاولات جميعاً ومحاولة التأليف بينها يجعل منها منهجاً شمولياً وطريقة معبّرة للتعامل مع النص وبيان أدوات تماسكه مجتمعة.

وقد حاول بعض الباحثين الإفادة من هذه المحاولات مجتمعة، وحدّد وسائل التماسك وأدواته بالشكل التالي(٣):

---

(١) خطابي، **لسانيّات النص**، ص٣٦–٤٠؛ وانظر: نفسها عند فان دايك.
(٢) خطابي، **لسانيّات النص**، ص٥٢؛ وانظر: براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص٢٦٧–٢٦٨؛ والشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٥٣–١٧٨.
(٣) الفقي، **علم اللغة النصّي بين النظريّة والتطبيق**، ص١٢٠.

أدوات التماسك النصّي(*)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويبدو من هذه المقارنات أنّ صياغة نظريّة شاملة لنحو النص لم تتحقق بعد، ولكن يمكن رصد العلاقات النصّية داخلها وخارجها من خلال الاتكاء على هذه المقاربات جميعاً، من نظريّات النقد وعلم اللغة والبلاغة وعلم الدلالة والتداوليّة واللسانيّات الاجتماعيّة ومعطيات علم النفس.

(*) يذكر أن صبحي الفقي وضع مصطلح (Cohesion) مقابلاً للتماسك النصّي في هذا التقسيم مع أنه ناقش هذا المصطلح ومصطلح (Coherence)، ص٩٤-٩٦ من بحثه ورأى "أن المصطلحين يعنيان معاً التماسك النصّي" ص٩٦، ومع ذلك اكتفى بالجزء للدلالة على الكل واعتمد على مصطلح (Cohesion)، وهذا خلط من الباحث جرّه إليه اعتماده الأكبر على البحوث الأولى في نحو النص وخاصّة بحث هاليداي ورقية حسن الموسوم بـــ(Cohesion in English).

نحو النص والإجراء (محاولة تأطيريّة):

النص كيان متعدّد المستويات يعرّف تبعاً لمعايير النصيّة، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات الداخليّة والخارجيّة، تشترك في معالجته مجموعة من الخبرات المتنوّعة، من نفسيّة واجتماعيّة ولسانيّة؛ لتبيان العلاقات القائمة بين المكوّنات النصيّة وربطها بما يحيط بالنص من سياق تواصلي وأبعاد نصيّة(١).

ولقد مثلت مقاربات تحليل النص سيكولسانياً، والربط بين الدلالة والتداوليّة، صيرورة غنيّة متشعّبة، عُنيت بالبحث في مستويات النص ووحداته وقواعده لتتاح إمكانيّة معاينة النص من خلال خصائص السياق المعرفي والاجتماعي والإيديولوجي للأشكال والدلالات والوظائف الناتجة عن مجموع البيّنات النسقيّة التي تتضمّن الخطاب وتستوعبه(٢).

ولمّا كان نحو النص نتاجاً لهذه الصيرورة، فقد سعى إلى معرفة القواعد التي تحكم بنية المعنى في النص، ووضع إطار نظري يصف النص في مستوييه الأفقي والعمودي، وينفذ إلى أعماقه، ويحاول الوقوف على جميع العلاقات التي تساهم في إنتاج الدلالة الكليّة المنبثقة عنه، دون أن يقتصر على الوحدات اللغويّة الصرفة في الكشف عن المكوّنات النصيّة، وإنّما يحاول دراسة النص، تراكيب وأبنية ووظائف، بمعايير علميّة مشتركة(٣) من خلال المقابلة بين المحورين: الأفقي والعمودي، والبنيتين: النصيّة الصغرى والكبرى(*).

والمحوران الأفقي والعمودي متداخلان؛ فالنص ينمو بطريقة أفقيّة حسب آليات معيّنة مثل أدوات الربط الحرفيّة والاستعارات والكنايات والمجاز المرسل، ويقسم هذا الترابط الأفقي إلى نوعين: أحدهما خاص، وهو الذي يبحث فيه لسانيو الخطاب، وثانيهما عام، وهو ما ينطلق من ثوابت قليلة مفترضة يبرهن عليها بقراءة النص قراءة متعدّدة قائمة على حفريات في اللغة ممّا يؤدي إلى علاقة أفقيّة شاملة. كما أنّ النص يتوالد ويتناسل بطريقة عموديّة متدرّجة من

---

(١) دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٨٩-٩٦.

(٢) يقطين، سعيد، (٢٠٠١). **انفتاح النص الروائي: النص والسياق**. (ط٢)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص١٦.

(٣) بحيري، **علم لغة النص**، ص٢١٩.

(*) يُذكر أن رامان سيلدن يرفض فكرة البنى النصيّة ويعدّ ذلك من باب معاملة النصوص بوصفها أشكالاً عضويّة ممّا يهضم حق القراءة الذاتيّة ويجعلها محكومة بقواعد مسبقة، ويتكئ في ذلك على ما جاء من رفض بارت لتأسيس بنية محدّدة للمعنى في النص أو في القارئ في كتابه (S/Z) (سيلدن، رامان، (٢٠٠٢). رفض البنى النصيّة. (ترجمة: عزيز المطلبي)، **مجلة نوافذ**، (٢٢)، ١١٩-١١٥).

العام إلى الخاص ممّا يسمح بالاستدلال الغيابي[١] الذي يجعل من متلقي النص قادراً على الانتقال من معرفة المعلوم إلى معرفة المجهول أو ما يسمّى بـــ"ما وراء النص"[٢].

أمّا البنيتان النصّيتان: الصغرى والكبرى، فالأولى تشمل أبنية النص النحويّة والدلاليّة التي تحدّدها الجمل أو المتواليات الجمليّة، وتتحكّم فيها القواعد النحويّة التي توصف من خلالها الجمل؛ وتشمل الثانية النظام العام الذي يحكم حركة النص، ويحدّد الترتيب الكلي لأجزائه[٣].

فالبنية النصّية الكبرى ذات طابع شمولي، وذات صبغة دلاليّة تجريديّة شاملة للنص، تنشأ عن تماسك بنيوي شامل للنص، تحققه المتتاليات الجمليّة على المستوى الخطي أو الأفقي، ويتم تحديد هذه البنية من خلال اختيار العناصر المهمّة في النص؛ وهذا الاختيار يخضع لاهتمامات المتلقي ومعارفه، ممّا يجعل تحديدها معرّضاً للاختلاف من شخص لآخر دون الابتعاد عن الجوهر المضموني للنص المعالج[٤].

فطبيعة البنية النصّية الكبرى الدلاليّة، وتعلقها بمدى التماسك الكلي للنص تجعل من المتلقي محدّداً أساسياً لها، إذ إنّ مفهوم التماسك يرتبط كثيراً بمجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ على النص؛ لأنّ المتلقي عندما يتلقى النص لا يتلقاه خلواً من أي سابقة دلاليّة، بل يتلقاه مزوّداً بالأعراف والتقاليد القرائيّة والثقافيّة التي يوفرها له مجتمعه، فيصحّ لفهم النص عنده أفقان متقابلان: أفق النص، وأفق المتلقي، وهما ينصهران ليولدا عمليّة القراءة أو التلقي[٥] التي تساهم في صنع الخطاب النصّي.

فالتماسك النصّي يتوقف على فهم المتلقين وتجاربهم ومعارفهم وأهدافهم، وليس مجرّد نوع من الظواهر الموضوعيّة للقول فحسب، بل هو ظاهرة بنيويّة تأويليّة ديناميكيّة تتدخّل فيها معارف شتى لتجعل من أجزاء النظام النصّي كلاً موحّداً تتخلله شبكة مترابطة من العلاقات الحميمة[٦].

---

(١) مفتاح، محمد، (٢٠٠١). **التلقي والتأويل: مقاربة نسقيّة**. (ط٢)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٢١٩.

(٢) بركة، بسام وقويدر، ماتيو والأيوبي، هاشم، (٢٠٠٢). **مبادئ تحليل النصوص الأدبيّة**. (ط١). مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان، ص١٧٩.

(٣) فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٣٣٠–٣٣١؛ وبحيري، **علم لغة النص**، ص٥١٩.

(٤) فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٣٣١.

(٥) ريكور، بول، (٢٠٠٣). **نظريّة التأويل: الخطاب وفائض المعنى**. (ترجمة: سعيد الغانمي)، ط١، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص١٧.

(٦) فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٣٤٠؛ ومفتاح، **ديناميّة النص**، ص٥٣؛ وانظر: الطعان، صبحي. بنية النص الكبرى، **عالم الفكر**، ٢٣(١، ٢)، ٤٤٤.

وبذلك، فإنّ المعالجة النصّية ضمن هذا الإطار – نحو النص – تقتضي وصف الأشكال اللغويّة ابتداء من الوحدات الوظيفيّة الشاملة، أي التي لها تأثير جوهري في بقيّة العناصر، ومن ثمّ الجوانب المحوريّة الشاملة التي تبرز الموضوع الأساسي في النص، ويركّز في ذلك كله على علاقة النص بالملقي وظروف الإلقاء ودور المشاركين في العمليّة اللغويّة، وكيفيّة اختيار المبدع لأدواته اللغويّة، ثمّ يأتي دور العناصر المكمّلة وغيرها من عناصر النص الثانويّة.

وبناءً عليه، فإنّ الخطوات الإجرائيّة التي سيتم معالجة النص وفقها ستكون على النحو التالي:

أوّلاً: النظر إلى الدائرة النصّية ومعالم النصّية، وذلك عبر:

١- تحديد البنية الكليّة للنص؛ وذلك من خلال البحث في الدلالة العامّة للنص، وإبراز أثر السياق العام في تحديد هذه الدلالة العامّة.

٢- تحديد البنى النصّية الكبرى؛ وذلك من خلال حصر الأركان الهامّة التي تتشكّل منها البنية الكليّة للنص، والتوقف عند أهمّ المحطات في النص.

٣- تفكيك البنى النصّية الصغرى التي تشكّل البنى النصّية الكبرى؛ وبيان الكيفيّة التي تتماسك بها هذه البنى فيما بينها.

٤- أثر أدوات التماسك في البنية الكليّة للنص، والكفاية النصّية فيه.

ثانياً: أدوات نحو النص وعلائقه التي تحكم النص، من خلال البحث في:

أ- الوحدة النصّية العامّة: وتشمل موضوع النص، وقائله، وأين قيل النص، ومتى قيل، ولماذا قيل، وكيف قيل، ولمَن قيل، والسياق النصّي الخاص، والإحالات الخارجيّة.

ب- الوحدات النصّية الكبرى: وفيها يتم وصف النص شكلياً، وتحدّد الجوانب المحوريّة التي تتفاعل عن طريق الترابط المفهومي والعناصر المنطقيّة.

ج- الوحدات النصّية الصغرى: وتشمل وسائل الاتساق، وعناصر الترابط الرصفي، وتعالق الوقائع مثل: الترتيب الزمني، وعلاقة السبب بالنتيجة، والعلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل.

أمّا الطريق إلى النص، فستكون بحسب ما يقتضيه الدرس دون الإفراط في تقديم صياغة مفصّلة، بين يدي التحليل، إلا إذا كان المقام مستوجباً لذلك، وذلك لأنّ الأسس النظريّة التي يتكئ

عليها البحث، والمقولات المنهجيّة الفاعلة في التحليل، وما تستدعيه من تعريف بالمصطلحات والانتماء المدرسي الذي يشكّل العقيدة العلميّة للباحث قد ورد ذكرها في التمهيد، وأخذت حقها في الوجود.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثاني

نحو النص والخطب العمريّة: الخطوات الإجرائيّة بين التفصيل والإجمال

أوّلاً: النظرة التفصيليّة (تطبيق على خطبة البيعة).

– الدائرة النصيّة: معالمها ونحو النص (السيرورة والصيرورة).

- **البنية الكليّة للنص.**
- **البنى النصيّة الكبرى.**
- **البنى النصيّة الصغرى.**

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

– الوحدة النصيّة العامّة ونحو النص (التعالق والانسجام).

- **قائل النص.**
- **موضوع النص.**
- **لماذا قيل النص.**
- **لمن قيل النص.**
- **أين قيل النص.**
- **متى قيل النص.**
- **كيف ألقي النص.**
- **إحالات النص إلى خارجه.**

– تفاعل الوحدات النصيّة (الكينونة والإنتاج).

– نحو النص والمعطيات اللغويّة (الاتساق وتحقيق الرؤى):

١- الإحالة:

- **الضمائر والتطابق الإحالي.**
- **ألفاظ الإشارة.**

٢- الاستبدال.

٣- الحذف.

٤- العطف.

٥- الاتساق المعجمي.

- **التكرار.**
- **المصاحبة المعجميّة.**
- **الألفاظ المعبّرة عن علاقات التضمّن.**

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

٦- التعريف والتنكير.

ثانياً: النظرة الإجماليّة (قراءة في خطب عمر):

الخطب العمريّة ونحو النص: مظاهر الاتساق وملامح الانسجام.

- الاتساق النصّي من خلال الوحدات المعجميّة وعلاقاتها.

- الاتساق النصي: دلالة وتركيباً.

- الانسجام النصي في الخطب العمريّة.

الفصل الثاني

نحو النص والخطب العمريّة: الخطوات الإجرائيّة بين التفصيل والإجمال

تحتاج المعالجة النصيّة – قراءةً ومساءلة – إلى ضوابطَ ومحدّداتٍ تقي الباحث من التفاعل العاطفي مع النص، فلا ينقاد مع النص بفعل شحنات النص الشعوريّة ومحمولاته الفكريّة وإشعاعات بنائه الفني، وإنّما يظل يتلقى النص تلقياً محايداً متسلحاً بقوّة معرفيّة تعضده متى احتاج إليها.

وهذا ما تقتضيه مخاطبة النص وآليّة التعامل معه حتى لا يضيع المعالج في تلافيف النص وحنايا قائله، ويستطيع أن يخرج من النص بنتائج مبنيّة على العقل والمنطق العلمي المتبع، فتشكيل صورة معيّنة عن النص تتكئ على خطوات تعتمد إحداها على أخرى، ويتمّم بعضها بعضاً.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولمّا كانت الغاية من دراسة نحو النص معرفة كيفيّة قيام النص نصاً، ومدى تأثره بالمعطيات الخارجيّة، فقد صار بحث النص بتفاصيله الدقيقة أمراً ملحاً، بحيث يُسبر غور النص ويُعرف ما أدّى إلى مثوله نصاً، وهذا يتطلب الخوض في جميع هذه التفاصيل صغيرها وكبيرها، مخفيّها ومظهرها.

ومع هذا، فبحث النصوص العمريّة لا يعني السير معها نصاً نصاً، وتتبّع جميع دقائقها، لأنّ هذا ممّا يتعذر القيام به والقدرة عليه؛ ولذلك فقد وقع الاختيار على نص واحد من كل جنس نثري من هذه النصوص؛ فكان اختيار أولى خطب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بعد توليه الخلافة محاولةً لتبيان مقوّمات الخطبة العمريّة واستوائها نصاً.

ولم يكن ترجيح أن تكون هذه الخطبة أولى خطب عمر بن الخطاب بعد التولية – اعتماداً على ما أورده كثير ممن روى أخبار عمر وكتب سيرته[١] – هو المسوّغ الوحيد لتناولها

---

(١) ابن عبد ربه، أبو شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت: ٣٢٧هـ). **العقد الفريد**، جزء (٤)، ص٦٥؛ والطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ). **تاريخ الرسل والملوك**. الجزء (٣)، ص٤٣٣؛ وابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، (ت: ٥٩٧هـ). **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**. ط١، (دراسة وتحقيق وتعليق: السيّد الجميلي)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣، ص٧٧؛ وصفوت، أحمد زكي، (د.ت). **جمهرة خطب العرب في العصور العربيّة الزاهرة**. بيروت: المكتبة العلميّة، ج١، ص٧٩؛ وعاشور، محمد أحمد، (١٩٨٥). **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**. (ط١)، القاهرة: دار الاعتصام،=

بالبحث النصّي بالتفصيل، فـ"خطبة ابن الخطاب الأولى التي تمثل مشروعه للحكم أو بيانه الخلافي كثر حولها الأخذ والرد"(١). فمنهم من أورد أنّ أوّل كلام نطق به عمر حين استخلف قوله: "إنّما مثل العرب مَثَلُ جمل أنِف(*) اتبع قائده حيث يقوده، أمّا أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق"(٢)، وهذا الكلام لا يندرج في إطار الخطبة المكتملة فأسقطته. ومنهم من قال إنّ عمر بن الخطاب صعد المنبر بعد أن ولي الخلافة فقال: "ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر، ثمّ نزل عن مجلسه مرقاةً فحمد الله وأثنى عليه"، ثمّ قال: "اقرأوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، إنّه لم يبلغ حقُّ ذي حقٍّ أن يطاع في معصية الله، وإنّي أنزلت نفسي في مال الله بمنزلة والي اليتيم، إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، تقرّم البهمة الأعرابيّة القضم لا الخضم"(٣). وهذا الكلام كذلك لا يندرج في إطار الخطبة المكتملة فأسقطته من إطار البحث النصّي المتكامل أيضاً.

فالأخذ والرد في مثل هذا الكلام كثير، ولذلك فقد قرّ في نفسي أن أثبت خطبة متكاملة ذكر كثير منهم أنّها أولى خطبه، فأبحثها، وهي كما يلي:

"خطب عمر بن الخطاب إذ ولي الخلافة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: **يا أيّها الناس، إنّي داع فأمنوا: اللهم إنّي غليظ فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدّة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منّي لهم ولا اعتداء عليهم؛ اللهم إنّي شحيح فسخّني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة؛ اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إنّي كثير الغفلة والنسيان، فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين.**

اللهم إنّي ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها، والقوّة عليها بالنيّة الحسنة التي لا تكون إلا بعزّتك وتوفيقك، اللهم ثبّتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عنّي، والمحاسبة لنفسي، وصلاح النيّات والحذر

=ص٢٥؛ وانظر: أبو صفيّة، جاسر خليل، (١٩٧٧). **الخطابة وتطوّرها في عصر الخلفاء الراشدين**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة اللبنانيّة، بيروت، ص٢١٢-٢١٣.

(١) ترحيني، فايز، (١٩٩٢). **الخطابة والنهج**. (ط١)، بيروت: دار النخيل للطباعة والنشر والتوزيع، ص٩٠.

(*) أنِفٍ: الآنف هو الذلول المنقاد.

(٢) ابن الأثير (عز الدين علي)، (ت: ٦٣٠هـ). **الكامل في التاريخ**. بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٠٨.

(٣) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ). **عيون الأخبار**. مج٢. القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٣م، ص٢٣٤.

من الشبهات، اللهم ارزقني التفكّر والتدبّر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنّك على كل شيء قدير".

وعدا كون هذه الخطبة نصاً متكاملاً، فهي تشتمل على مراحل مختلفة من الخطاب (مناداة، ومخاطبة مباشرة، ودعاء)، وتشف عن منهج عمر دون أن يمعن في تحبيره والإعداد له.

ويذكر أنّ دراسة الخطابة هنا ليست مقصودة لذاتها، عمقاً واتساعاً، فالبحث يطمح إلى وضع النص في ميزان المنهجيّة المقرّرة، والإطار النظري المقترح، وأن يترسّم كينونة النص، فيبحث في مقوّماتها، مهما كان نوع النص وجنسه.

فمن خلال هذه الخطبة يمكن أن نتبيّن ما يجعل النص نصاً، وأثر المعطيات الخارجيّة التي تساهم في ذلك، ولا سيّما قائل النص والاستراتيجيّات التي يقيّم عليها خطابه.

وبعد ذلك، تردف الدراسة التفصيليّة – لهذه الخطبة – بقراءة إجماليّة تبحث في مجمل خطب عمر بن الخطاب مجتمعة، لمعرفة كيف جعل من خطبه نصوصاً متماسكة، تتسق مكوّناتها اللغويّة، وتنسجم معطياتها الخارجيّة، وما هي مكوّنات الخطاب العمري إجمالاً؛ وهو ما يأتي في الصفحات القادمة ضمن الخطوات الإجرائيّة التالية:

أوّلاً: النظرة التفصيليّة (تطبيق على خطبة البيعة):

الدائرة النصّية: معالمها ونحو النص (السيرورة والصيرورة):

البنية الكليّة للنص:

إنّ علاقة النص باللغة التي يأتي فيها علاقة إعادة توزيع (هدم – وبناء)، ممّا يستدعي معالجته من خلال مقولات منطقيّة تتجاوز المعطيات اللسانيّة المحضة إلى النسق الدال الذي ينتجه، والمسار الاجتماعي الذي يساهم فيه باعتباره خطاباً[1]، وهذا بدوره يجعل من التعامل مع النص كلاً متكاملاً أمراً ضرورياً لاستكناه الوحدة القائمة في النص، والناتجة عن الدلالة النصّية والمعنى النصّي بمختلف أبعادهما.

ولمّا كان النص شكلاً لسانياً للتفاعل الاجتماعي، فإنّ المقام بنية أوليّة تتصدّر سائر البنى التي تجعل من النص وحدة دلاليّة؛ تكون هذه الوحدة الدلاليّة متضمّنة عند المتكلمين والمخاطبين المندرجين في فعل إنجازي تواصلي مشترك – في إرادتهم واعتقاداتهم ومعرفتهم ومقاصدهم

(١) يقطين، **انفتاح النص الروائي**، ص٢٠.

وأغراضهم[١] – وتجعل من الممكن صياغة بنية النص العامّة التي يقوم عليها النص، والتي يمكن تحديدها من ناتج التوزيع الدلالي الذي يطرحه مضمون النص ذاته[٢]، دون تشتت بين الدلالة الرئيسيّة والدلالة الهامشيّة اللتين ترتبطان بالقيم الأسلوبيّة والتعبيريّة[٣].

والبنية الكليّة – التي ترتكز على أنّ المعنى الكلي للنص والمعلومات التي يتضمّنها، أكبر من مجرّد مجموع المعاني الجزئيّة للجمل والمقاطع التي تكوّنه[٤] – تحدّد في هذا النص ليس باعتباره خطاباً خطابياً شاملاً أو كاملاً وذلك لأنّنا لم نستمع إلى هذا النص عندما أُلقي، وكذلك لم نستمع إليه مسجلاً أو محفوظاً في أدوات التسجيل الصوتي، ممّا يجعل من إمكانيّة الوقوف على استراتيجيّات إلقائه وتلقيه بشكل وافٍ أمراً بعيد المنال، وهذا النص (الخطبة) بحالته المكتوبة التي نعالجها ينطوي على تحوّلات من فضاء المسموع إلى فضاء المكتوب؛ وبين الخطابة والكتابة سمات فارقة، وعلامات مميّزة؛ فبلاغة الخطابة تعتمد على كثير من المصاحبات اللغويّة وغير اللغويّة في الكشف عن ذاتها، أمّا بلاغة الكتابة فاعتمادها منصبّ على فوضى النظم التي تتحكم فيه منظومة الإسناد وما تقتضيه من وجوه بلاغيّة[٥].

لهذا كله، سيكون تصنيف البنى والوحدات الماثلة في النص معتمداً على ما يتم استنطاقه من النص[٦]، وعلى ما عُرف عن قائله – عمر – من سمات شخصيّة، وبواعث نفسيّة، ودوافع دينيّة، وعلى ما يُعرف عن النص من أسباب وظروف إلقائيّة.

وإذا نظرنا للنص الذي نعالجه نجد أنّه يقوم على فكرة محوريّة واحدة نواتها قيام عمر – رضي الله عنه – بشؤون الخلافة، وهو يحدّد في هذا النص الشروط الموضوعيّة والذاتيّة التي يجب أن يتصف بها القائم بالحكم، ويصنّف السلوكيّات العامّة التي يجب أن يعامل الناس بمقتضاها، ويحدّد طبيعة الحكم ونوع السلطة التي سيعمل وفقها، فيؤكّد للناس ذلك بجلاء حتى لا يغفل عنه أحد، مع علمه المسبق أنّ لديهم بذلك علماً سابقاً، ويكشف لهم في الوقت نفسه ما كان مخفيّاً عنهم.

---

(١) دايك، **النص والسياق**، ص٢٦٨.

(٢) سويدان، سامي، (٢٠٠٠). **أبحاث في النص الروائي العربي**. (ط١). بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ص١٠٨.

(٣) عبد الجليل، منقور، (٢٠٠١). **علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي**. (ط١). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص٨٧.

(٤) فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٣٣٠.

(٥) خريف، محمد، (٢٠٠٢). نحو الخطابة، نحو الكتابة الهامشي: المعنى عدمه/ الهذيان نقيضه. **مجلة كتابات معاصرة**، ٤٧(١٢)، ٥٥-٥٦.

(٦) انظر: دريدا، جاك، (٢٠٠٠). **الكتابة والاختلاف**. (ترجمة: كاظم جهاد)، ط٢، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ص١٣٤، حيث يرى أن البنية لا تتضمّن الشكل والعلامة والتشكّل فحسب، وإنما تشمل عناصر التضامن المشخّصة لكليّة النص.

فالمخاطبون يعرفون حزم عمر وشدّته على مَن يحيد عن الصراط المرسوم قيد أنملة[١]، ويعرفون في الوقت نفسه أنّ عمر من أشدّ الناس حبّاً لله ورسوله ودينهما؛ ومهما تكن سياسته التي سيسير عليها فلن تجاوز شرع الله وسنّة نبيّه ومن بعده أبي بكر مهما بلغت شدّته فإنّها محكومة بقوله تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾[٢].

وما دامت هذه خطبة استخلاف فإنّ المقام يحكمها بأن تجلي الاجتهاد الشخصي لهذا الرجل – الذي كان فارضاً نفسه حياة النبي في كل المراحل، وفارضاً نفسه مدّة خلافة أبي بكر ويمثل أشبه ما يكون بالرجل الثاني في الدولة – ويحكمها بالكينونة أيضاً، إذ إنّ الدخول في مرحلة جديدة يقتضي أن تكون خطبة، كائناً مضمونها ما كان.

البنى النصّية الكبرى:

إنّ النص الذي نتعامل معه هو خطبة، وللخطابة عامّة والخطابة العربيّة الإسلاميّة خاصّة عادات وتقاليد، فهي تبدأ بمقدّمات تهيء المخاطبين وتدعوهم لاستماعها بأذن صاغية وأفهام متقدة، للعمل بها ومقاربة ما فيها؛ ولكن هذه المقدمات أخذت طابعاً دينياً يقتدي فيه الخطباء بالنبي (ﷺ)، فيفتتحون الخطب بحمد الله وتمجيده والصلاة على رسوله ثمّ يباشرون الحديث عمّا أرادوا من الخوض في أمور الدين والدنيا.

صارت هذه المقدّمات – مقدّمات الحمد والثناء والصلاة على النبي – أشبه ما تكون بعتبة البيت؛ فالخطيب يمرّ بها ولا يقف عليها، وراوي الخطبة لا يذكر منها ألفاظاً، وهذا حال مقدّمة هذا النص، ولذلك فإنّ تشكيلها المعجمي وتوزيع ألفاظها يمثل جانباً مغيّباً من هذا النص،

---

(١) الشواهد التي تشير إلى تاريخ عمر الفظ كثيرة، وقد جاءت على مرحلتين: مرحلة غلظته على النبي (ﷺ) وأصحابه حينما كان مشركاً، ومرحلة غلظته على المنافقين ومَن يؤذي الله ورسوله بقول أو عمل، ومن الأمثلة التي تشير إلى سريان هذا عنه ما جاء عن استئذانه على النبي (ﷺ) وقد كان عنده نسوة من قريش عالية أصواتهن على صوته، فلمّا دخل عمر وجد النبي (ﷺ) يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي (ﷺ): عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثمّ قال: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله (ﷺ)؟ فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله (ﷺ) (فتح الباري، ج٧، ص٥١). وممّا يعرف عندهم أيضاً أن عمر كان أوّل مَن يتبرّع بضرب عنق مَن يأتي بمخالفةٍ للرسول، وكثيراً ما ورد عنه "أن يا رسول الله دعني أضرب عنقه"، ولقد خاف بعض الصحابة من غلظة عمر، فدخل على أبي بكر عندما عهد إليه، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: "بالله تخوفني؟! أقول: اللهم إنّي استخلفت عليهم خير خلقك، أبلغ عنّي ما قلت مَنْ وراءك" (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٩٤).

(٢) سورة الفتح، آية ٢٩.

ولكن هذا الجانب لا يؤثر في نص ما إلا إذا تمّ التركيز عليه، أو حذف لغاية تتصل بمتن الخطبة[١].

وباعتبار هذه المقدّمة جزءاً من النص، فقد حكمت هذا النص بنيتان:

البنية الأولى: وهي الحمد والثناء والصلاة على النبي؛ وهذه البنية – وإن كانت غير مقصودة لذاتها – فهي ترسم معالم النص وتحدّد كثيراً من دلالاته، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعاني الإسلاميّة، وتذكر بالمِنَن الربانيّة، وشرف الدعوة النبويّة، وتحيل إلى شرع معروف وطريقة معيّنة في صياغة النص[٢]؛ فلا يستعين بخلابة ولا تزويق، وتبتعد ألفاظه عن الإغراب والتعقيد والاستكراه، ترتاح إليها الأسماع وتطمئن لها الأفئدة، وتجتمع بها النفوس المتباينة، وتساق إليها الأهواء بأزمتها، ولا تقترب من السجع المتكلف لأنّه يحيل إلى سجع الكهّان ومعاني الجاهليّة[٣].

وكذلك فإنّ اتباع عمر لسنّة النبي في الحمد والثناء، وعادة أبي بكر في الحمد والثناء والصلاة على النبي يحيل إلى اتباعه لهما في طريقة الحكم والسير على سنّة محمد (ﷺ) ونهج خليفته[٤].

مكتبة الجامعة الاردنية

البنية الكبرى الثانية: وتشمل المتن الأساسي في النص، وهي التي تحدّد الترتيب الكلي لأجزائه وتحكم نظامه العام، وهي تتحرّك ضمن ثلاث مراحل:

- الأولى: مناداة الناس.
- الثانية: إخبارهم بالدعاء وأمرهم بالتأمين عليه.

---

(١) مثال ذلك خطبة زياد بن أبيه المعروفة بالبتراء، وقد ألقاها بمسجد البصرة، بعد أن ولاه معاوية عليها، ليحدّ من تفاقم خطر الخوارج، ويعيد إليها النظام المختل، ويضرب اللصوص الذين عاثوا فيها فساداً وتخريباً، فقد جاء زياد بهذه الخطبة على غير العادة والمألوف لأنّه أراد أن يضمّنها كلام الوعيد المخالف لعادة ولاتهم والبعيد عن إلفِهم (أهل البصرة).

(٢) لأن استخدام هذه البنية – التمهيديّة – يتضمّن مجموعة العلاقات التي تجمع بين النص المحتذى (نص الرسول (ﷺ)) والنص المحتذي (نص أتباع الرسول (ﷺ))، وفيها بعض معاني التحويل والمحاكاة لأصناف الخطابات وصيغ التعبير التي يقصد بها قراءة المتلقي لمعانٍ كافية فيها، وهذا ما أطلق عليه جيرار جنيت اسم "النص الجامع" أو "جامع النص". انظر: "مدخل إلى النص الجامع"، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، مدخل إلى جامع النص، ترجمة عبد العزيز شبيل؛ وانظر: مدخل لدراسة النص والسلطة: عمر أوكان، ص٦٩؛ وانظر: لحمداني، عتبات النص الأدبي. **مجلة علامات**، ١٢(٤٦)، ٨-١٠.

(٣) كان الخلفاء يكرهون السجع ويتحاشونه، لنهي الرسول (ﷺ) عنه وتنفيره منه، وقد جاء في أخبار معاوية أنّه أملى على كاتبه: "لهو أهون عليّ من ذرّة، أو من كلب من كلاب الحرّة"، ثمّ استدرك قائلاً لكاتبه: "امحُ من كلاب الحرّة، واكتب من الكلاب" رسائل الجاحظ، طبعة الساسي، ص١٥٥، نقلاً عن: ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، ص٥٨.

(٤) لقد تنبّه أصحاب الأحزاب السياسيّة لذلك، فلا تجد خطاباً لحزب من الأحزاب المتعارضة يتبع بداية أو نهاية تشبه الآخر، أو يذكر عبارة عرفت لآخر معارض لها في النهج والطريقة، ولكن كل حزب يصوغ ما يشبه النماذج العامّة لبياناته وخطاباته.

- الثالثة: العمليّة الإجرائيّة للدعاء؛ وهذه ينتظمها سبعة أجزاء.

إنّ هذه البنية ذات طابع وحدوي شمولي متماسك يبرز منطق النص الاتصالي والدلالي؛ إذ يمكن أن نستشف منها آلية تكوين النص إنتاجاً ذهنياً وإلقاءً خارجياً؛ فتقسيمها إلى وحدات دلاليّة، وأبنية فنّية يشف عن علاقات كثيرة تتخطّى حدود الأجزاء وتهيمن على الكل من خلال الديناميّة الإبداعيّة والمتغيّرات البنيويّة فيه.

فالمرحلة الأولى – مناداة الناس – مكّنت المخاطِب – عمر – من تهيئة المخاطَبين وشدّ انتباههم لما سيقول من خلال اتباعه لأسلوب النداء المباشر في أوّل الخطبة، وهو واحد من الأساليب العادية في جذب الأنظار نحو المتكلم الذي علا المنبر واستعدّ للإلقاء.

وجاءت المرحلة الثانية – الإخبار بالدعاء والأمر – مربوطة بالأولى ولاحقة عليها؛ فبعد أن تيقن عمر من التفات الجميع إليه، وترقبهم لما سيقول فاجأهم بخبر الدعاء وبدعائه لنفسه وهو ما لا يتوقعه المتلقي آنئذٍ، إذ إنّ الموقف الذي يقفه يستدعي الحديث عن سياسته في الحكم، ويجعل من تقديم أطروحاته أمراً حتميّاً، ولكنّه عمد إلى هذا الأسلوب ليطلعهم على ما يفكّر به، وكيف تلقى – في نفسه – أمر الخلافة والقيام بالحكم؛ إذ يُشير بذلك إلى:

١- أنّ أمر الخلافة تكليف وحمل ثقيل على كاهل صاحبه يستدعي أوّل ما يستدعي من القائم عليه اللجوء إلى الله لإعانته عليه[١].

٢- أنّ القائم بهذا الأمر قائم بأمر الله يستمدّ السلطة منه وينفذ أوامره.

٣- أنّ الحَكَم بين القائم بالحكم والمحكومين هو تشريعات الله وأحكامه، ولذلك فإنّه يقيّد نفسه ويوجّه أنظارهم إليها من اللحظة الأولى.

٤- أنّ المهمّة الأولى للحاكم أن يكون إمام الناس يقتدون به في أمر دينهم، وكون أوّل خطبة يلقيها عمر شعيرة دينية وعبادة ربانيّة يجعل منه إماماً مراعياً لواجبه هذا ووصايته الدينيّة.

ولعل ما يستبعد كون عمرَ قصد إعلامهم بالدعاء فقط ويرجح هذه القراءة ترجيحاً قويّاً، ويجعل منها مداداً يسيل به النص إصرار عمر هذا على توصيف ما قام به (وهو قوله: إني داع

---

(١) ذكر القلقشندي أن عمر بن الخطاب دخل على أبي بكر في آخر أيامه، فأخبره بما عزم عليه من استخلافه؛ فأبى أن يقبل، فتهدده أبو بكر بالسيف، فما كان من عمر إلا أن يقبل. انظر: القلقشندي، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**. (تحقيق: عبد الستار أحمد الفرج). بيروت: عالم الكتب، ج١، ص٤٩؛ والصلابي، علي محمد محمد، (٢٠٠٢). **فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب رضي الله عنه: شخصيّته وعصره**. (ط١)، الإسكندريّة: دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، ص١٠٣.

فأمنوا)، إذ لا يمكن أن نتصوّر أن المخاطبين لم يكونوا ليعلموا أنّ عمر يدعو لو رفع يديه إلى السماء وأخذ يباشر الدعاء على أسماعهم، فيكون بذلك قد دعا وأسمعهم، ولكنّه قصد إلى هذه القراءة، وأكبر الظن أنّها وصلت المخاطبين استبطاناً وإن لم تكن استظهاراً.

أمّا المرحلة الثالثة – العمليّة الإجرائيّة للدعاء – فقد كانت ممارسة فعليّة لما أخبر عنه، ومثلت المساحة الكبرى من نسيج البنية النصيّة الكبرى التي شكّلت وحدة نصيّة متشابكة تربط بين أعضائها علاقات تعاضد لا انفصام لها؛ حتى أصبح كل جزء منها يفقد دلالته ومعناه دون الأجزاء الأخرى الباقية، فلو أخذنا مثلاً عبارة "أيّها الناس" أو "إنّي داع فأمنوا" لوجدناها تفقد فائدتها، ولا تستقيم إلا عندما تعود عضواً فعّالاً ضمن الجسد النصّي الكامل الذي يستمدّ حضوره من البنية الكليّة والدلالة العامّة.

إنّ علاقة التعاضد هذه تصنع ذاتها من السياقين المقامي والمقالي؛ إذ إنّ الخطاب الشفوي المنطوق يعتمد على التواصل المباشر بين المخاطِب والمخاطَب اعتماداً كبيراً، ويحدّد شكل اللغة المستعملة ومضمونها، ويجعل النص يتجاوز في دلالته معاني الكلمات الواردة؛ كما أنّ السياق المقالي يتحكّم في تشكيل البناء الداخلي للنسيج النصّي، ويحكم مكوّناته، ممّا يجعل البنية اللغويّة وجهاً آخر لبنية الموضوع ولا يمكن فصلهما إلا تعسّفاً[1].

وهذا ما يكشف عن قوّة التماسك والارتباط بين أجزاء هذه المرحلة التي ربطتها وحدة نفسيّة كامنة بين أجزاء هذه المرحلة؛ وحدة نفسيّة ظاهرها بيان منهج عمر في الحكم وباطنها الالتجاء إلى الله والخوف من تحمّل المسؤوليّة وتبعاتها.

ومن الواضح أنّ هذه المرحلة التي نادى فيها عمر ربّه – معترفاً بما فيه من نقص وعجز – كانت معتمدة في تماسكها على التكرار المعجمي اعتماداً كبيراً، وذلك من خلال تكرار "اللهم" في بداية كل جزء من أجزائها السبعة التي تعطي دلالة واحدة هي: رؤية عمر لصفات الحاكم المثالي.

ومعنى هذا أنّ قول عمر بالدعاء خلق بين أجزاء هذه البنية النصيّة، والمرحلة الثالثة خاصّة، تماسكاً وظيفيّاً جعل من كل جزء معزوّاً إلى الآخر، من خلال تعميم هذا القول.. إني داعٍ، ممّا أمكنه أن يستأنف في كل جزء "اللهم" مرّة جديدة والعودة لتناولها دون أن يجعل هذه

---

(١) إن للخطاب الشفوي المباشر مكمّلات من السياق وشخصيّة المخاطَب – تاريخاً وشكلاً – وطبيعة المخاطبين ومناسبة الخطاب ومكانه لا يمكن أن تفي بها الكتابة، فتبدو الخطبة – التي أحدثت أثراً جميلاً وحققت غايتها عند إلقائها – هزيلة مفكّكة عند قراءتها مكتوبة؛ لأنها فقدت المقوّمات التي قامت عليها (انظر: أرسطوطاليس، **الخطابة (الترجمة العربيّة القديمة)**، (تحقيق: عبد الرحمن بدوي)، ص٢٢٥–٢٢٦؛ وانظر: فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص١٢٥).

المرحلة – على الرغم من وجود منطقة زمنية فاصلة بين أجزائها – تبدو مشتتة، بل بدت كأنّها حبات عقد ينتظمها خيط واحد.

وإذا رجعنا النظر إلى البنية النصّية الكليّة وجدنا خطابها النصّي يرتكز على توازيات صوتيّة وتشاكلات دلاليّة تزخر بالعلاقات التأسيسيّة للدلالة الجزئيّة فتعلق كل جزء على الذي سبقه في داخل البنية الصغرى، وتعلق كل بنية صغرى على التي سبقتها.

البنى النصّية الصغرى:

ذكرنا أنّ النص الكلي يدور حول محور واحد جعل منه وحدة متجانسة ينتظمها تسلسل منطقي وتآلف بنيوي، يتدرّج هذا التآلف من البنية النصّية الكبرى إلى الصغرى إلى الجملة إلى كلمات الجملة الواحدة؛ فجاء جسماً واحداً أدّى كل عضو من أعضائه دوره بانتظام، وأصبح غياب كل واحد منها يؤثر على الآخر، وكما أنّ اليد تفقد وظيفتها عندما تبتر من الجسم مع أنّها تبقى يداً، فإنّ البنية النصّية الصغرى لا تفي بوظيفتها إلا ضمن الشبكة النصّية الكاملة.

وعند تفكيك البنى النصّية الكبرى إلى البنى الصغرى نجد أنّ أولاها هي بنية الحمد والثناء، وغياب صياغتها لا يعني بحال من الأحوال غياب بنيتها، فالبنية لها جانبان – شكلي ودلالي – وأيّهما وُجدَ كان دليلاً على الآخر؛ إذ إنّ وحدة النص هي مزيج من بنية النص ونوايا المؤلف وحدوس المتلقين[١]، وقد تمّ الحديث عن دلالة هذه البنية ضمن البنى الكبرى.

أمّا البنية النصّية الكبرى الثانية التي تتكوّن من ثلاث مراحل فقد مثّلت تسع بنى نصّية صغرى؛ بحيث كانت كل واحدة من المرحلتين – الأولى والثانية – بنية نصّية صغرى، وشكّلت المرحلة الثالثة سبع بنى نصّية صغرى، ويمكن تفكيكها على النحو التالي:

١- "يا أيّها الناس".

إذا تصوّرنا عمر – رضي الله عنه – ببنيته الجسميّة الضخمة[٢]، واستحضرنا تاريخه السلطوي مع النبي (ﷺ) وخليفته أبي بكر، وعرفنا أنّه نادى الناس وهو فوق المنبر، ولحظنا

---

(١) كان النقاد الجدد يرون أن وحدة النص لا تتمثل في نوايا المؤلف، بل في بنية النص نفسه، وهذا ما حدا بالبنيويين إلى عزل النظام المحيط بالنص، والإغراق في شكليّته أحياناً (انظر: سلدن، **النظريّة الأدبيّة المعاصرة**، ص١١٤).

(٢) أورد ابن الجوزي في صفة عمر: "كان عمر بن الخطاب رجلاً طوالاً، جسيماً، ضخماً، أصلع، أشيب، شديد حمرة العينين، كأنه على دابة مشرفاً على الناس، شديد الوطء على الأرض، جهوري الصوت، أعسر يسراً، في عارضة خفة، سَبَلته (مجمع الشاربين) كثيرة الشعر، في أطرافها صهبة (حمرة خفيفة)، قليل الضحك، لا يمازح أحداً مقبلاً على شأنه" (انظر: ابن الجوزي، **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، ص١٩-٢١).

ترقب الناس لما سيقول، وأرجعنا البصر في عيونهم آنئذٍ، سنقرأ من هذه البنية النصّية أشياء كثيرة غير مجرّد التنبيه، ومن ذلك:

أ- أنّ هذه هي الوسيلة اللفظيّة الوحيدة التي يمكن أن نفترضها للتنبيه؛ إذ لم يكثر من وسائل التنبيه، فلم يأت بشيء غريب، ولم يقرّر حقيقة غير قارة، ولم يستفهم عن شيء معلوم أو مجهول، ولم يتوعّد أو يتعّهد ولم يبشر أو ينفر، وإنّما اكتفى بنداء الناس وانتقل إلى المرحلة الثانية – البنية النصّية الصغرى الثانية – مباشرةً.

ب- نادى عمر المخاطبين بـــ"الناس" وهو المسمّى الطبيعي لهم(١)، ولم ينعتهم بالمؤمنين مع أنّ هذا سائغ، لأنّه يعلم أن من بينهم أعداء لله غير مؤمنين به، فترك لهم معرفة أنفسهم وتصنيفها؛ ولم ينادهم بـــ"الرعيّة" أو "العباد"، لأنّه يحترم كينونة حريّتهم، ولا يستعجل تكريس مفهوم العلاقة السلطويّة (حاكم – محكوم، راعٍ – رعيّة)، كما أنّ في ذلك اقتداء بأسلوب النبي (ﷺ) وأبي بكر الصدّيق(٢)، وبعداً عن المعجم الدلالي الذي سبق الإسلام، إذ كان يُنادى بمثل: "يا معشر الناس" أو غيرها(٣).

٢- "**إنّي داع فأمّنوا**".

تأتي هذه البنية ملتحمة بالبنية السابقة التحاماً لا يمكن الفكاك منه، وهي بمنزلة المسند الذي يستحيل الاستغناء عنه بعدما وُجد المسند إليه، وكالفعل الذي لا بدّ له من فاعل؛ لا سيّما بعد أن اشرأبّت النفوس إليها، وتوقعت حدوثها – وإن لم تتوقع معناها – وصار هذا الحدوث حتماً لا مناص منه.

ولكنّها جاءت على هذه الصيغة (إنّي فاعل فافعلوا)، لتمثل دلالة نفسيّة عميقة على رؤية عمر لآليات الحكم ونظام السلطة، فهو يبادر الناس بالفعل – من اللحظة الأولى التي يتجهون

---

(١) وهذا الأسلوب يستخدم أيضاً للدلالة على العموم، فقد ورد في خطبة قيس بن ساعدة الإيادي المشهورة أنه عندما خطب في سوق عكاظ قال: "أيّها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا، ..." ثمّ خصّ قومه بعد ذلك وقال: "يا معشر إياد، أين ثمود وعاد" (انظر: **البيان والتبيين**، ج١، ص٣٠٨-٣٠٩)، وجاء في خطبة النبي (ﷺ) بعد الفتح عبارة: "يا معشر قريش" غير مرّة، لأنه كان يخصّهم بالخطاب، وكذلك فقد كان هؤلاء ما زالوا على عاداتهم السابقة في الكلام. انظر: **سيرة ابن هشام**، ج٢، ص٢٧٣؛ والباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص١٣٢.

(٢) كان النبي (ﷺ) يستخدم هذا الأسلوب عندما يكون الخطاب عامّاً موجّهاً إلى الناس بشكل عام، وقد ورد على لسانه (ﷺ) كثيراً، لا سيّما في خطبة الوداع حيث ورد ثماني مرّات، واستخدمه أبو بكر – رضي الله عنه – في خطبة الاستخلاف حيث قال: "أيّها الناس، إني قد وليت عليكم وليست بخيركم، ..." انظر: ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج٢، ص٢٣٤؛ والطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٣، ص٢٢٤.

(٣) من اللافت للنظر أن رؤية عمر – ومن قبله النبي (ﷺ) وأبي أبو بكر – للدولة الإسلاميّة تنبع من نواة إنسانيّة شاملة على مستوى الألفاظ، وتستبعد أي مظهر من مظاهر القوميّة من خطابها، إذ لم يرد على لسان عمر أو أبي بكر أو النبي (ﷺ) لفظة تشير إلى العرب أو تخصّهم بشيء دون سواهم من سائر البشر.

إليه فيها – ثمّ يطلب منهم بعد ذلك أن يفعلوا، ولا يطلب منهم أن يفعلوا إلا بعد أن يفعل هو، وكأنّه يقول: إن لم أفعل أوّلاً فلا يمكن أن أكلف الناس فعلاً؛ ثمّ إنّه يؤسّس للتعاونيّة التي ينبغي أن تكون في العمل، فهو الذي سيدعو وهم الذين سيعينونه في هذا الدعاء بالتأمين عليه، فهو لم يقل: "أيّها الناس، أمّنوا فأنا داعٍ" أو نحو ذلك، ولو فعل هذا لكان متجبّراً من اللحظة الأولى، يريد أن يُعمل له قبل أن يعمل، وأن يحصد قبل أن يزرع؛ ولكنّه نظر إلى نفسه قبل النظر إليهم وعمل قبل أن يعملوا.

والجانب الآخر في هذه البنية النصّية أنّها تتضمّن سلطة إسكات ومصادرة من اللحظة الأولى؛ فلم تسمح للمتلقين أن يناقشوا أحقيّة قائلها في تسلم الحكم، أو في أفضليّته عليهم[1]، وإنّما يباشرهم بالفعل ويطلب منهم فعلاً ثمّ ينفرد بذاته لتقييم ذاته وذكر ما فيها من صفات يجب أن تتغيّر بمجرّد استلامه للحكم.

٣- "**اللهم إنّي غليظ، فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء الدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدّة على أعدائك، وأهل الدعارة والنفاق، من غير ظلم ولا اعتداء عليهم**".

تمثل هذه البنية النصّية الأولى من العمليّة الإجرائيّة للدعاء التي هي المرحلة الثالثة من البنية النصّية الكبرى الثانية (المتن الأساسي في النص)؛ وأولى مراحل تحويل الخطاب من (عمر إلى الناس) إلى (عمر إلى الله)، إذ كان عمر – بعد أن نادى الناس وأخبرهم بأنّه سيدعو – الطرف الأوّل والمخاطبين الطرف الآخر، ولكن بمجرّد أن تبدأ هذه البنية فإنّ دور المخاطبين يُختزَل إلى مراقبين للخطاب الذي يدور بين عمر والله، أو على أقل تقدير فإنّهم تحوّلوا من متلقين للخطاب إلى متلقين له ومشاركين فيه في آن معاً.

---

(١) نستذكر هنا خطبة أبي بكر عند استخلافه إذ قال أوّل ما قال: "إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، ...أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم" (انظر: صفوت، **جمهرة خطب العرب**، ج١، ص٦٧؛ وابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج٢، ص٢٣٤) فإذا وازنا بين الدلالة النفسيّة لبنية كل من عمر وأبي بكر نجد أن أبا بكر وضع نفسه وشخصيّته محور مساءلة، ومجالاً للمفاضلة مع الآخرين – وإن قال إنه ليس بخيرهم – بينما عمر لم يفعل ذلك، وربّما يحسن الاستئناس هنا بأن أبا بكر كان يرى عمر أقوى منه على أمور الخلافة، ويرى فيه وفي أبي عبيدة ما يؤهّلهما للخلافة (راجع حادثة السقيفة في الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٢، ص١٣٢)، وربّما يكون هذا بسبب ما حدث من خلاف بين المهاجرين والأنصار فأراد أبو بكر أن يوثق عُرى بيعته بربط فعله اللاحق بطاعة الله، أمّا عمر فقد كان إجماع الصحابة سابقاً على خلافته بعد أن سألهم عن ذلك أبو بكر (راجع: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٣، ص٢٧٤)، وقد قال بعض العلماء في حديث أبي بكر هذا: "ذهب مذهب الصالحين والأخيار في التباعد عن كبرياء الولاية، والله إنه لخيرهم، ولكن المؤمن يهضم نفسه" (راجع: التيمي، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي، (ت: ٣٥٣هـ). **الخلفاء الأربعة (أبو بكر – عمر – عثمان – علي): أيامهم وسيرهم**. (ط١)، (تحقيق: كرم أبو صيري)، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٩٩، ص٨٥).

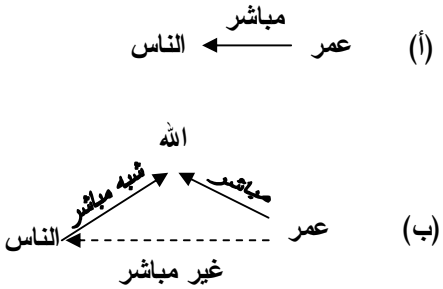

في هذه البنية نجد أنّ عمر قد غادر التنظير (القول) وبدأ في التطبيق (الدعاء)، بعد أن حوّل الخطاب إلى الله وقلب العلاقة بينه وبين الناس من حاكم ومحكومين إلى (محكوم + محكومين)، وحاكم آخر من خلال توجّهه إلى الله الذي يُحكم باسمه ويُدان له، فقامت ثنائيتان من علاقات الحاكميّة:

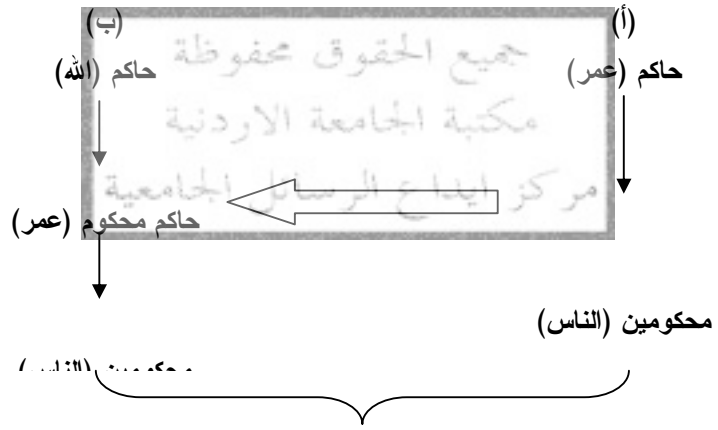

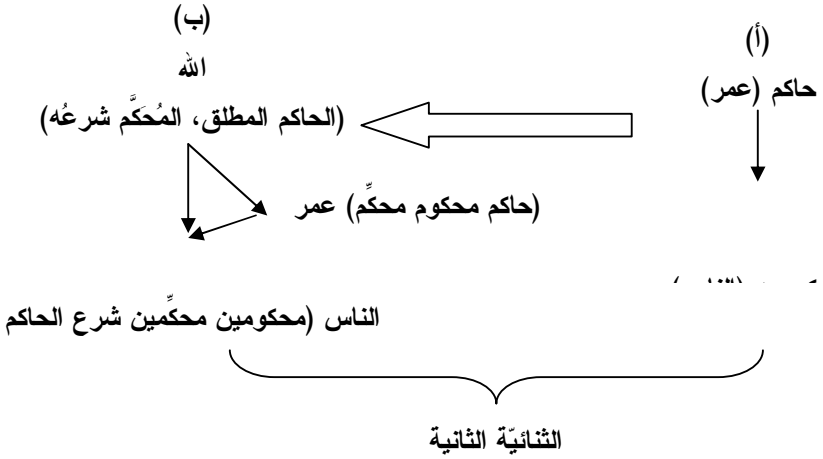

إنّ توجّه عمر بالدعاء إلى الله أن يُصرّف أفعاله ويغيّر صفاته يجعل منه محكوماً له، وحاكماً باسمه يطبّق أحكامه، ويحكم بمقتضاها؛ ولعل هذا التوجّه المباشر بالنداء إلى الله "اللهمّ"

بعد الإخبار عن الدعاء والأمر بالتأمين هو الذي يكرّس الاستمراريّة بين هذه البنية النصّية والتي سبقتها، ممّا صنع حالة الوحدة البنيويّة بينها، فبدت كل بنية كأنّها حلقة متصلة بالتي قبلها ومتداخلة معها، سواء من الناحية التواصليّة أم من الناحية الدلاليّة.

وإذا أعدنا النظر في بناء العلاقات في هذه البنية (اللهمّ إنّي غليظ فليّني لأهل طاعتك...) مرّة أخرى نجد أنفسنا نسير في خيط ينتظم حبات العقد من أوّله إلى آخره، فهي تسير وفق تسلسل طبيعي وترتيب منطقي، فعمر أوّل ما بدأ حمد الله وأثنى عليه ثم نبّه الناس ثمّ أخبرهم بالدعاء ثم طلب منهم التأمين، ثمّ نادى ثم وصف نفسه ثمّ طلب من الله أن يتصرّف في صفته ومعاملته للناس على النحو:

الله (المحمود) ← عمر (الحامد) ← الناس (المنبَّهون)

عمر (الداعي) ← الناس (المؤَمِّنون)

الله (المدعو) ← عمر (الموصوف) ← الله (المُليِّن) ← عمر (المُلان) ← الناس (المُلان لهم)

← الناس (المُغلظ لهم)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويمكن تمثيلها بهذا الشكل:

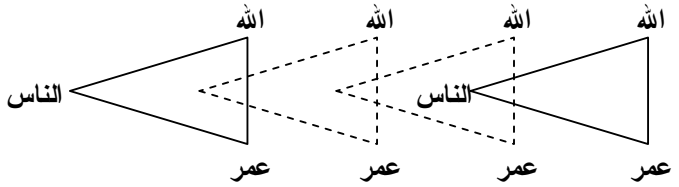

ونجد أنّ عمر – رضي الله عنه – قسّم هذه البنية وفق ترتيب تفصيلي يرتبط به، فهو الغليظ – كما وصف نفسه – يرى أنّ هذه السمة فيه عامّة ويريد من الله أن يتصرّف بها، فيغيّرها في مقام معيّن ويزيدها في آخر، وأن يقيّد تغيّرها وزيادتها برضاه سبحانه.

عمر (الغليظ) ←

عمر (ليّن)/ أهل الطاعة/ مقيّدة بموافقة الحق

عمر (أكثر غلظة وشدّة)/ أعداء الله وأهل الدعارة والنفاق/ مقيّدة بعدم الظلم أو الاعتداء

إنّ التغيير من حالة إلى أخرى يكون لسبب، وبما أنّ حالة عمر الحاليّة التي دعا فيها هي الغلظة فإنّ التحوّل سيكون منها إلى اللين، له في نفس عمر سبب، وهو ما أردفه بطلب التغيير مباشرة أي (ابتغاء وجه الله والدار الآخرة)، وقد ألحّ عمر على بيان السبب معترضاً بين

الحالتين – حاله مع أهل الطاعة وحاله مع أهل الدعارة والنفاق – لأنّ الجانب الجوهري الأهمّ سيكون في التغيير من الغلظة للين، أمّا الغلظة والشدّة مع أهل الدعارة فإنّها تحصيل حاصل وشيء موجود، والجانب الذي سيتغيّر فيها أنّها ستخصّص فقط، وإنّما قلنا إنّها ستزيد لأنّها ستخصّص بهم دون غيرهم بعد أن كانت عامّة[١].

وهذه البنيّة التي تضمّنت دعاء (اللهمّ) وإقراراً (إنّي غليظ) ورجاءً (التغيّر للين والشدّة) وضعت أولى مقوّمات الحكم، وهو الإيمان الذي يُرجى به وجه الله، فهي تتناص مع آية من آيات الله التي تصف القائم على شؤون المسلمين والبنية الداخليّة للمجتمع الإسلامي، إذ يقول الله سبحانه ﴿**محمدُ رسولُ اللهِ والذينَ معهُ أشدّاءُ على الكفار رحماءُ بينهمْ تراهمْ رُكّعاً سجّداً يبتغونَ فضلاً من اللهِ ورضواناً**﴾[٢]؛ فهو هنا تحدّث عن محمد ومَن معه، وهو آنئذٍ رأس الدولة والقائم عليها، ولذلك فمَن أراد أن يسير على نهجه، يجب أن يتصف بصفاته – وهذا ما رجاه عمر – وأن تكون غايته ابتغاء الله وهذا ما صرّح به عمر في قوله "ابتغاء وجهك والدار الآخرة"، وهذا ما أدركه عمر فكان أوّل ما دعا به؛ كما أنّها تستدعي آية أخرى وتتناص مع قوله تعالى: ﴿**فبمَا رحمةٍ منَ اللهِ لنْتَ لهم، ولو كنتَ فظاً غليظ القلبِ لانفضوا من حولِكَ**﴾[٣]. ومن هذه الآية ندرك أنّ عمر لجأ إلى الله بالدعاء أن يلينه لأنّه يدرك أن لين الحاكم رحمة من الله يؤتيها له ولهم وليست من عند الحاكم، كما أدرك أنّ هذه الفظاظة التي كانت عامّة موجبة لانفضاض الرعيّة من حول راعيها إلا إذا خُصِّصَت.

٤- "اللهم إنّي شحيح فسخني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا سمعة، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة".

إنّ هذه البنية تشاكل التي سبقتها؛ وتمثّل ركناً تركيبياً دلالياً أساسياً في تعاقب الموضوعات المحمولة ضمن محيط النص العام، ممّا يخلق فيه التكافؤ الدلالي الناشئ عن علاقة المعنى بالمبني في البنى النصيّة المتعاقبة[٤]، إلا أنّ علاقات التكافؤ هذه لا تتطابق في النص الكلي، ولو أمكن عرض عمليّة تصوير محتوى الخطاب في شكل سلم هرمي للبنى التي تشكّل

---

(١) هذا لا يعني بحال من الأحوال أن عمر كان فِعلياً غليظاً على الجميع – أهل الطاعة وأهل النفاق – إنما هذا إقرار من عمر بأن المعروف عنه آنذاك هو الغلظة، وسيصرّح بذلك في خطبة لاحقة، ولو كان عمر في حقيقته غليظاً على أهل الطاعة لانتفت عنه صحبة الرسول (ﷺ) ومعيّته بموجب الآية التي وصف بها الله النبي (ﷺ) وصحابته فقال: ﴿**محمدُ رسولُ اللهِ والذينَ معهُ أشدّاءُ على الكفار رحماءُ بينهم تراهمْ رُكّعاً سُجّداً**﴾ (سورة الفتح، آية ٢٩)، وهذا ما لم لن تجد له مسوّغاً للشك فيه ولو على سبيل الأحاديث الموضوعة عند الذين لعنوا عمر وأبا بكر – رضي الله عنهما –.

(٢) سورة الفتح، آية ٢٩.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٤) انظر: هاينه من وفيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصّي**، ص٣٨-٣٩.

الخطاب لاعتبرت البنية النصية الأولى في الخطاب الكلي والبنية النصّية الأولى في أي بنية نصيّة كبرى واقعة في أعلى السلم، ومرشحة تلقائياً لأن تكون البنية الأكثر أهمّية في موضوع الخطاب الكلي أو في البنية النصّية الكبرى(١).

ولذلك، فإنّ مشاكلة هذه البنية للتي سبقتها مهما كانت من حيث الاستهلال والصياغة والمحمولات تبقى جزئيّة؛ لما لسابقتها من أهمّية اكتسبتها من تقدّمها على البنى النصّية الأخرى، ولما لها من فضل إقامة التناظر التركيبي والمقابلة بين المعاني عليها؛ فهي التي بُدئت بـــ"اللهمّ" وهي التي أردفت بالإقرار ثمّ أتبعت بالرجاء.

فهذه البنية التي تحدّث فيها عمر ووصف نفسه بالشح – جاءت لتكشف عمّا يراه عمر من عيوب يجب على الحاكم أن يتخلص منها؛ فظاهرها إقرار من عمر على نفسه بالشحّ، وباطنها إجهاد عمر نفسه على ألا يكون عنده مقدار ذرة من شحّ؛ إذ لم يكن – رضي الله عنه – في واقع الأمر شحيحاً ولا بخيلاً(٢)، ولكنّ خوفه من أن يتصف بواحدة من الصفات التي يجب ألا تكون في الخليفة جعله يذكر هذه الصفة فيه ويدعو الله أن يخلصه منها ويبدله منها السخاء؛ ولكنّه يقيّد هذا السخاء بظروف وقيود وغاية؛ أمّا الظروف فهي النوائب وما ينزل بالإنسان من المهمّات والحوادث التي يكون السخاء فيها مطلباً ملحّاً، وأمّا القيود فهي ألا يكون في هذا السخاء ما يزيد عن سدّ الحاجة منه، وأمّا الغاية فهي ابتغاء رضى الله الموجب للجنّة والمقتضي للبُعد عن مظاهر الخيلاء والعُجب اللذين ينتجان عن جريان الحديث الحسِن على ألسنة الناس بهذا السخاء.

إنّ لهذه البنية كما لسابقاتها أبعاداً خارجيّة تحافظ على امتداد خيوط نسيج النص الدلاليّة، إذ إنّ الموجّهات التصريحيّة للصيغة المستخدمة ودلالتها بَيّنت أنّ عمر – رضي الله عنه – بيّن في دعائه أنّ صفة السخاء مطلب أساسي يجب أن يتسم به الحاكم، ولكنّ الموجِّهات الضمنيّة المستمدّة من العناصر المعجميّة (شحّ، سخاء، قصد، تبذير) تفضي إلى دلالات إيحائيّة مشتركة

---

(١) انظر: براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص١٢٥-١٢٦.

(٢) لم يكن قبل الخلافة شحيحاً، بل إنه كان يتصدّق بأنفس ما عنده، فقد ورد أنه أصاب بخيبر أرضاً فأتى النبي (ﷺ) فقال: "أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه، كيف تأمرني به؟ قال (ﷺ): إنْ شئتَ حبست أصلها وتصدّقت بها"، فتصدّق عمر بها وجعلها وقفاً على الفقراء وذوي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، والضيف، وابن السبيل (انظر: البخاري: كتاب الوصايا، رقم (٢٧٧٣)) ورواية أخرى (نقلاً عن: الصلابي، **فصل الخطاب**، ص٧٤).

بين هذه البنية النصّية وسابقها، إذ إنّ كلاً منهما تنطوي على مصدر من مصادر السلطة وشكل من أشكالها؛ وهما العنف والثروة[١].

فالعنف – أوّل مصادر السلطة، وأوّل أدواتها – ورد ذكره في البنية السابقة – وهي أوّل بنية في البنية الكبرى الرئيسة – عن طريق الحديث عن تحوّلاته، والثروة – ثاني مصادر السلطة وأدواتها – تضمّنته هذه البنية التي نعالجها عن طريق الحديث عن تحوّلات إنفاقها – من شحّ إلى سخاء – والحديث عن ظروفها – النوائب – وغايتها – رضى الله – وهذا ينمُّ عن فهم عمر لأهمّية هذين المصدرين وعمق العلاقة وكيفيّة التعامل معهما.

ولا عجب إذا أعدنا النظر في هذه البنية وتلمّسنا سيرورتها أن نجد أنّها حلقة متصلة بالبنية التي سبقتها والبنى التي تتبعها، ولا سيّما من الناحية الدلاليّة التي تحكم النص الكلي؛ فهي تشترك معهما في:

١- أنّها أخذت تشكيلة بنيوية مقاربة لهما؛ فقد بُدئت بـ"اللهمّ" وأردفت بوصف واتبعت بطلب.

٢- أنّها أحالت إلى المصدر الثاني من مصادر السلطة الرئيسة، وهو الثروة، وما سبقتها أحالت للمصدر الأوّل – العنف – وما تبعتها أعادت التركيز على المعنى الذي ورد في سابقتها، وكأنّها قيّدت بالسابقة واللاحقة.

٣- أنّ توجيه الخطاب في كل منها مباشر إلى الله وغير مباشر إلى الناس.

٤- أنّ في كل منها تلازماً مع الغاية الربانيّة من العمل؛ وفي كل منها إصراراً على ذكر الله ومساءلة الحاكم المطلق، ففي التي سبقت أكّد ذلك بقوله: "بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة"، وفي هذه: "وجهك والدار الآخرة".

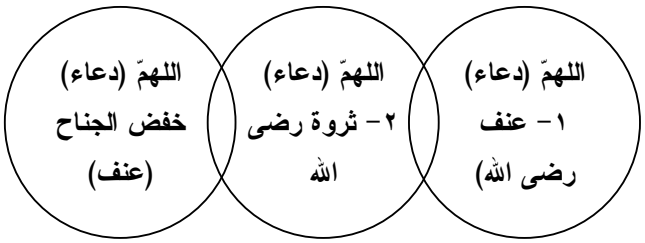

(١) انظر: القمودي، سالم، (٢٠٠٠). **سيكولوجيا السلطة**. (ط٢). بيروت ولندن: مؤسّسة الانتشار العربي، ص٧٩.

٥- "**اللهم ارزقني خفض الجناح ولِيْن الجانب للمؤمنين**".

إنّ هذه البنية تتصل أشدّ الاتصال بالبنى الأخرى، ولكنّها تختلف عن سابقتيها في:

١- أنّها خلت من مرحلة الإقرار أو الوصف (إنّي...) ولذلك كانت أقصرها مسافة وأقلها محطات.

٢- أنّها لم تقصد دلالة مستقلة بذاتها، فقد جاءت مؤكّدة لبنية (اللهمّ إنّي غليظ...) وعاضدة لها؛ وكأنّها عادت بحبلٍ لتشدّ عُراها، فخفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين هو إعادة صياغة للمعنى نفسه الذي عكسته دلالة (فليّني لأهل طاعتك...).

إنّ هذين الفرقين يجعلان من هذه البنية رافدةً للتأكيد على أهمّ مقوّمات الحاكم المؤمن وهي اللين للمؤمنين، إذ إنّ هؤلاء هم الذين أسّسوا لقيام هذه السلطة وخوّلوا صاحبها بالحكم، ولذلك فهم أحق الناس بحُسن المعاملة واللين والشعور بأنّهم جزء من الحُكم يأتيهم بالخير وليس مسلطاً عليهم.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أمّا الإصرار على التأكيد على اللين فإنّه يعكس حرص عمر الشديد على:

١- امتثال عمر الكامل لله، وتمثله لقوله تعالى: ﴿**واخفضْ جناحَكَ للمؤمنينَ**﴾.

٢- إقناع الناس أنّه سيكون ليّناً مع المؤمنين، فهو يدرك أنّ المعروف عنه أنّه كان فظاً غليظاً، ولكنّه ركّز على اللين للمؤمنين دون سواهم ليفهم الناس أنّ هذا اللين مقيّد ومخصوص بهذه الفئة، وأنّ ما عُرف عنه من غلظة ستبقى أو تزيد على غيرهم، ولعله لذلك لم يكرّر الحديث عن الغلظة إذ هي الحالة الراسخة في الأذهان قبلاً ولا تستدعي أن يؤكّدها، ولكنّ التأكيد لما سيكون خلافاً له.

٦- "**اللهمّ إنّي كثير الغفلة والنسيان، فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين**".

إنّ هذه البنية وصلة بين التي سبقتها والتي لحقتها، فجميع البنى ما تزال تتحدّث عن محور واحد هو علاقة عمر – من حيث هو الخليفة والقائد الأعلى صاحب السلطة العليا – بالناس المحكومين وعلاقتهما معاً مع صاحب الحكم المطلق والسلطة الأولى وهو الله سبحانه؛ ولأنّ حقيقة السلطة ترتد في نهاية الأمر إلى الأساس النفسي العقلي للسلطة أو لصاحب السلطة، بما في هذا الأساس من وعي بمفهوم السلطة وكيفيّة ممارستها والحفاظ عليها، فإنّ عمر – رضي الله عنه – يستمر في التدقيق في بسط المقوّمات التي تجعل من رأس الحكم كفاءة قادرة

على بناء كيان الحكم بشكل منظم "من الداخل وكل خلل حادث إنّما هو زيغ مرفوض ولا تستقر النفس حتى ينتظم، وهو أمر يلقي بضوئه على غيره بعد إصلاح نفسه، وهذه طبيعة عسكريّة، الخللُ في قاموسها هو الهزيمة بأبعادها المضنية، ولا بدّ من محاسبة النفس المحاسبة الشديدة التي ترهق، لكنّها تثمر"(١) حاكماً مؤتمناً جديراً أن يتولى منصب الخلافة الذي يمثّل نقطة اللقاء بين الدين والدنيا، وسيادة الدين على الدنيا.

وتأتي هذه البنية مُمعِنَة في شروط مَن يحكم، فيجب أن يكون فطناً يقظاً ذاكراً مراقباً لله في كل حين(٢)، مستحضراً لموقفه بعد الموت أمام الله يحاسبه إن ضيّع أو فرّط عن قصد أو غير قصد، لأنّ "كل شيء إنّما يدور حوله، ويعتمد عليه، فعزيمته أو جبنه وعدله أو ظلمه وكرمه أو بخله وجسارته أو تخاذله هي التي تقرّر النصر أو الهزيمة، وإمكانيّة أو استحالة أداء الأمّة لواجباتها الدينيّة"(٣).

٧- "**اللهمّ إنّي ضعيف عن العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها، والقوّة عليها بالنيّة الحسنة التي لا تكون إلا بعزّتك وتوفيقك**".

هذه البنية آخر البنى التي انطوت على ثلاث محطّات، نداء – وصف – دعاء، وآخر ما وصف به عمر نفسه وصفاً مباشراً؛ وهي تمثل مرحلة انتقاليّة بين الوصف المباشر وتقييد الوصف والإحالة إلى أوصاف أخرى؛ ففي سابقاتها كان عمر يصف نفسه وصفاً عامّاً مطلقاً فيقول: "إنّي غليظ، إنّي شحيح، ..." ثمّ يدعو ربّه أن يغيّر حاله من النقيض إلى النقيض، من الغلظة للين، ومن الشحّ للسخاء، ... أمّا هنا فهو يسلك سبيلاً مغايراً بحيث:

---

(١) السداني، علي خالد، (١٩٨٩). **منهج العقاد في دراسة الشخصيّات الإسلاميّة**. (ط١). صيدا وبيروت: المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، ص١٣٨.

(٢) ولم تكن الفطانة عند عمر بن الخطاب شرطاً في الخليفة فحسب، بل في القاضي وفي الوالي، فعن الشعبي أن كعب بن سوار كان جالساً عند عمر بن الخطاب فجاءته امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي، والله ليبت ليله قائماً، ويظل نهاره صائماً في اليوم الحار ما يفطر؛ فاستغفر لها وأثنى عليها، وقال: مثلك أثنى بالخير، قال: فاستحيت المرأة فقامت راجعة، فقال كعب: يا أمير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها، قال: وما شكَت؟ قال: شكت زوجها أشدّ الشكاية؟ قال: أوَذاك أرادت؟ قال: نعم. قال: ردّوا عليّ المرأة، فقال: لا بأس بالحق أن تقوليه، إن هذا زعم أنك تشكين زوجك إنه يجنب فراشك، قالت: أجل، إني امرأة شابّة وإني لأبتغي ما تبتغي النساء، فأرسل إلى زوجها فجاء، فقال لكعب: اقض بينهما، قال: أمير المؤمنين أحق أن يقضي بينهما؛ قال: عزمت عليك لتقضين بينهما فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهم، قال: إني أرى كأنها عليها ثلاثة نسوة هي رابعتهن فأقضي له بثلاثة أيام بلياليهن يتعبّد فيهن، ولها يوم وليلة. فقال عمر: والله ما رأيك الأوّل أعجب إليّ من الآخر، اذهب فأنت قاضٍ على البصرة (قلعة جي، محمد رواس، (١٩٩٧). **موسوعة فقه عمر بن الخطاب**. (ط٥). بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ص٧٢٣).

(٣) الشيخ موسى، عبد الله، (١٩٩٩). **الكاتب والسلطة**. (ترجمة: بشير السباعي)، ط١، القاهرة: مصر العربيّة للنشر والتوزيع، ص٢٨.

١- يصف نفسه بالضعف مقيّداً بحالة واحدة؛ هي العمل بطاعة الله، وينبئ هذا عن أمرين:

أوّلهما: أنّ عمر واثق بقوّته وقدرته على القيام بالأمور العامّة، ولكنّه يخشى على نفسه من التقصير في الأمور الدينيّة، وثانيهما: أنّه مُمعنٌ في التواضع إلى حدّ المبالغة أحياناً، إذ لم يكن لمَن شهد له النبي (ﷺ) بغلبته على الشيطان[١] أن يشهد على نفسه بالضعف في الطاعات إلا إغراقاً في التواضع بحيث يرى كل ما يعمله صغيراً حقيراً لا يستحق أن يُذكر، فيصبح دأبه قليلاً بجانب ما يطمح إليه من شدّة الورع والتقوى.

ينطلق عمر في وصفه هذا عن وعي مطلق بضرورة المواءمة بين ما يقول وبين ما يدور في خَلَد المتلقين؛ وعلامة هذا أنّه لم يسأل الله القوّة مقابل الضعف مباشرةً، وإنّما سأله النشاط في الطاعة، ثمّ عضد النشاط بالقوّة، وكان في البنى السابقة يطلب النقيض بنقيضه مباشرةً دون فاصل قولي، ثمّ إنّ القوّة التي طلبها هنا لم تكن مقابلة للضعف وإنّما هي القوّة المستخلصة من النيّة الحسنة.

جميع الحقوق محفوظة

ولكنّ هذه البنية تبقى حلقة من حلقات سابقة ولاحقة أدارها عمر حول مواصفات الحاكم المثالي في نظره، وهو يقرن في كل حلقة بين أمر المحكومين وأمر الحاكم، فلا يهمل مصلحة المحكومين ولا يغفل عن مصلحة الحاكم؛ فمصلحة المحكومين تتطلب أن يقوم عليهم حاكم يشتمل على صفات مميّزة، ومصلحة الحاكم تتطلب أن يكون عمله كله إرضاء لله.

٨- "**اللهمّ ثبّتني باليقين والبرّ والتقوى، وذكر المقام بين يديك، والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عنّي، والمحاسبة لنفسي، وصلاح النيّات والحذر من الشّبهات**".

تأتي هذه البنية بعد أنّ مهّدت لها مرحلة الوصف، وهي تمثل أقصى درجات الاضطراب، بحيث أصبحت الحالة النفسيّة لعمر – بعد أن عدّد ما يمكن أن تعدّ سوءات – لا تسمح بالإسهاب في تشخيص علله وطلب الدواء لها واحدة بعد أخرى، بل صار خائفاً قلِقاً يريد أن يحتاز الوصف للدعاء ليهدأ قلبه وتثبت فؤاده، وقد عبّر عن هذا الاضطراب في طريقتين: الأولى: ترك الوصف؛ والثانية: قوله: "ثبّتني" و"باليقين"، وهل أكثر من هاتين اللفظتين دلالة

---

(١) انظر: حديث النبي (ﷺ): "أيّها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجّاً غير فجّك" (فتح الباري، ج٧، ص٥١)؛ وانظر: حديث النبي (ﷺ): "عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمُص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره. قالوا فما أوّلته يا رسول الله، قال: الدين" (فتح الباري، ج١٢، ص٤١٣).

على الاضطراب وإحالة إليه؟!

غير أنّ هذه البنية كانت نتيجة للتي سبقتها، وليست طارئة في النص، ففي السابقة بدأ عمر بتعديل على أسلوبه في الدعاء وأخذ يصرّ على أن ما يريد متوقف على الله فقال: "...الحسنة التي لا تكون إلا بعزّتك وتوفيقك"، وقد كان يدعو دون حصر؛ وفي هذه وجد أنّه بعد أن نقض مقوّمات القدرة على القيام على شؤون المسلمين، وتحقيق مصلحة الحاكم والمحكوم، وجد أنّ الملاذ الوحيد هو التوجّه إلى الله المتصرّف في كل شيء، ولكنّه بحكم معرفته بعلامات الثبات أخذ يعدّدها بعد أن ذكر الاسم العام الدال على الثبات وهو اليقين؛ فالبرّ والتقوى، وذكر المقام، والحياء والخشوع، ومحاسبة النفس، صلاح النيّات والبُعد عن الشّبهات كلها نتيجة طبيعيّة لمَن تملك اليقين وحاز عليه.

وهذه البنية تدور حول محور واحد وتلحّ عليه وهو أن الحكم سيكون لله، وباسم الله؛ بمعنى أنّ شرع الله هو القانون الذي أعيد إعلانه، وسيتم السعي إلى تحقيق مقولاتها ومفاهيمها وتصوّراتها، بحيث تهيّمن على مُطبّقها وتحكمه، وتقوده وتديره، وبذلك ستلغي الأنا الممثلة بعمر والتي قد تخترق منطقها ونسقها المترابط، وبذلك يصبح اليقين الذي ينشده عمر محققاً لكونه سلطان الله في الأرض.

٩- "اللهم ارزقني التفكّر والتدبّر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت؛ إنّك على كل شيء قدير".

هذه البنية هي خاتمة البنى النصّية؛ وهي تؤدي دورين: الأوّل: لأنّها حلقة متصلة من حلقات أخر، فهي تشاكل التي سبقتها في نوع الخطاب وتوزيعه، وتكمل ما في البنى من حيث تعداد المصادر الرئيسة التي تعتمد عليها السلطة، فتذكر المصدر الثالث وهو المعرفة؛ والثاني: كونها تختم البنى النصّية بالطرف الذي بدأت به وهو الله.

إنّ "التفكّر والتدبّر والتلاوة واللسان والكتاب والفهم والمعرفة والمعاني والنظر" أدوات وتقنيات تتوزّع داخل حقل واحد هو نظام المعرفة؛ ومنها تنطلق الممارسات وتتشابك العلاقات بين فضاءات المعرفة واستراتيجيّات السلطة[١]؛ وهذا كله إنّما يمثل المشروعيّة النظريّة التي

---

(١) انظر: العيادي، عبد العزيز، (١٩٩٤). **ميشال فوكو: المعرفة والسلطة.** (ط١)، بيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ص٩.

تبحث عنها كل سلطة من أجل القبول بها واستمراريتها[١]، لأنّ "المعرفة تبقى أهمّ أدوات السلطة على الإطلاق"[٢] ومنها تأتي آليّات التحوّل ووفقها تحدّد سيرورة الحياة.

ولعل إدراك عمر لأهمّية المشروع النظري وضرورة ألا يحيد عنه هو الذي جعله يخشى ألا يوفق إليه، فلجأ إلى واضع هذا المشروع – الكتاب – أن يلهمه معرفة ظاهر القرآن وباطنه، والوقوف على ما يسمّيه الناس "نص القانون" وما يسمّونه بـــ"روح القانون"[٣] من أجل تطبيق ذلك والسير عليه. وبعد هذا التطواف بين مقوّمات الحاكم ومصادر سلطته يجد عمر أنّها لا قيمة لها إذا لم يكن رائزها العمل، ولذلك يختم نصّه به، مقرّاً أنّ صاحب السلطة الأعلى هو المصرّف لكل شيء.

إنّ علاقات الاتصال بين كل بنية من بنى النص والتي تسبقها والتي تليها تجعل منه جسماً واحداً متماسكاً، ولكن ليس بالضرورة أن تكون أعضاء هذا الجسم المتآلفة متساوية، وهذا ما نجده في هذا النص:

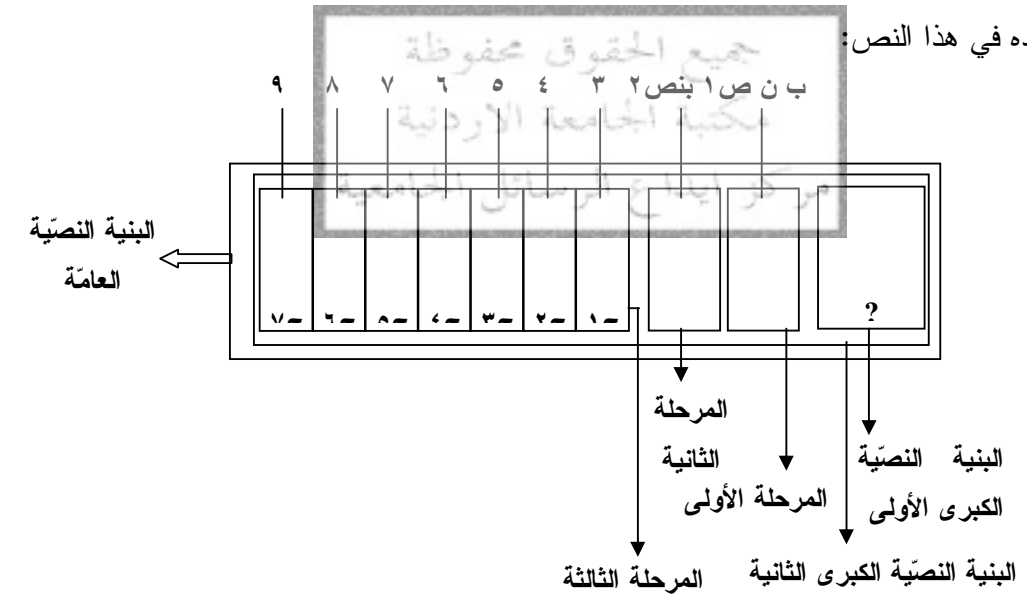

إنّ الناظر لهذا النص مجتمعاً أنّه تجمعه وحدة نسقيّة ظاهرها بيان منهج عمر في الحكم، وباطنها الالتجاء إلى الله والخوف من حمل المسؤوليّة وتحمّل أعباء الحكم وتبعاته.

---

(١) انظر: سبيلا، محمد، (١٩٩٢). **الأيديولوجيّة**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٥٧.

(٢) توفلر، آلفن، (١٩٩٢). **تحوّل السلطة**. (ترجمة: فتحي بن شتوان وعثمان نبيل)، ط١، ليبيا، مصراته: الدار الجماهيريّة للنشر، ص٢٩.

(٣) انظر: حسان، تمام، (د.ت). **اللغة العربيّة مبناها ومعناها**. (ط١)، الدار البيضاء: دار الثقافة، ص٣٣٨.

الوحدة النصّية العامّة ونحو النص (التعالق والانسجام):

تتمثل فكرة (نحو النص) – كما جاء في التمهيد – في اتخاذ النص كله وحدة للتحليل اللغوي، بوصف النص وحدة واحدة تتعالق أجزاؤها وتتفاعل فيما بينها لتنتج دلالة كليّة للنص[١]، ولهذا التعالق أو الترابط ضربان:

- تعالق رأسي: وهو ترابط بين الوحدات النصّية الكبرى.
- تعالق أفقي: وهو ترابط بين الوحدات النصّية الصغرى وبين أجزائها.

وفي كشف هذا التعالق بضربيه لا تستند الدراسة إلى معاني النحو وحدها، بل تتجاوزها إلى غيرها من الظواهر اللغويّة والاتصاليّة[٢]، وإذا كان هذا التحليل يعتمد في مداه الأوسع على البنية اللغويّة للنص، فلا يمكنه أن يهمل السياق الثقافي العام، أو السياق النصّي الخاص؛ بل يعدّهما المنهل الأوّل الذي يصدر عنه، ويعتبره أداةً فاعلة في إضاءة النص وسبر أغواره[٣].

وهذه مسألة تقتضي معايشة النص والتفاعل معه، وقراءته قراءةً مثمرة من فكر الدلالات الثابتة للظواهر اللغويّة؛ ولا يمكن إدراك لغة الناص وفاعليّتها تبعاً لتصورّات لغويّة عامّة، لا تضع في اعتبارها فاعليّة التجربة النصّية وخصوصيّتها وفرديّتها[٤]؛ وعلاقة هذه التجربة بـــ"عالم الخطاب"؛ أي مشكل العلاقة بين الخطاب والمحيط الذي يميل عليه المتكلم والمتلقي[٥]، ممّا يجعل "التعامل مع النص يقتضي دراسة الخطاب نفسه ودراسة متلقي الخطاب أيضاً"[٦].

فمع أنّ النص يكون أحياناً واضحاً سهلاً لا يحتاج جهداً للنظر فيه وفتح مغالقه، إلا أنّه يكون غنيّاً بأبعاد التلقي التي تخرج المقول من مجرّد كونه نصاً ملفوظاً أو مكتوباً لتجعل منه حلقة ربط واتصال ضمن الحيّز النفسي والاجتماعي وعلاقات الجدل بين الناصّ والمتلقي[٧].

---

(١) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص٢٦٧.
(٢) انظر: إفيتش، ملكا، (٢٠٠٠). **اتجاهات البحث اللساني**. (ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد)، ط٢، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص٣٥٢.
(٣) عبد المجيد، **بلاغة النص: مدخل نظري ودراسة تطبيقيّة**، ص٣٠-٣١.
(٤) انظر: عصفور، جابر، (١٩٨٣). **الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**. (ط٢). بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ص٩٧؛ وانظر: العبد، محمد، (١٩٨٩). **اللغة والإبداع الأدبي**. (ط١). القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ص٢٩-٣٠.
(٥) قضايا الشعريّة: ياكبسون، رومان، (١٩٨٨). **قضايا الشعريّة**. (ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون)، ط١، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ص٧٨.
(٦) عبد الرحمن، عبد الهادي، (١٩٩٨). **سلطة النص: قراءات في توظيف النص الديني**. (ط١). بيروت ولندن: مؤسّسة الانتشار العربي، ص٥٨.
(٧) غصن، أمينة، (١٩٩٩). **قراءات غير بريئة في التأويل والتلقي**. (ط١). بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ص٥٦.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ولذلك، فإنّ الكشف عن استراتيجيّات نحو النص ليست عمليّة ميكانيكيّة محضة، وإنّما هي حالة تناسبيّة توائم بين قضايا صياغة النص وآثاره، تدور حول فهم المعلومات من النص بشكل صحيح ومؤثر ما أمكن؛ لما للبنية الموضوعيّة من أثر في تكوين النص، وتحقيق أهدافه[١].

وإنّ الكيفيّة التي تستحضر من خلالها معلومات عن نص ما، تابعة لأحوال إدراكيّة وتأثيريّة خاصّة بمستخدم اللغة النصّية، وموضوع النص، وسياقيه: العام والخاص، والمعايير التي تحدّد مخطّطه الهيكلي والمضموني والدلالي؛ إذ إنّ البنية النصّية المخزنة في الذاكرة ليست مطابقة للبنية النصّية المجرّدة، ممّا يجعل من بحث هذه الأحوال أمراً ضرورياً ملحّاً[٢]؛ ويأتي هذا ضمن جملة من الإجراءات التي تراقب النص وتحدّد عمليّة إنتاجه وتوزيعه وتبيّن بالموازاة مع تركيبته الداخليّة وبنيته العضويّة – وظيفته وحقول مساراته وتحوّلاته من حيث هو خطاب مُنتَج ومُنتِج يُمَكّن من الكشف عن الكنوز الدلاليّة والرمزيّة التي يختزنها في ثناياه[٣]، وهذا ما سيتم على النحو التالي:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١- قائل النص:

إنّ لقائل النص أكبر الأثر في موضوع النص ووظيفته وبنائه؛ ولقد عدّه أرسطو الجزء الأوّل من أجزاء الكلام عندما جعل "الكلام نفسه مركباً من ثلاثة: من القائل، ومن المقول فيه، ومن الذي إليه القول"[٤]. كما قيّد به مجال التلقي أحياناً، فمثلاً استحسِنَت الإطالة من الخطباء الذين لهم مكانة الرضى والقبول في نفوس المستمعين مثل الرؤساء والأئمة ومَن يقتدى بهم، ومن تؤمَن زلاتهم[٥]؛ وقرنت بلاغة الخطيب ببنيته الجسميّة أحياناً حتى إنّنا نجد الجاحظ يعلقها (بلاغة الخطيب) على صفاته الجسديّة تعليقاً كاملاً فيقول: "وكان زيد بن جندب أشفى[٦] أقلح[٧] ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة"[٨].

---

(١) دايك، **علم النص**، ص٣٠٦.
(٢) نفسه، ص٣٠٣-٣٠٤.
(٣) الزين، محمد شوقي، (٢٠٠٢). **تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص١١٧-١١٨.
(٤) أرسطوطاليس، **الخطابة (الترجمة العربيّة القديمة)**، ص١٦.
(٥) انظر: العمري، محمد، (١٩٨٦). **في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة، الخطابة في القرن الأوّل نموذجاً**. (ط١). الدار البيضاء: دار الثقافة، ص٢٩.
(٦) الشفا: هو اختلاف أنبتة الأسنان في الطول والقصر والدخول والخروج.
(٧) الأقلح: هو ذو القلح وهو صفرة الأسنان.
(٨) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٣٢.

وقد يكون صاحب النص هو العنصر المتحكّم في فهم النص فهماً جدلياً؛ وبدون هذا العنصر لا يمكن فهم النص موضوعياً؛ إذ لا بدّ من إدراك ما يرتبط به، ويمدّه بالمعنى، ويعينه على خلق نصّي خاص مستمد من الذات الجماعيّة والفرديّة المنتجة له، ولحظة إنتاجه النفسيّة[١].

لهذا كله، فإنّ معرفة ما يمكن معرفته عن عمر بن الخطّاب من سمات شخصيّة أمر في غاية الأهمّية؛ فعمر بحسن وجهه، وطوله الفارع، وشدّة قوّته، وطول سَبَلته وكثافة لحيته، وصوته الجهوري، وضخامة جثته[٢]؛ امتاز بهيبة في النفوس جعلته محطّ أنظار مَن يحيطون به؛ حتى أنّ النبي (ﷺ) لاحظ ذلك فقال: "يا عمر إنّك رجل قوي، لا تزاحم على الحجر"[٣].

ولا شك أنّ هناك علاقة بين التكوين الجسدي والسلوك الفردي لدى الإنسان، وقد جرى هذا مجرى القاعدة الثابتة بين الناس ولكنّه لم يخل من الخطأ والخطل، فوصفوا القصير بالدهاء والمكر وربطوا الطول بخفة العقل، إلا أنّ بعض علماء النفس أقام دراسات حول الصلة بين الشكل والسلوك فأكّد هذه العلاقة قائلاً بأنّ "مظهرك الجسدي كونك طويلاً أو قصيراً، سميناً أو نحيفاً، جميلاً أو قبيحاً، سليماً أو مريضاً، سوياً أو صاحب عاهة... الخ؛ عنصر هام من عناصر شخصيّتك، وأهمّية هذا العنصر تأتي من أنّه يحدّد نوع تصرّف الناس تجاهك، وهذا التصرّف يحدّد بدوره تصرّفك أنت نحوهم. ومعنى هذا أنّ جسدك ليس مهمّاً بحدّ ذاته ولكن أهمّيته تتأتى من نوع نظر المحيطين بك إليه. لقد اعتاد الناس مثلاً أن ينظروا إلى الطويل الضخم نظرة مختلفة عن نظرتهم إلى القصير القميء، واعتاد الطويل الضخم – مقابل ذلك – أن ينظر إلى نفسه نظرة مستوحاة من نظرة الناس إليه وهي نظرة اعتداد وثقة. ولقد درج الناس على التلطّف مع الجميل والتجهّم للقبيح – بقطع النظر عن العوامل الأخرى إذا تساوت – واعتاد الجميل تبعاً لذلك أن يعتبر نفسه اعتباراً مختلفاً عن اعتبار القبيح لنفسه، وهكذا"[٤].

ويحسّ الإنسان بهذا الشعور عندما يصطدم بإنسان لم يعرفه ولم يسبق له أن التقاه، فتبدأ انطباعات خاصّة تتخلل إلى نفسه وتسري بها، فيُلقى في روعه – من هذه الإشعاعات التي نفثها التكوين الجسدي – احتراماً لهذا الشخص، أو ازدراءً، أو رهبة، أو احتقاراً؛ وقد استدل العرب في هذا المجال على نفسيّة شخص ما من خلال صفاته الجسديّة، وسموّه "علم الفراسة"[٥]،

---

(١) انظر: عبد الرحمن، **سلطة النص**، ص٣٩.
(٢) انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت: ٨٥٢هـ). **الإصابة في تمييز الصحابة**. (ط). (دار إحياء التراث العربي، بيروت)، (د.ت)، ج٢، ص٥١١؛ وابن سعد، **الطبقات الكبرى**. ج٣، ص٢٩٤؛ والبخاري، **الجامع الصحيح**، ج٧، ص٢٠٥.
(٣) ابن حنبل، **المسند**، ج١، ص٢٣٧.
(٤) عاقل، فاخر، (١٩٦٨). **اعرف نفسك**. (ط٢)، بيروت: دار العلم للملايين، ص١٦٦-١٦٧.
(٥) السداني، **منهج العقاد في دراسة الشخصيّات الإسلاميّة**، ص١٤٢.

وأقاموا علمهم هذا "على أساس المبدأ القائل بصحّة الاستدلال بالخِلْقَة على الخُلق"[١]، فكان لنظراتهم هذه أثرها في تصرّفات الناس تجاه الفرد، فهي التي تشكّل شخصيّته وتكسبها طابعاً خاصّاً بها[٢]، وفي ذلك نجد سهل بن هارون يقول: "لو أنّ رجلين خطبا أو تحدّثا، أو احتجّا أو وصفا، وكان أحدهما جميلاً جليلاً بهيّاً، ولبّاساً نبيلاً، وذا حسب شريف؛ وكان الآخر قليلاً قميئاً، وباذ الهيئة ذميماً، وخامل الذكر مجهولاً، ثمّ كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة، وفي وزن واحد من الصواب؛ لتصدَّع منهما الجمع، وعامتهم تقضي للقليل الدميم على النبيل الجسيم، ولباذ الهيئة على ذي الهيئة، ولشغلهم التعجّب منه على مساواة صاحبه به، ولصار التعجّب منه سبباً للعجب به، ولصار الإكثار في شأنه ملة للإكثار في مدحه، لأن النفوس كانت له أحقر ومن بيانه أيأس، ومن حدّه أبعد، فإذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبون، وظهر منه خلاف ما قدّروه، تضاعف حسن كلامه في صدورهم، وكبُر في عيونهم"[٣]؛ ومن هذا نجد أنّ لشكل ملقي النص ومظاهره الخارجيّة أثره البالغ في النص بلاغة وتأثيراً، وعلى هذا إجماع بين القدامى والمحدثين، ولكنّهم اختلفوا في كون هذا التأثير سلباً أو إيجاباً[٤].

جاء هذا الحديث المطوّل ليبيّن أنّ عمر بشكله المميّز كان ذا حضور خاص، فرض هذا الحضور أن تعامل نصوصه معاملة خاصّة مقترنة اقتراناً تامّاً بذلك الحضور الخاص؛ ولكن شخصيّة الإنسان لا تعرف وفقاً لشكله فقط، وإنّما تعضدها أمور أخرى تعتمد على العقل الاجتماعي العام الذي يحاكم الفرد، ويسير وفق المجتمع. ومن هذه الأمور التي كانت عند العرب في جاهليّتهم: النسب، وسيرة الفرد الاجتماعيّة من كرم وشجاعة وصدق بأس وشدّة ولين وحزم وغيرها ممّا يمكن أن يُعرف عن ذلك الشخص؛ ثمّ تطوّرت هذه المعايير مع دخول الإسلام وأقرّ ما لا يخالفه، وزاد ما لم يكن معياراً يحاكم الشخص بموجبه فأصبح أساساً معيارياً مثل علاقة المرء بالدين وحرصه عليه.

وإذا نظرنا لعمر وفق ذلك فهو صافي النسب عدوي قرشي، نشأ جاداً صلباً اشتغل بالرعي في صغره وبالتجارة في شبابه، عانى الفقر وتمتع بالغنى، وعرف قويّاً شديداً "لا واهناً

---

(١) عكاشة، أحمد، (١٩٦٨). **علم النفس الفسيولوجي**. (ط١). القاهرة: دار المعارف، ص١٠.

(٢) ولا يعني هذا أن هذه النظرات كانت المحك الذي كان يتم بموجبه التعامل، وإنما هي نظرات نسبيّة وآراء شخصيّة تختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر.

(٣) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٨٩.

(٤) انظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٨٩؛ وانظر: بناني، محمد الصغير، (١٩٨٦). **النظريّة اللسانيّة والبلاغيّة عند الجاحظ**. (ط١)، بيروت: دار الحداثة، ص١٥٥؛ وانظر: المبارك، **استقبال النص عند العرب**، ص٦٦-٦٧.

ولا ضعيفاً، أعسر يسراً[*]، يجيد كثيراً من الأعمال ويتقن وسائل الفروسية ببراعة وحيويّة، ويعرف القراءة والكتابة ومؤهلاً لكل مواطن السيادة والشرف، ممّا جعل النبي (ﷺ) يخصّه في دعائه "اللهمّ أعزّ الإسلام بأحبّ الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر"[١]، فكان ما أراد وسمّاه في يوم إسلامه الأوّل بالفاروق[٢].

ومع المرحلة الجديدة التي انتقل عمر إليها، أخذ يُطوّر نفسه ويحرص على أن يقدّمها على أقرانه، فاستوعب الخطاب الثقافي الجديد واطّلع على علاقات الواقع الجديد، وأدرك أن عليه لبلوغ غايته أن يحسن سياسة نفسه وأن يتوخّى طباع الناس وسجاياهم الجديدة، إذ لكل زمان طريقة ولكل إنسان خليقة؛ فعامل الناس على خلائقهم، والتمس من الأمور حقائقها وجرى مع الناس على طرائقهم[٣]؛ فاستحق – بما لفت إليه من أنظار المحيطين به – أن يتبوأ مكانة إبلاغيّة مرتقبة، وأن يبني لنفسه عرضاً سلطوياً يشارك بمقتضاه في صنع القرار الذي يركن إلى العقل البشري بعيداً عن مخالفة الخطاب الشرعي المحدّد من الله ورسوله، ومن حسن طالع عمر – رضي الله عنه – أن دعّم الشارع هذا العرش وقوّى أركانه، ولا سيّما في مثل قول النبي (ﷺ): "إنّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنّه إن كان في أمّتي هذه منهم فإنّه عمر ابن الخطّاب"[٤]، وقوله: "إنّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"[٥]، وقوله (ﷺ): "بينما أنا نائم أتيت بقدح من لبن فشربت منه حتى إنّي لأرى الريّ يخرج من أظفاري، ثم أعطيته فضلي – يعني عمر – قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: العلم"[٦]، وأحاديث النبي (ﷺ) على هذا النحو في عمر كثيرة، وأيّدها الله – سبحانه – في بعض موافقات القرآن لمواقف[٧].

ولهذا فإنّ عمر امتاز من بين الآخرين بخطاب مُعتَرفٍ به اعترافاً صريحاً، وأصبح خطابه قابلاً لفرض نفسه، ومُعطى مشروعيّة التداول ضمن خطاب المؤسّسة التي عاش ضمنها

(*) كان لهذه الصفة عند عمر أثرها حتى في النطق؛ فقد امتاز – رضي الله عنه – بتفوقه على الآخرين في إخراج الحروف التي لا تخرج إلا من أحد الشدقين مثل الضاد واللام من كلا شدقيه، كما جاء عند الجاحظ في البيان والتبيين، ج١، ص٣٦: "أمّا الضاد فليس تخرج إلا من الشدق الأيمن إلا أن يكون أعسر يسراً مثل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان يخرج الضاد من أي شدقيه شاء".

(١) الترمذي، **جامع الترمذي (سنن الترمذي)**، ج٥، ص٦١٧.

(٢) انظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٣، ص٢٧٠.

(٣) انظر: المبارك، **استقبال النص عند العرب**، ص١١٣.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج٦، ص٥٩١؛ وصحيح مسلم، ج٤، ص١٨٦٤؛ وسنن الترمذي، ج٥، ص٦٢٢؛ وابن حنبل، **المسند**، ج٢، ص٤٠١.

(٥) الترمذي، **سنن الترمذي**، ج٥، ص٦١٧؛ ومسند أحمد، ج٢، ص٤٠١.

(٦) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج١٢، ص٤١٢؛ ج٧، ص٥٠.

(٧) من هذه الأحاديث ما ذكرناه عن هيبة الشيطان له، وحديث الشهادة له بالجنة. انظر: الخلافة الراشدة والدولة الأمويّة من فتح الباري جمعاً وتوثيقاً: اليحيى، يحيى، (١٩٩٦). **الخلافة الراشدة والدولة الأمويّة من فتح الباري: جمعاً وتوثيقاً**. (ط١). الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ص٢٢٧-٢٣٦.

وترأسها، ممّا جعله رائجاً مقدّماً على غيره، فأعطاه هذا مشروعيّة سياديّة ونزعة سلطويّة تساهم في ضمان هيمنته على مَن يحيطون به، وعلى نفسه، من خلال نظرتهم هذه إليه، والتي تساهم في عمليّة الإنتاج النصّي التي تبدأ من جمع للدوال المشكّلة لبنية الخطاب التواصلي؛ وبما أنّ النص وحدة أيديولوجيّة فإنّ التعرّف على خصوصيّة النظام – الذي يهيمن عليه ويحدّد بناءه – أمر لا بدّ لمَن يعالج النص منه(١).

إنّ نَظرَنَا إلى قائل النص هنا يتجاوز كونه فرداً متميّزاً في المجتمع إلى حاكم تمكّن من امتلاك أدوات السلطة وحظي بجاذبيّة لدى مَن يحكمهم ومَن يشاركونه في التأثير على الآخرين، وأدخل في روعهم – عبر سيرته التي عرفوها – أنّ ما يتمتع به جاء حصيلة لشخصيّته المتميّزة وكفاءاته العالية، وصار هذا متأصلاً فيهم؛ ولذا فإنّ النظر إلى نص عمر هذا يتحوّل من (النظر إليه دعاءً) إلى (النظر إليه دستوراً يتحاكم إليه الناص والمنصوص إليهم).

وتأتي هذه النظرة نتيجة الإلحاح على دراسة ما قبل النص وما بعده، وما تربطه هذه المراحل بصاحب النص من علائق اجتماعيّة وثقافيّة من أجل الكشف عن مستويات النص الدلاليّة والسيكولوجيّة والاجتماعيّة(٢)؛ لأنّ علاقة النص بقائله بمنزلة علاقة الابن بأبيه، وإن أجرى الابن عن أبيه فوجود الأب سابق على وجود الابن(٣)، ولا يمكن إهماله عند الحديث عن الابن ما دام كل منهما معروفاً بصلته بالآخر، وقديماً عرفت هذه الصلة فقدّرها الجرجاني بحسب العلاقة بين "قصد واضع الكلام" وبنية ذلك النص؛ وإن كانت الحُليُّ لا تختصّ بصائغها إلا من جهة العمل والصنعة فإن النص قد يختص بقائله من جهة أنفُس الكلم وأوضاع اللغة ومن جهة ما يقصد إليه واضع الكلام(٤).

٢- موضوع النص:

إنّ التوجّه نحو فهم النص وتفسيره لا يأتي من فراغ، وإنّما يبدأ من معرفة أوّليّة عن النص ونوعه(٥)، ومن ثمّ تحديد موضوع النص، وهو "القضية التي تحظى بالاهتمام المباشر"(٦)

---

(١) انظر: ابن ذريل، عدنان، (٢٠٠٠). **النص والأسلوبيّة بين النظريّة والتطبيق**. (ط١). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص٢٠-٢١.

(٢) ذلك لأن الصفات التي يتمتع بها صاحب النص والمكانة التي يتبوأها – اجتماعياً وسياسياً – تشحذ التعابير والجمل وتجعلها أكثر تأثيراً وفعاليّة في المتلقي (انظر: الوعر، الأسلوبيّات، عالم الفكر، ص١٧٤).

(٣) انظر: المومني، **علاقة النص بقائله**، ص١١٤.

(٤) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، (ت: ٢٧١هـ). **دلائل الإعجاز**. (ط٣). (قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة ودار المدني: جدّة: دار المدني، ١٩٩٢، ص٣٦٢.

(٥) انظر: أبو زيد، نصر حامد، (١٩٩٩). **إشكاليّات القراءة وآليّات التأويل**. (ط٥)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٣٣.

(٦) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص٨٧.

فيه؛ ولكن تحديد هذه القضية يختلف من نص إلى آخر بحسب طبيعة الخطاب وطريقة تداوله، فالخطاب المقروء يختلف عن الخطاب المسموع، وهما يختلفان عن الخطاب المرئي المسموع؛ ومع هذا فإنّ مفهوم "الموضوع" – رغم صعوبة تحديده – يمكن أن يمثل معياراً طبيعياً للتمييز بين خطاب مترابط، لكنّه غير متناسق، على لسان متكلمين من ذوي التفكير المضطرب، والخطاب المتناسق الذي يأتي على لسان متكلمين عاديين(١)؛ ذلك أنّ "إطار الموضوع" كأداة تحليليّة يمثل وسيلة مركزيّة للتعرّف على علاقات التناسق التي تجعل من النص كلاً موحّداً(٢)، كما يمثل موضوع النص أيديولوجيّته التي لا يمكن تحديد مكوّنات النص إلا في إطارها(٣).

قد يقرأ موضوع نص عمر هنا قراءة سياسيّة إيديولوجيّة، فيزحزح من كونه حديثاً عن ذات، إلى حديث عن منهج جماعة، ويستفاد هذا الفهم من القرائن التي تحيل على الذات القائلة، إذ يُستدل على ما يضمره في عقله ونفسه من أجل معرفة ما سكت عنه بحكم الإجراء الوظيفي في ذلك السياق السياسي والأيديولوجي؛ لأنّ النص "يعتبر علامة لقصد المخاطب في إبلاغ إرساليّة ما (إلى المخاطب) وإحداث أثر (لديه)"(٤).

فموضوع نص عمر هذا يشكّل الإسهام الدلالي، الذي يلمّ شعث الوحدات النصيّة المختلفة المستويات، ويوطد العلاقات المشتركة، التي تصنع التناسق في الفهم الدلالي النصّي العام، وتجعل من النص وحدة منتظمة من القضايا، وتقدّمه على أنّه "عيّنة بناء شاملة تخصّ المحتوى والموضوع، ممّا يمسّ تكوين النص بكامله"(٥).

وأهمّية هذا الإسهام الدلالي تشف عن مكانة كبرى يتبوؤها موضوع النص في عمليّة إنتاج النص وتلقيه؛ إذ ينطلق المتكلم عند تشكيل النص من ذلك الموضوع كقاعدة ارتكازيّة لبرمجة النص؛ كما أنّ عمليّة فهم المتلقي لموضوع النص تعيد تشكيله مرّة أخرى بشكل كامل، فيأخذ المتلقي من هذا الموضوع ما يستطيع المخاطِب أن يجبره عليه باقتفائه لما هو مؤصل في نفس المتلقي ويريده المخاطب(٦)، كما في الشكل التالي(٧):

---

(١) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص٩٠.
(٢) نفسه، ص١٠٦.
(٣) انظر: العيد، يمنى، (١٩٨٣). **في معرفة النص**. (ط١)، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ص٦٧.
(٤) التجديتي، نزار، (٢٠٠١). إنتاج النص في نظريّة زيغفريد شميت. **مجلة علامات في النقد**. ١١(٤١)، ٣٧٩.
(٥) هاينه من وفيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصّي**، ص٥٠.
(٦) انظر: هاينه من وفيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصّي**، ص٥٠.
(٧) نفسه، ص٥١.

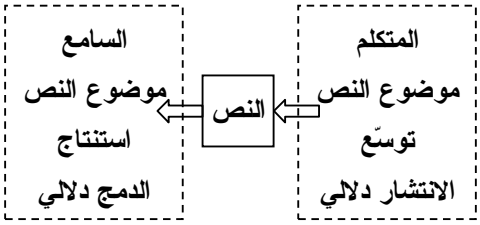

إذن، فمسألة توزيع المعلومات وتضمينها في موضوع النص تتجاوز كونها مسألة دلاليّة إلى عمليّة إنجاز الفعل المشترك التواصلي وضروب التخمين المتعلق بالمخاطبين والتقائها بموضوعات التحاور الخفيّة التي تحدث أثناء تلك العمليّة التواصليّة(١).

وعند النظر إلى موضوع النص (خطبة عمر) نجد أنّ عمليّة التحاور الخفيّة بين عمر والناس كانت نشِطة؛ إذ تتصارع الأفكار عند المتلقين – الذين ودّعوا خليفتهم السابق – حول العلاقة بينهم وبين الحاكم الجديد (عمر) الذي عرفوا عنه الشدّة والبأس؛ فأتى حديث عمر في البداية عن هذه المعرفة ليصيب بؤرة ذلك الصراع، فتحدّث عن شخصه، ولم يكن من المتصوّر أنّ يبدأ الحديث إليهم عن إقامة الدين وتنفيذ شرع الله في الأرض بعيداً عن الحديث عن نفسه؛ لأنّ ذلك أمر مفروغ منه، إذ الكل متفقون على ذلك الهدف وتلك المصلحة الجماعيّة، ولكن الأنظار كانت متجهة إلى شخصيّة القائد – الذي فرض نفسه – في هذه المسيرة.

ولمسيرة عمر هذه – أي ما قبل خلافته – في سماع المتلقين لقوله قبل أن يُقال وإنفاذهم لأمره قبل أن يؤمر، مكان كبير في الوجود؛ وهذا ما يجعل موضوع النص متسقاً اتساقاً كاملاً مع قائله؛ فالخطّة التي ترسم في هذا النص سائرة للتنفيذ فور الانتهاء منها أو قبله، فقد وافق القول قائلاً قوي الشخصيّة وعازم الإرادة وكامل الإيمان بما يقول؛ ولديه سعة اطلاع وعمق ثقافة ومعرفة بنفسيّات جمهوره وعاداته وتقاليده، ويحسن مناسبة المقال وفق مقتضى الحال.

٣- لماذا قيل النص:

يقول الجاحظ في معرض موازنته بين الكلام والصمت: "ولعمري إنّ الناس إلى الكلام لأسرع، لأنّ في أصل التركيب أنّ الحاجة إلى القول والعمل أكثر من الحاجة إلى ترك العمل والسكوت عن جميع القول، ...، بل قد علمنا أنّ عامّة الكلام أفضل من عامّة السكوت، ...، وكيف يكون الصمت أنفع، والإيثار له أفضل، ونفعه لا يكاد – يجاوز رأس صاحبه، ونفع الكلام

(١) دايك، **النص والسياق**، ص٢٧٦.

يعمّ ويخص[١]؛ ويروي أنّ مولىً لزياد قد فخر به عند معاوية، فقال معاوية: اسكت، فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه، إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني"[٢].

إنّ هذين الخبرين اللذين سيقا هنا يكشفان عن أبعاد السلطة التي يحققها الكلام؛ بل يعدّانه من أهمّ مصادر السلطة وأدواتها؛ فكل سلطة تقوم على أساس نفسي عقلي أيديولوجي، وتمارس فعلها – انطلاقاً من دوافع وموجّهات وتجارب وخبرات نفسيّة ظاهرة أو باطنة[٣] – من خلال الكلام؛ وعلى هذا يفهم لجوء كل سلطة تقوم إلى نشر إعلان يوضّح فكرها الحاضر ورؤاها المستقبليّة.

فلا غرابة من عمر في أوّل ممارسة فعليّة للسلطة التي تسلمها أن تكون بياناً لفكره ورؤاه، فهو وإن تسلم سلطة كانت قائمة من قبل، له طابع خاص وطريقة مميّزة في إدارة هذه السلطة، وبذلك سوف تعتمد السلطة عليه اعتماداً كلياً، فإن حَسُن حَسُنت، وإن فَسد فَسدت.

ويعدّ مجيء خطاب عمر على هذه الشاكلة أوّل إحسان الأمير، وحُسن سياسته، فهو لمّا قرأ في نفوسهم خوف الشدّة منه، وترقبهم غلظته عليهم – كما عبّر في خطبة لاحقة[٤] – أراد أن يقلل من روعهم، وأن يقرّ عيونهم ويبيّن لهم الصراط الذي سيمشي عليه، ويقودهم إليه، فينشأ جو الألفة والتعاون بين الحاكم والمحكوم، ويسير كل منهما على بصيرة.

وجملة القول إنّ الغرض العام والفكرة الخام من وراء قول عمر هذا أن يبدأ مع رعيّته ممارسة سلطاته الفعليّة، وخلق سياق عام لتلقي تعليماته[٥].

٤- لمَن قيل النص:

كانت الخطابة قبل الإسلام تستعمل في إصلاح ذات البين، وإطفاء نائرة الحرب، وحمالة الدماء، والتأكيد للعهد[٦]؛ ونظراً لحاجة الناس للخطباء فقد كان خطيب القبيلة عميدها وزعيمها،

---

(١) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص١٥٠.
(٢) نفسه، ص١٤٤.
(٣) انظر: القمودي، **سيكولوجيا السلطة**، ص١٦.
(٤) وهي خطبة لاحقة له قال فيها: "أيّها الناس، إن علمت أنكم كنتم تؤنسون مني شدّة وغلظة، ...، فسيقول قائل: كان يشتدّ علينا والأمر إلى غيره فكيف به إذا صار إليه؟ ... فاعلموا أن شدّتي التي كنتم ترون ازدادت أضعافاً إذ صار الأمر إلي على الظالم، ...، وإني بعد شدّتي تلك واضع خدّي بالأرض لأهل العفاف والكف منكم..." انظر: **كنز العمّال**، ج٥، ص٦٨١-٦٨٣.
(٥) وهذا لا يناقض أن عمر أراد أن يطمئنهم، فهذه الطمأنينة أصلاً هي حالة من حالات الاستجابة للتعليمات.
(٦) ابن وهب، أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، (ت: ٢٣٥هـ). **البرهان في وجوه البيان**. (ط١)، (تحقيق: حنفي الشرف)، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٩، ص٩٣.

وهو واحد يعدل قبيلة[١]، وقلما يرتفع نجم سيّد من ساداتهم إلا والخطابة صفة من صفاته، وسجيّة من سجاياه، حتى تساق له القلوب بأزمتها، وتجمع له النفوس المختلفة من أقطارها[٢]؛ فتجذر ارتباط الخطابة بالسلطة والسيادة على هذه الشاكلة، وصار يمتدّ مع كل سلطة في كل زمان ومكان، مهما كانت حدود ممارسة هذه السلطة مختلفة ومتفاوتة[٣]، ممّا يعني أنّ كل خطبة تضمّنت خضوعاً ما من جانب المتلقين.

أمّا إذا كان الخطيب أصلاً يمتلك كل زمام الحكم قبل أن يخطب، فإنّ خطبته تكون ممارسة فعليّة قسريّة قد تستخدم العنف المقنّن والمفتوح بلا حدود ولا قيود من أجل تنفيذ كل ما يرتئيه، ووضعه موضع التطبيق؛ وهذا هو الحال مع هذه الخطبة (النص).

فعمر قد تسلم مقاليد الحكم قبل هذا النص، وهو يقصد منه أن يبدأ بحمل مَن يتلقونه على تطبيق ما يأمرهم به، ولكنّه بحكم معتقداته التي ينطلق منها، يرى أنّ الحكم لا يستقيم ولا تستوي أموره إلا إذا كانت البداية منه، فأنفذ ما يعتقدُه الصوابَ على نفسه، وإن أجبره ذلك على تغييرها والتخلي عنها، فهو يعتقد أنّ الغليظ لا يصلح أن يكون حاكماً للمؤمنين – وإن لم يستبعد الغلظة مع غيرهم – وإنّما الأصل أن يكون حاكم المؤمنين ليّناً، ولذلك فإنّه سيُخضع أوّلَ ما يُخضع نفسه حتى يطبّق كل ما يؤمن به، وحتى يكون إخضاعه للآخرين أضعافاً مضاعفة؛ لأنّ من بين مَن سيخضعهم أقران له سبقوه إلى الإسلام وغلبوه في الطاعات، ولا سبيل له عليهم إن لم يكن قد مهّد السبل كلها على نفسه.

فقد قيل هذا النص أمام الصفوة من أصحاب محمّد (ﷺ)، من المهاجرين الذين سبقوا الناس وآمنوا بالإسلام، ومن الأنصار الذين آووه ونصروه، وأقاموا دولة الإسلام، ولذلك فإنّ هذا النص يتسق فيه موضوع النص، مع مكانه، مع قائله، مع المتلقين له، وتنسجم هذه الأحوال انسجاماً كاملاً، ومن هذا نتبيّن أنّ دراسة متلقي الخطاب، ومعرفة أحواله ضرورة لا تقل أهمّية عن دراسة الخطّاب نفسه[٤]، لما للعلاقات القائمة بين المرسل والمتلقي من أثر في تحديد لغة

---

(١) زيدان، جرجي، (ت: ١٩١٦م). **تاريخ آداب اللغة العربيّة**، (تعليق: شوقي ضيف)، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧، ج١، ص١٦٨.

(٢) ضيف، شوقي، (١٩٧٦). **العصر الجاهلي**. (ط٧)، مصر: دار المعارف، ص٤١٥.

(٣) انظر: أوكان، **مدخل لدراسة النص والسلطة**، ص١٣.

(٤) انظر: عبد الرحمن، **سلطة النص**، ص٥٨؛ وانظر: عبد الجليل، **علم الدلالة**، ص١٠٩، حيث يقول: "وممّا يجمع عليه جل علماء اللغة والأدب المحدثين أنه لا يمكن عزل النص عن سياقه الحيوي الذي نشأ في أجوائه، وتأثر بمناخه المعرفي، بل لولوج فضاء النص العام وتفكيك بنيته تفكيكاً يُبرز الأصول التي تتحكّم في نتاج العصر المعرفي والإضافات التي جاء النص بها وأبعادها الفلسفيّة، وجب مراعاة الروافد المعرفيّة التي أفاد النص منها أو اتخذ موقفاً إزاءها".

الخطاب، وشكل اللغة ومضمونها[١]. كما أنّ "الناس لا يعتمدون في فهم النص على مجرّد ما يقدّمه لهم من معرفة ومعلومات، بل يعتمدون – وربّما بدرجة أكبر – على ما تختزنه ذاكرتهم من معلومات ومعارف وخبرات (معرفة العالم)، حيث تلتقي هذه المعرفة مع المعرفة التي يقدّمها النص، فيكون المحتوى المُدرك ناتج هاتين المعرفتين: معرفة العالم ومعرفة النص"[٢].

٥- أين قِيل النص:

إنّ لمكان إبداع النص وإلقائه أثر كبير في رسم معالم الإيحاء الفكري والاجتماعي والعاطفي عند مؤلف النص ومتلقيه على حدٍ سواء، ولا ينكر أهمّية هذا الأثر في ترسيخ حدود العادات والتقاليد وأنماط الحياة وبعث التجربة الثقافيّة وتأطير علاقة شكل النص بمضمونه إلا معاند أو مستكبر؛ لما للبيئة الطبيعيّة والثقافيّة من دلالة على تطوّر الذهن الاجتماعي والفكري والفنّي؛ بل وفي هذا الإطار يمكن فهم المعيار المكاني الذي كان يُصنّف وفقه بعض الشعراء، أو يعدّ أحد المعايير دون الاكتفاء به وفصله عن غيره، كما فعل محمد بن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعر عندما أفرد طبقة سمّاها "شعراء القرى العربيّة"[٣].

وإذا كانت مقدّمات النصوص وعناوينها تعدّ العتبات الأولى في شكل البنية النصّية[٤]، فإنّ المكان والزمان يعدّان العتبة الأولى في تشكيل هذه البنية، والضابط الخارجي في تكوين معالمها؛ ولكن المكان النصّي تعبير فضفاض يتسع أحياناً إلى أقاصي البلاد وأطرافها، ويضيق إلى موطئ القدمين في أحيان أخرى.

فمكان هذا النص يتسع ليشمل المدينة المنوّرة ويضيق ليقتصر على منبر الرسول (ﷺ)؛ فإذا أخذناه باتساعه نجد أنّ له ثلاثة وجوه: ديني واجتماعي وسياسي؛ والصلة بين الثلاثة قويّة، والارتباط بينها وثيق. فالمدينة مهد السيرورة ومكمّل صيرورة الإسلام ديناً عامّاً، ففيها انتشر ومنها انتصر؛ والمدينة مولد أخوّة الفكر وقد دفن عصبيّة القبيلة وضغائن الماضي؛ والمدينة منطلق الدولة وفيها تكوَّنت وقويت وانتشر نفوذها وهَيمَنَتْ، وهي حاضرة هذه الدولة ومركزها

---

(١) انظر: الوعر، **الأسلوبيّات**، ص١٧٤؛ وانظر: البدوي، إبراهيم، (١٩٩٤). **فن الخطابة**. (ط١)، بيروت، ص٢٢٢.

(٢) عبد المجيد حسين، جميل، (٢٠٠٣). علم النص (أسسه المعرفيّة وتجلياته النقديّة). **مجلة عالم الفكر**، ٣٢(٢)، ١٤٩-١٥٠؛ وانظر: دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص١١٦؛ وبراون ويول، **تحليل الخطاب**، ص٢٦٧-٢٧٠.

(٣) انظر: جمعة، حسين، (١٩٩٧). **البيئة الطبيعيّة في الشعر الجاهلي. عالم الفكر**. ٢٥(٣)، ٢٦٣-٢٦٥؛ وانظر: الجمحي، محمد بن سلام، (ت: ٢٣١هـ). **طبقات فحول الشعراء**. (قرأه وشرحه: محمد شاكر)، مطبعة المدني ودار المدني، جدّة، (د.ت)، السفر الأوّل، ص٢١٥.

(٤) انظر: لحمداني، حميد، (٢٠٠٢). عتبات النص الأدبي. **مجلة علامات في النقد**. ١٢(٤٦)، ١١-١٤.

وبها جميع هيئاتها الاستشاريّة وقواها التنفيذيّة[١]، وبذلك يصبح أثر المكان في النص لا يقتصر على الموقف الذي يحمله الموروث الثقافي[٢] فحسب بل له دلالات عديدة.

وإن تقلص من المدينة إلى المسجد إلى المنبر فلن يفقد من وجوهه – في حالته الأولى – أحداً؛ فالمدينة مدينة الرسول محمد (ﷺ) ومسجدها المسجد النبوي ومنبره منبر الرسول، وكلها تشير إلى واقع ديني أنتج واقعين – اجتماعياً وسياسياً – جديدين، يسير المجتمع وفقهما؛ والمنبر يحيل على السلطة الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، فهو الموقع المقصور على رأس هرم السلطة، ولم يقف عليه خطيباً في عهد النبي إلا هو، وكذا الحال في زمن أبي بكر إلى أن جاء عمر[٣].

ولا غرو أن تدرك تلك الخصوصيّة التي يتمتع بها هذا الموقع فينزل أبو بكر عن منبر رسول الله درجة ولا يرى أنّه أهل لأن يجلس مجلسه، ويأتي عمر فينزل درجة أخرى ويقول: "ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر"[٤]، وفي ذلك إشارة واضحة لارتباط قداسة المكان بمَن يرتقيه، ودلالة على تلك الوجوه وليس نفياً لأحدها[٥]، لكنّ الوجه الذي كان في عهد النبي أُصيب بشرخ كبير متحوّل من موقع الابتداع والتشريع إلى الاتباع والتنفيذ؛ غير أنّ الوجهين الاجتماعي والسياسي حافظا على مكانتهما وظل الخليفة رأس المؤسّسة السياسيّة والنظام الاجتماعي.

إنّ صعود عمر على المنبر – عند إلقائه هذا النص وغيره من النصوص – يوطّد طقوس الاتباع لمَن سبقه من جهة، ويكرّس أبعاد نصّه السلطويّة من جهة أخرى[*]؛ ولنتصوّر كيف سيكون بُعد عمر عن سنّة النبي وخليفته لو أنّه خاطب الناس دون أن يصعد المنبر، مع أنّه

---

(١) يذكر أن عليّاً – رضي الله عنه – احتجّ بمركزيّة المدينة وقيام أهلها بالحل والعقد في محاججته لمعاوية في قوله: "...فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشأم لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً، وإن خرج عن أمرهم خارج لطعن ردّوه إلى ما خرج عنه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين..." انظر: **جمهرة رسائل العرب**، مجلد (١)، ص٣٤٠، وقد نقله عن (**العقد الفريد**، ج٢، ص٢٣٣؛ و**نهج البلاغة**، ص٥١٢؛ و**شرح ابن أبي الحديد**، ج٣، ص٣٠٠، م١، ص٢٤١؛ و**الإمامة والسياسة**، ج١، ص٧١).

(٢) انظر: سعيد، خالدة، (١٩٧٩). **حركيّة الإبداع**. (ط١). بيروت: دار العودة، ص٢٩.

(٣) يُستثنى من ذلك مرّة وحيدة هي وقوف عمر على المنبر في اليوم الثاني لوفاة النبي (ﷺ) إذ وقف عليه معتذراً عمّا كان منه من لغط حول وفاة النبي، وداعياً الناس إلى مبايعة أبي بكر البيعة العامّة (انظر: التيمي، **الخلفاء الأربعة**، ص٧٦–٧٧).

(٤) صفوت، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة**، ج١، ص٧٩.

(٥) ودلالة هذا نجدها واضحة في إلحاح علي – رضي الله عنه – في الاحتجاج على معاوية في قوله: "...وأمّا قولك إن بيعتي لم تصح، لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها، فكيف وإنما هي بيعة واحدة، تَلزَمُ الحاضر والغائب، لا يُثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، والمروِّي فيها مداهن..." انظر: **جمهرة رسائل العرب**، مجلد (١)، ص٤١٨، نقلاً عن (**شرح ابن أبي الحديد**، م٣، ص٣٠٢؛ و**نهج البلاغة**، ج٢، ص٥).

(*) يُراجع في هذا كلام لابن المقفع عن سلطويّة عمر وصعوده المنبر، ص٦٥ من **البيان والتبيين**، ج١.

على درجة متميّزة من الطول تمكّنه من مخاطبتهم دون أن يعتليه؛ ومن جانب آخر فإنّ صعود المنبر حَسْمٌ لكل ما يخطر ببال المتلقين من دلالات تزيد أو تنقص عن دلالة ألفاظ النص، تنتج عن إشارات الوجه واليد المصاحبة لتلك الألفاظ؛ فالبلاغ اللساني يرتبط بطريقة الإلقاء والمظهر الخارجي وطبيعة المكان الذي يتم من خلاله الإرسال[١]، "ولو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين مجزئاً عنه، لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه... وعلى ذلك قالوا ربَّ إشارة أبلغ من عبارة..."[٢]، وبذلك يكون للمنبر وظيفتان: أيديولوجيّة – منهجيّة، وتقنيّة[٣].

وبهذا نجد أنّ دور المكان كان متناسقاً مع النص منسجماً مع آليّات خطابه وعناصره اللغويّة، فالنصّ والمكان كلاهما ديني ويحيل على الآخر وكلاهما سياسي ويحيل على الآخر، والمكان يحدّد تشكّلات النص ويساهم في دعم آليّاته وليس العكس.

٦- متى قيل النص:

جميع الحقوق محفوظة

يرجح البحث في التاريخ أنّ عمر بن الخطّاب استخلف يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، وهو يوم وفاة أبي بكر[٤]، "وكان أوّل كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللهمّ إنّي شديد فليّنّي،..."[٥]، ومن ذلك سيتم التعامل مع هذا النص على أنّه: النص الأوّل بعد الاستخلاف، وتاريخه يأتي بعد ما يقرب من سنتين من ارتقاء النبي إلى الرفيق الأعلى[٦]؛ وهذا التاريخ له دلالات تؤثر على نفسيّة متلقي نص عمر هذا، فمن المعلوم أنّ الحالة النفسيّة عند توديع رأس سلطة محبوب واستقبال رأس سلطة آخر تكون موزّعة بين الحزن والترقب

---

(١) بصل، التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق، ص٧٠.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت: ٣٩٢هـ). **الخصائص**. (تحقيق: محمد علي النجار)، الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة، ج١، ص٢٤٧.

(٣) ذكر ابن الجوزي "عن جامع بن شداد، عن أبيه قال: كان أوّل كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر، أن قال: اللهمّ إني شديد فليّنّي، وإني ضعيف..." مناقب أمير المؤمنين عمر، تحقيق: السيّد الجميلي، ص٧٧، وهذا يؤكّد أنه صعد المنبر عندما خطب الناس في أوّل خطبة له بعد الخلافة، وأن هذه أوّل خطبة؛ وانظر: الصلابي، **فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب: شخصيّته وعصره**، ص١١٤.

(٤) انظر: السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص١٤٦؛ وانظر: ابن الجوزي، **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، ص٧٧.

(٥) ابن الجوزي، **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، ص٧٧.

(٦) اختلف الرواة في أوّل خطبة خطبها عمر، ورُوي أن أوّل خطبة كانت قوله: "إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم" (ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٣، ص٥٧٥)، ولكن أكثر المصادر على أن قوله: "اللهمّ إني غليظ فليّنّي..." هو أوّل النصوص بعد التولية (ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٦٥؛ و**حلية الأولياء**، ج١، ص٥٣؛ و**سيرة عمر**، ص١١٩؛ و**مناقب أمير المؤمنين عمر**، ص٧٧؛ و**كنز العمّال**، ج٥، ص٤٠٣)، وهذا ما نحن عليه، ونقدّر أن سبب الاختلاط أن هذا النص عُدَّ من الدعاء الموجّه إلى الله وليس إلى الناس مباشرةً وكانت الخطبة الثانية موجّهة للناس مباشرةً فكانت هي التي عدّوها الأولى، أو أنه قال هذا الدعاء في اليوم الأوّل بعد دفن أبي بكر مباشرةً وقال الخطبة الثانية في اليوم الثاني لدفن الخليفة فعدّه بعضهم اليوم الأوّل للاستخلاف.

والحذر، وهذا يجعل منهم متلقفين لما يقول رأس السلطة الجديد، فإنّ لم يكن لهم سابق معرفة بالرأس الجديد فهم متلهّفون لمعرفته وإن كانوا يعرفونه فهم مترقبون لما يقول موازنون بين هذا القول وسابق عهدهم به.

ولهذا التاريخ دلالة أخرى، فقد زاد المسلمون وزادت مسؤوليّات الحاكم، وعظمت مساحة الدولة ودخل فيها مَن لم يكن له عهد سابق بالنبي (ﷺ) ولم يكن على دارية بماضي هذا الحاكم وتاريخه الشخصي، ولهذا الصنف نوع آخر من الترقب وطبيعة أخرى من التلقي، فهم ينظرون بعين إلى دينهم الجديد وبالعين الأخرى إلى هذا الحاكم الجديد، وبذلك يختلف فهم المتلقين للخطاب بحسب كل جزء من المتلقين مع أنّ الخطاب واحد؛ ممّا يخلق آفاقاً مختلفة لتلقي هذا النص.

وهذا التفاعل بين الآفاق يعني أنّ تفسير النص ينبع في جانب منه من حوار داخلي بين الماضي البعيد – نسبياً – والحاضر، وينبع في جانبه الآخر من حوار بين الماضي القريب والحاضر، وهذا يشكل فهوماً نصّية تعتمد على الأسئلة التي يسمح بها المناخ الثقافي الراهن[١]، إذ إنّ النص لا ينفصل عن تاريخ تلقيه والأفق الذي ظهر فيه، كما أنّه يأتي في الوقت نفسه مُشكَّلاً – في جانب منه – من أفق بعيد عن الأفق الراهن[٢]، ممّا يجعل من هذا التلقي يمثل عمليّة خلاقة للمعنى تتولى تنفيذ التعليمات الماثلة في المظهر اللغوي للنص[٣].

٧- كيف تمّ إلقاء النص:

لقد أدرك العرب أنّ المقصود بخطاب المتكلمين لا يقتصر على ألفاظ النص، وإنّما يتجاوزه إلى مشاهدة أحوال المتكلمين والنظر إلى وجوههم، فيكاد "يخرج تفرس الوجوه والنظر إليها ما في النفوس من معانٍ وأغراض"[٤]، ولقد تحدّث عن ذلك كثير من علمائهم[٥]، وعلموا أنّ "المشاهدة تومئ إليك بما يدلك على قصود المتكلمين ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات، ورُبَّ إشارة أبلغ من عبارة، وربَّ حركة يؤديها المتكلم تعطيك ما لا تعطيك إيّاه

---

(١) انظر: سلدن، **النظريّة الأدبيّة المعاصرة**، ص١٩٤.

(٢) انظر: هولب، روبرت، (١٩٩٤). **نظريّة التلقي**. (ترجمة: عز الدين إسماعيل)، ط١، جدّة: النادي الأدبي الثقافي، ص٣٢٦.

(٣) انظر: فضل، صلاح، (١٩٩٩). **شفرات النص: دراسة سيمولوجيّة في شعريّة القص والقصيد**. (ط١)، بيروت: دار الأدب، ص١٥٦.

(٤) الملاح، ياسر، (١٩٩٣). **المقدّمة إلى علم المعنى في العربيّة: بحث في النظريّة والمنهج**. (ط١)، عمّان: دار الفرقان، ص١٦٠.

(٥) انظر: الجبر، خالد، (٢٠٠٢). **نظريّة التلقي عند العرب: دراسة في التراث النقدي والبلاغي**. رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنيّة، عمّان، الأردن، ص٢٣-٢٩؛ وانظر: المبارك، **استقبال النص عند العرب**، ص١٠٩-١٣٠.

النصوص"[١]، وعلقوا بعض أحكامهم على ذلك. يقول ابن القيِّم الجوزيّة: "فمَن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها وإنّما يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان، عمل بمقتضاه سواء كان بإشارة أو كتابة أو إيماء أو دلالة عقليّة أو قرينة حالية أو عادة له مطردة لا يخل بها"[٢].

وعلى هذا، فقد ترسّخ لديهم أنّ النظام اللساني التركيبي غير قادر على أن يتشكّل نصّاً – بمفهومه الحديث – إلا إذا اقترن النظام اللساني بجميع العلامات الدالة المنتظمة في نظام لغة[٣] مجتمع ما، ولذلك فقد عنوا بالطريقة التي يتم فيها إلقاء النص وتلقيه عناية فائقة، وخير ما يمثل هذه العناية كتاب البيان والتبيين للجاحظ، حيث استطرد في ذكر أحوال الخطباء وأحوالهم في الإفصاح عن مرادهم.

وما كان استطراد الجاحظ في الحديث عن أحوال واصل بن عطاء وذكر الحروف التي تدخلها اللثغة إلا عرضاً لأثرها في تلقي الكلام المسموع والخطابة الشفويّة، إذ أدرك أنّ فارقاً ما بين الخطاب الشفوي والخطاب المقروء قد يرتفع به إلى أعلى درجات البيان أو يهوي به إلى أدنى درجات الاستغلاق.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهذا لا يعني أنّ الخطاب الشفوي يفترق عن المكتوب في تقسيم الفواصل، وجرس الكلمات ورنينها حسب، وإنّما يتعدّى ذلك إلى الممارسة التأليفيّة والأدائيّة؛ فالشفاهيّة تعني وحدة العُرف والإطار المرجعي اللغوي وغير اللغوي بين المرسل والمتلقي، إذ يجمعها عصر واحد ومكان واحد؛ أمّا في الكتابة وفي حال قراءة نص، ولا سيّما إذا كان قديماً، فإنّ هذا العُرف يتغيّر ما بين الكاتب والقارئ تغيّراً قد يصل إلى عدم التلاقي[٤]، ولا شكّ أنّ هذا النص الشفوي الذي بين أيدينا – كونه مكتوباً – يفتقد إلى معرفة بعض الوقفات والتغيّرات الصوتيّة والإسراع والإبطاء والتنغيم والإشارات السيميائيّة والتغيّرات الجسمانيّة، وهذا ما يفقده كثيراً من دلالاته[٥].

---

(١) الملاح، **المقدّمة إلى علم المعنى في العربيّة**، ص١٦٢.

(٢) ابن القيِّم الجوزيّة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. (ط٢)، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجاريّة، ١٩٨٥، ج١، ص٢٤٠.

(٣) نعني باللغة هنا: جميع الشفرات التي يستخدمها مجتمع ما للتواصل ونقل البلاغات من تقاليد وسلوك وغيرها من العناصر الدالة والمدلوليّة المنتظمة في إطار مرجعي عام.

(٤) عبد المجيد، **البلاغة والاتصال**، ص٥٢.

(٥) انظر: قول ابن جني من أثر التنغيم: "...وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك، وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلته، وذلك أنك تكون في مدح إنسانٍ والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد من قوّة اللفظ (الله) وتتمكّن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً=

٨- إحالات النص إلى خارجه:

إنّ هذا النص ينتظم في عدد من العناصر التي تقيم شبكة من العلاقات الداخليّة، ينتظم هذه الشبكة علاقات انسجام وتماسك مستمدّة من النص ومحيطه المباشر وغير المباشر؛ ولإثبات الوحدة النصّية العامّة ينبغي ألا تهمل أي من هذه العلاقات(١).

والعلاقة التي نتحدّث عنها هي الإحالة إلى ما خارج النص، وهي تتعلق بما تحيل إليه العناصر المعجميّة الواردة في النص، إذ تحيل هذه العناصر إلى معارف مُغيّبة من النص يدركها كل من القائل والمتلقي، فيصبح عندهما وسيط مشترك، يسيران عليه، ويتواصلان وفقاً لما يحيله هذا الوسيط إلى كل منهما.

وبما أنّ الذات المحوريّة هي التي تدور حولها الذوات الأخرى في النص، فإنّ الوسيط بينهما سيكون بمقدار ما يتعرّض القائل لهذه الذات ومقدار ما يعرفه المتلقي عنها، فيزداد هذا الوسيط بزيادة معرفة المتلقي وينقص بنقصانها؛ فلا يستوي أثر هذا النص في نفس من خَبرَ غلظة عمر وجرّبها بأثره في مَن سمع بها وشاهدها، كما لا يستويان مع مَن لم يسمع بها ولا يعرفها.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعند النظر إلى هذا النص نجد أنّه يحيل إلى أشياء خارجيّة لا يمكن لمَن لا يعرفها ولا يعرف صاحبها أن يجد في النص انسجاماً وقبولاً، ومن هذه الأشياء:

١- غلظة عمر: والحديث عنها عند مَن عرفها يمثل أهم شيء يستحق أن يبدأ به عمر ويعرّفه إلى أين وصلت وإلى أين تصير، وكيف ستظهر ومتى تختفي.

٢- أهل الطاعة: وهي تشير إلى صنف من الناس اصطلح عليه وعرفه المتلقون.

٣- أعداء الله وأهل الدعاة والنفاق: وهذه أيضاً تشير إلى جماعة معروفة معروف حكمها، ومتفق على معاملتها.

٤- المؤمنين: وهذه أيضاً تشير إلى جماعة معروفة معروف حكمها، ومتفق على معاملتها.

٥- طاعة الله: وهي طريقة مُعيّنة في السيرة والسلوك مع النفس ومع الآخرين.

=فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك... الخ". انظر: ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٢٧٠ وما بعدها؛ وانظر: عن التنغيم أيضاً: حسان، **اللغة العربيّة مبناها ومعناها**، ص٢٢٦-٢٣١.

(١) انظر: بحيري، **دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدلالة**، ص٧٨.

٦- الشّبهات: وهي مواضع يختلط فيها الحق بالباطل، وهي تحيل على حديث نبوي يمنع الوقوع منها.

٧- كتابك: يحيل إلى القرآن.

٨- العمل: يحيل إلى القيام بأمور الحكم.

وما هذا التطواف مع النص – قائلاً وموضوعاً ومكاناً و... – إلا لأنّ لكل نص جوانب عدّة، قد يكون أحد هذه الجوانب أو عنصراً من عناصره هو المتحكّم في فهم النص وإنتاجه؛ وبدون هذا العنصر، لا يمكن فهم النص فهماً موضوعياً، ولذلك فلا بدّ قبل الحديث عن العنصر الفعّال من اكتشافه، ولاكتشافه لا بدّ من إدراك عناصر لانصيّة ترتبط بالنص وتمدّه بمعناه، وهذا يقتضي القيام بخطوات عدّة لرؤية تاريخه الخاص، والذات الجماعيّة والفرديّة المنتجة له، ولحظة إنتاجه النفسيّة[١].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(١) انظر: عبد الرحمن، **سلطة النص**، ص٣٩.

تفاعل الوحدات النصّية (الكينونة والإنتاج):

إنّ تحديد الجوانب المحوريّة التي تتفاعل في الوحدات النصّية يتم عن طريق الكشف عن آليّات الترابط المفهومي وتعالق العناصر المنطقيّة التي تحكمها؛ ولا سيّما أنّ منشئ النص يكون قد وضع في عقله إطاراً عامّاً يتحدّث فيه، قبل أن "يقوم بتعليق دلالات الألفاظ، وضمّ بعضها إلى بعض، وترتيبها بحسب معاني النحو، – وفقاً لمقدرته اللغويّة –"[١] فينتج نصاً.

وبهذا فإنّ إنشاء النص يكون خاضعاً لمراحل عدّة قبل أن يستوي نصاً[٢]؛ وإذا حدث خلل في ترتيب هذه الخطوات أو حذف بعضها، جاء النص مشتتاً – غير متناسق ولا متماسك – بمقدار ذلك الخلل أو الحذف.

أمّا هذه المراحل أو الخطوات فيمكن تمثيلها على النحو التالي:

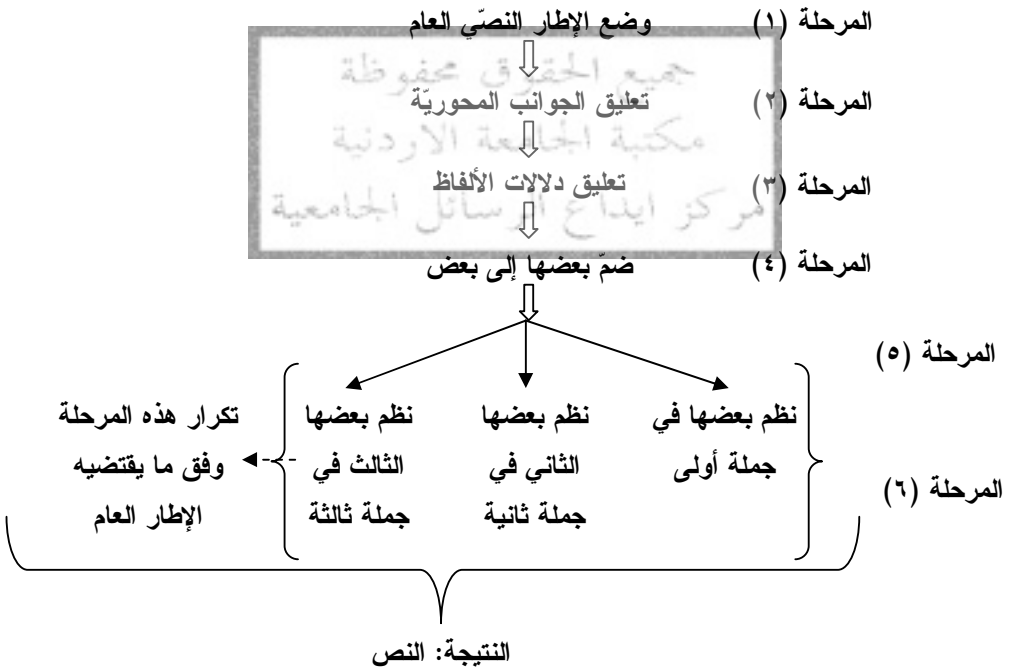

ومن هنا نجد أنّ مرحلة وضع الإطار العام تكون في ذهن المتكلم قبل "أن يرتب المعاني في نفسه، وينزّلها ويبني بعضها على بعض"[٣]، لأنّ "اللفظ تبع للمعنى"[٤]، و"الكلم تترتب في

---

(١) حميدة، مصطفى، (١٩٩٧). **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة.** (ط١)، مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان، ص١١.

(٢) لا شكّ أن الفترة الزمنيّة التي تحتاجها كل مرحلة تختلف عن الأخرى، وتختلف الفترة ذاتها من شخص لآخر، كما تختلف المسافة الزمنيّة بين كل فترتين من شخص لآخر، تبعاً لمنظومة الفرد الفكريّة ودربته على الحديث، والموضوع الذي سيتم الحديث فيه.

(٣) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٥٣.

(٤) نفسه، ص٥٥-٥٦.

النطق بحسب ترتب معانيها في النفس"[١]؛ ولا يُفهم من هذا إلا أنّ حدود البلاغة تكون من "وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وتصحيح الأقسام، وحسن الترتيب والنظام، والإبداع في طريقة التشبيه والتمثيل، والإجمال ثمّ التفصيل، ووضع الفصل والوصل موضعهما وتوفية الحذف والتأكيد والتقديم والتأخير شروطهما"[٢]، بل ويُفهم منه "أنّ هذا النظم الذي يتواصفه البلغاء، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله، صنعة يُستعان عليها بالفكرة لا محالة"[٣].

وعليه، فإنّه يكون محكوماً قبل أن يولد بعدد من العلاقات التي تحدّد مساراته وترسم بين أجزائه نسجاً خاصّاً من العلاقات التلاؤميّة الدلاليّة التي تحكم النظام التركيبي وتسيّره؛ ولكن هذا التحكّم والتسيير يكون خاضعاً لمعايير وضوابط أخرى مثل موضوع النص، وقائله، ومقامه؛ ويتم التعرّف على مظاهر هذا التحكّم عن طريق علامات خاصّة تظهر وحدة النظام النصّي الخاص وتجعله متحداً مع محيطه العام.

ووفقاً لهذه الفكرة التي تنطلق من دور موضوع النص وقائله ومقامه، بدءاً من المعنى ووصلاً إلى المبنى، فإنّ الوقوف على العناصر التي تجعل من هذا النص يترابط مفهومياً ويتماسك منطقياً، يأتي على النحو التالي:

أوّلاً: في البنية النصّية الكبرى الأولى (مقدّمة الخطبة):

إنّ هذه المقدّمة الغائب لفظها، المعروف معناها بالسياق، تمثل عتبة أخرى للبنية النصّية العامّة، وفاتحة النص التي تخدمه، فتسير في الأسماع والعقول قبله ممهّدةً له الطريق ليمضي هانئاً مطمئناً وفق ما خطّط له وما يتوقع منه أن يحققه، فـ"حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومظنّة النجاح"[٤]، كما يقول ابن رشيق، والعلاقة بين النص وفاتحته علاقة تفاعليّة وليست مجرّد مدخل لا أثر له في النص[٥]؛ ولكن هذا الأثر يختلف من نص لآخر إذ قد يمثل أحياناً مع النص وحدة عضويّة وأحياناً أخرى وحدة نفسيّة كما في بعض مقدّمات القصائد العربيّة.

والذي أرتضيه وأطمئن إليه في هذا النص أن فاتحته ارتبطت به نفسياً وعضوياً؛ فهي بصلتها الاتباعيّة بالنبي (ﷺ) مؤسّس الدولة وصاحب منهجها جعلت من المتلقين يطمئنون إلى

---

(١) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٥٦.
(٢) نفسه، ص٥٩.
(٣) نفسه، ص٥١؛ وانظر: لاينز، جون، (١٩٨٧). **اللغة والمعنى والسياق**، (ترجمة: عباس صادق الوهاب)، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة، ص٢٢١، حيث يرى أن "النصوص مدونة كانت أم محكيّة، يتم تركيبها عن قصد من قبل مؤلفها على هيئة وحدات".
(٤) العمدة: ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، (ت: ٤٥٦هـ). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ط٢، (تحقيق: محمد قرقزان)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص٣٨٨.
(٥) لحمداني، **عتبات النص الأدبي**، ص٢٣.

سيرة عمر على الطريقة ذاتها في إدارة شؤون المسلمين؛ وأمّا عضوياً فهي حمد الله وثناء عليه، وهذا ما يكون عادة قبل كل دعاء – وإن لم يكن يتوقع أن يكون الخطاب دعاءً – ممّا وصل بين المفاهيم الدينيّة المذكورة فيها والواردة في سائر النص.

وأمّا على المستوى الداخلي في فاتحة النص – الغائب لفظها – فإنّ المتوقع أن يكون الرابط العضوي أقوى من غيره، إذ إنّ حمد الله يستدعي ذكر نِعَمه وصفاته، وهما أمران يحتمان حمده والثناء عليه، ويحيلان إلى الامتثال بأمره، وطلب المعونة منه، وهذا يشكّل ترابطاً منطقياً واتصالاً مفاهيمياً فيما بينها.

ثانياً: في البنية النصّية الكبرى الثانية:

ذكرنا أنّ هذه البنية شكّلت وحدة نصّية مترابطة ومتماسكة نفسياً ودلالياً وتركيبياً، ولكنّ ما يهمّنا هنا هو التتابع المنطقي الناتج عن هيمنة التشاكل المفهومي على هذه البنية ومكوناتها، وسبب هذه الهيمنة أنّ الدائرة النصّية العامّة تدور حول محور واحد، هو قيام عمر على شؤون المسلمين.

مكتبة الجامعة الاردنية

وهذا التشاكل المفهومي يرد في هذه البنية على النحو التالي:

١- في (إنّي داعٍ فأمنوا): يجمعها فيما بينها مفهوم العبوديّة لله والتوجّه إليه بالدعاء وطلب الإجابة منه.

٢- في ما بين (إنّي داعٍ فأمنوا) و(اللهمّ إنّي غليظ... إنّك على كل شيء قدير): يجمعها مفهوم الدعاء.

٣- في (اللهمّ إنّي غليظ... ولا اعتداء عليهم): يجمعها مفهوما الغلظة واللين وعلاقتهما بالصلة بالله.

٤- في ما بين (اللهمّ إنّي غليظ... عليهم) و(باقي البنية النصّية): سلوك عمر.

٥- في ما بين (... عليهم) و(اللهمّ إنّي شحيح... والدار الآخرة): صفات عمر.

٦- في (اللهمّ إنّي شحيح... الدار الآخرة): مفهوم الشحّ.

٧- في ما بين (اللهمّ إنّي شحيح... الدار الآخرة) و(اللهمّ ارزقني خفض... للمؤمنين): يجمعهما ابتغاء وجه الله.

٨- في ما بين (اللهمّ إنّي شحيح... الآخرة) و(باقي البنية النصّية): سلوك عمر.

٩- في (اللهمّ إنّي كثير الغفلة والنسيان... حين): مفهوم التذكّر.

١٠- في ما بين (اللهمّ إنّي كثير... حين) و(اللهمّ إنّي ضعيف... وتوفيقك): مراقبة الله.

١١- في ما بين (اللهمّ إنّي كثير... حين) و(باقي البنية النصّية): سلوك عمر.

١٢- في (اللهمّ إنّي ضعيف... وتوفيقك): يجمعها القوّة والعمل.

١٣- في ما بين (اللهمّ إنّي ضعيف... وتوفيقك) و(اللهمّ ثبّتني... الشّبهات).

١٤- في ما بين (اللهمّ إنّي ضعيف... وتوفيقك) و(باقي البنية النصّية): سلوك عمر.

١٥- في (اللهمّ ارزقني التفكّر... قدير): معرفة شرع الله والعمل به.

١٦- في ما بين (اللهمّ ارزقني التفكّر...) و(باقي البقيّة النصّية): سلوك عمر.

أمّا العناصر التي تتسلسل فيها بشكل منطقي:

١- التأمين على الدعاء؛ وهو مشاركة فيه، ولم يقل إنّي داع فاسمعوا، ولو فعل لأبعدهم من كونهم شركاء أكفاء إلى خاضعين أو جاهلين لا يقدرون على مشاركة أمرهم؛ فالأمر المنطقي الذي يمكن أن يتوقع من خليفة يحكم بأمر الله أن يشركهم في دعائه؛ وأن يستعين بهم على طاعة الله.

٢- الأمر المنطقي الذي يجمع بين الإخبار بالدعاء وإجرائيّته أن يبدأ بقول (اللهمّ).

٣- أمر منطقي آخر أن يبدأ عمر بالحديث عن غلظته التي تستحوذ على اهتمام الجميع، ويعدّونها المثلبة الوحيدة التي يتصف بها، فأراد أن يبيّن لهم عن هذه الغلظة بعد الخلافة ما هي.

٤- أمر منطقي آخر هو أن يقابل عمر غلظته باللين، وأن يقسم الغلظة على أصحابها واللين على أصحابه.

٥- ويعد اتباع عمر للطريقة نفسها في استهلال الطلب من الله أن يقول اللهمّ أمراً منطقياً.

٦- ذكر عمر لبعض الصفات التي تحط من مكانته بقصد زيادة همّته في الحسن منها، وإبداء التواضع وعدم الركون إلى ما قد ظهر منها للناس مثل: الشحّ، والغفلة، والنسيان، والضعف.

٧- وذكر صفات وأفعال أخرى مقابل تلك التي لا يريدها أمر منطقي، ومتوقع؛ مثل: اليقين، والبر، والتقوى، والحياء، والحذر والخضوع... والعمل بهذه كلها.

٨- والأمر المنطقي الأخير أن يعلق عمر هذا الدعاء على مدّة بقائه حيّاً، وأن يختم بالثناء على الله، ويمكن تمثيل الربط المنطقي بالشكل التالي:

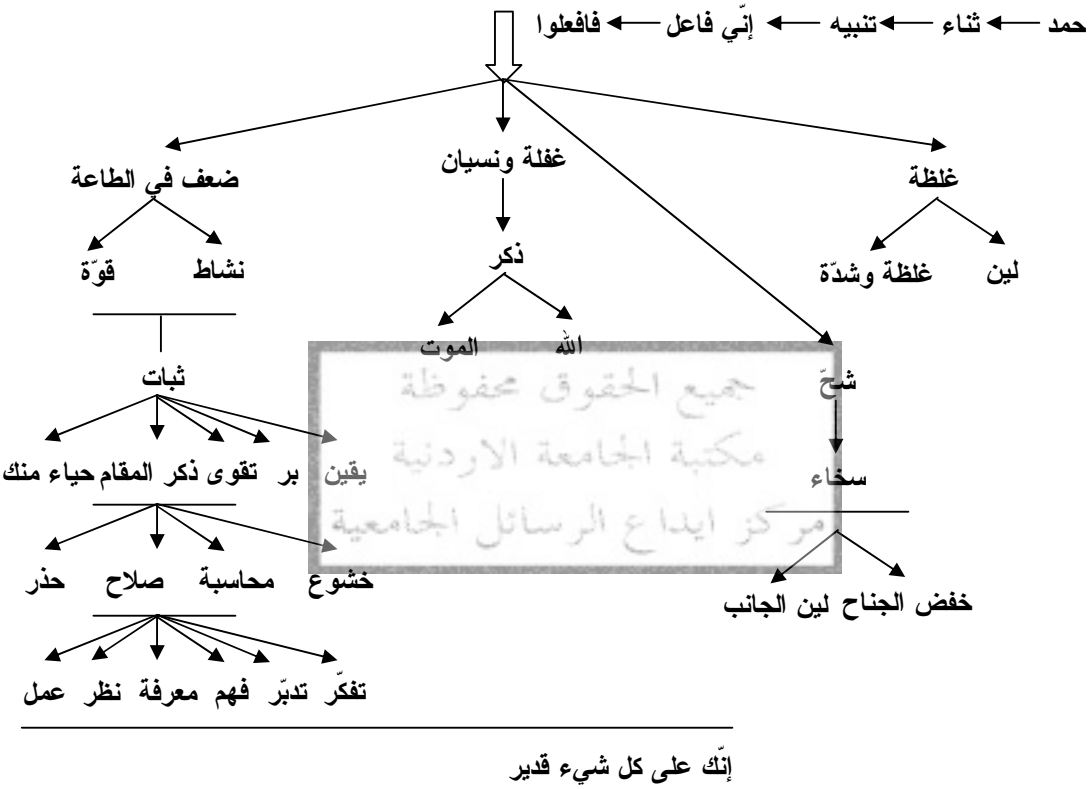

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعند النظر إلى خاتمة النص ﴿**إنّك على كل شيء قدير**﴾ نتبيّن أهميّتها في ربط الخطاب؛ إذ إنّه بهذه الخاتمة قد جعل الخطاب دائرياً ينطلق من (الله) ليعود إليه: (اللهم... إلى إنّك على كل شيءٍ قدير)، وهي بذلك تبيّن أنّ القائل أراد أن يطمئنهم بأنّ الله هو المسؤول عن كل شيء قادر على تحويل الغلظة إلى نقيضها.

نحو النص والمعطيات اللغويّة (الاتساق وتحقيق الرؤى):

من أهمّ ما عُني به نحو النص هو الظواهر النصّية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، وتتجاوز وصف الأبنية اللغويّة إلى العناية بالجوانب الدلاليّة والتواصليّة في النص بشكل كلي؛ ويستند إلى أن "النص لا يُجيز وجوداً مستقلاً لعناصره، إذ لا تكون القيم الجزئيّة ذات اعتبار كبير إلا باشتراكها في القيمة الكبرى المتكوّنة من ذلك التكوين الأكبر"(١)، وبذلك فإنّ الجمل بالنسبة للنص أشبه ما تكون سلسلة من المفردات التي تحكمها قيود الربط والترابط الجمليّة(٢)؛ وذلك يعني أنّ بتر جملة ما من مجموعة من التتابعات الجمليّة يؤدي إلى غموض معناها الفعلي، ممّا يحتم المعالجة الكليّة دون الاعتماد المطلق على الناحيتين الدلاليّة والاتصاليّة(٣).

وفي إطار هذه المعالجة التركيبيّة فإنّ البحث سيعمد إلى الكشف عن وسائل الاتساق الموجودة في النص، من خلال النظر إلى بنية النص من الداخل، وهذا يقتضي وصفاً وتحليلاً للنظام الذي تأتلف فيه البنى النصّية؛ بحيث يتم تمحيص علاقات الارتباط الأفقيّة التي تنشأ بين مكوّناتها، وبيان مقوّماتها التي تحكم النص(٤).

والاتساق النصّي في خطبة عمر هذه يرتكز على وسائل عدّة ومظاهر لغويّة تنسج العلاقات بين البنى الداخلية وتبيّن وظائفها، ومن هذه الوسائل:

١- الإحالة:

وهي علاقات ربط تساهم في تشكيل وحدة النص وانتظام العناصر المكوّنة لعالم النص، وهي نوعان:

---

(١) بحيري، **علم لغة النص**، ص١٣٩-١٤٠.
(٢) دايك، **علم النص**، ص٧٣.
(٣) انظر: بحيري، **علم لغة النص**، ص٢٣٩.
(٤) انظر: الزناد، **نسيج النص**، ص٢٥؛ وحميدة، **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة**، ص٢؛ وانظر: أبو زيد، **إشكاليّات القراءة وآليّات التأويل**، ص٢٢ "لكي نفهم العناصر الجزئيّة في النص، لا بدّ – أوّلاً – من فهم النص في كليّته، وهذا الفهم للنص في كليّته لا بدّ أن ينبع من فهم العناصر الجزئيّة المكوّنة له"، ويؤكّد في ص١٧٣ على علاقة هذه الكليّة النصّية بالناحية التركيبيّة فيقول: "المعنى إذن هو محصلة التفاعل الدلالي بين معاني الألفاظ من ناحية ومعاني النحو التي أقامها المتكلم بين هذه الألفاظ من ناحية أخرى".

أ- إحالة مقاميّة أو خارجيّة (Exophora): وتشمل المستوى الخارجي الذي يقوم على وجود ذات المخاطِب خارج النص، ولا يستقيم النص بإغفاله[١].

ب- إحالة مقاليّة أو داخليّة (Endophora): وهي مستوى داخلي يختصّ بالنص المدروس، ويمثلها تركيب لغوي يشير إلى جزء ما من عناصر النص التي ذُكرت فيه صراحة أو ضمناً، وهي قسمان:

١- إحالة سابقة (Anaphora): وفيها تستخدم كلمة ما بديلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص.

٢- إحالة لاحقة أو بعديّة (Cataphora)[*]: وتكون فيها كلمة ما بديلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات اللاحقة لها في النص[**][٢].

إنّ أهمّية الإحالة تنبع من كونها تحقق التماسك الدلالي للنص، من خلال شيوع صيغها في النص بالقدر الذي يجعل منه وحدة متسقة منسجمة؛ كما أنّها تعدّ معياراً هامّاً في بحث القواعد التي يجب أن تفي بقيود ما يسمّى بالنصّية (Textuality)[٣] التي حدّد بوجراند معايير تحققها[٤].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

(١) لا يرى هاليداي ورقيّة حسن أن للإحالة المقاميّة دوراً في بناء النص واتساقه، وهذا لا يستقيم مع اعتبارهما الاتساق مفهوماً دلالياً قوامه العلاقات المعنويّة الموجودة في النص (انظر: أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش، ص١٢٤-١٢٥)، ولقد شكّك براون ويول (Brown & Yule) في صحة تمييز هاليداي وحسن بين الإحالة خارج النص والإحالة داخل النص، ونظرا إلى تعريفهما للإحالة الداخليّة والخارجيّة على أنه معقول لخطة وقتيّة دون أن تكون هذه الطريقة المثلى (انظر: براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص٢٣٨-٢٤٠).

(*) بالنظر إلى طبيعة تعامل الغربيين مع هذا النوع من الإحالة وطبيعة تعامل النحو العربي مع المبهمات نجد أن هذا النوع من الإحالة ينتفي من العربيّة؛ لأن النحاة العرب اشترطوا تقدّم المفسّر على المبهم لفظاً ورتبة أو محلاً وتقديراً، وكادوا يمنعون الخروج على هذا الأصل؛ إلا أنه ورد في العربيّة أحياناً مثل: "على نفسها جنت براقش"، ومن القرآن: ﴿**فأوجسَ في نفسهِ خيفةً**﴾ (طه، آية ٦٧)، ﴿**ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون**﴾ (القصص، آية ٧٨)، ولذلك سنتعامل مع هذا النوع من الإحالة بطريقة تختلف قليلاً عن طريقة تعامل الغربيين معها (انظر: الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٢٥-١٢٦).

(**) اختلف المؤلفون من باحثين ومترجمين في تقسيمهم للإحالة وتسميتهم لهذه الأقسام، فنجد بعضهم قسّمها ثلاثة مستويات، وأغلبهم قسمها قسمين؛ ولكنهم اختلفوا أيضاً في تسميتها وترجمتها، فعدّهما محمد خطابي مثلاً في لسانيّات النص، (ص١٧): مقاميّة ونصيّة، وعدّها محمد الشاوش في أصول، (ص١٢٥): مقاميّة ومقاليّة، وعدّهما الزناد، ص١١٩): معجميّة ونصيّة (مقطعيّة)، وعدّهما الفقي في ص٧٠ خارجيّة وداخليّة ونصّية.

(٢) انظر: الزناد، **نسيج النص**، ص١١٨-١١٩؛ وانظر: الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٢٥؛ والفقي، **علم اللغة النصّي بين النظريّة والتطبيق**، ص٧٠.

(٣) انظر: بحيري، **دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدلالة**، ص٩١.

(٤) ورد ذكر هذه المعايير في موطن سابق من هذا البحث؛ وراجع: دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص١٠٣-١٠٥.

ومن المفيد هنا أن نذكر أنّ قضيّة الإحالة وردت عند النحويين العرب بالاعتماد على "تصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة، وهي الألفاظ التي لها دلالة والتي تحيل بمفردها على خارجها في الواقع، وألفاظ مبهمة، ولكنّك لا تعرف لها خارجاً إلا متى توفر مفسّرها، وهذا المفسِّر قد يكون مقاميّاً وقد يكون مقاليّاً"(١).

فباجتماع هذه العناصر المقاميّة والمقاليّة "تقوم شبكة من العلاقات الإحاليّة بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة، وتختصر الوحدات الإحاليّة العناصر الإشارية وتجنّب مستعملها إعادتها وتكرارها"(٢).

وفي ضوء هذا الفهم، سيتم الكشف عن خيوط هذه الشبكة في النص الذي بين أيدينا من خلال وسائل الاتساق الإحاليّة التالية:

١- الضمائر؛ وتقسم إلى:

أ- منفصلة(٣)؛ مثل: أنا، أنت، أنتما، أنتم، هو، هي،..

ب- متصلة؛ ومنها ما هو متصل بالفعل، مثل: كتبت، كتبتِ، كتبنا، ...، ومنها ما هو متصل بالاسم(٤)، مثل: كتابُكَ، كتابكِ، كتابكم، ...، ومنها ما هو متصل بالحرف، مثل: إنّي، إنّك، إنّكم، ...

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٢- ألفاظ الإشارة: ويقصد بها أسماء الإشارة المكانيّة والزمانيّة، والظروف الدالة على الاتجاه، والعناصر المعجميّة التي تقوم بعمل الإشارة؛ مثل: هذا، هذه، هذان، ...ذلك، تلك، ...، أمس، الآن، غَدَا، هنا، هناك، ...، شرقاً، غرباً، ...، أمام، قدام، خلف،...

٣- أدوات المقارنة: إنّ عدّ المقارنة وسيلة من وسائل الاتساق ورد أوّل ما ورد عند هاليداي و رقية حسن حيث اعتبر المقارنة ضرباً من الإحالة، بنوعيها المقاليّة القبليّة والمقاليّة البعديّة، وأنّها تقوم بدورها الاتساقي عندما يكون متعلقهما متحد الهويّة (نفسه) أو مشابهاً لمثله أو مخالفاً له(٥).

---

(١) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٢٥.
(٢) الزناد، **نسيج النص**، ص١٢١.
(٣) يطلق عليها محمد خطابي في عرضه لكلام هاليداي ورقيّة حسن: "الضمائر الوجوديّة" انظر: خطابي، **لسانيّات النص**، ص١٨.
(٤) يطلق عليها محمد خطابي في عرضه لكلام هاليداي ورقية حسن: "ضمائر الملكيّة"، انظر: خطابي، **لسانيّات النص**، ص١٨.
(٥) هذا بحسب هاليداي ورقيّة حسن، وقد أخذ عليهما الشاوش هذا المسلك ورأى أن "وجوه المقارنة أقرب إلى السمات الدلاليّة منها إلى المبهمات والعناصر الإحاليّة، وإن ما بدا للمؤلفين من اتصالهما بالإحالة=

ولكن التعامل مع هذا الطرح على إطلاقه لا يستقيم في العربيّة، فهي – المقارنة – تظهر عند استعمالها في الممايزة والتفضيل واحدة من مقتضيات البنية الدلاليّة للألفاظ والصيغ المستخدمة؛ لأنّ المفردات من قبيل "مثل" و"شبه" وما جاء من الكلمات على صيغة التفضيل تقتضي دلالياً أو قل منطقياً بنية ثنائيّة وبالتالي لا يجري استعمالها إلا في بنية تركيبيّة تتوفر فيها تلك الثنائية بوجه من الوجوه، وإذا أطلقنا لهذه الظاهرة الدلاليّة التركيبيّة أن تكون دائماً إحالة فقد فُتح باب يصعب غلقه، إذ سيدخل فيه جميع البنى الدلاليّة التركيبيّة التي تقتضي عنصرين اثنين بما في ذلك الصيغ الدالة على المشاركة، وبذلك تبتلع الإحالة معظم مقتضيات الدلالة والإعراب[١].

ولذلك، سيتم التجاوز عن هذا المطلب هنا – إرجاءً لا إلغاءً – وضمّه إلى مطلبي الحذف والاستبدال.

– **الإحالة في النص (الإحالة الضميريّة):**

جميع الحقوق محفوظة

سبق البيان أنّ هذا النص وحدوي يدور حول فكرة واحدة هي الخلافة، وأنّ هذه الفكرة تنتظم في خطّين متوازيين هما الدين والدولة، وذكرنا كيف جاء الحديث بنية متكاملة أدّى كل جزء منها دوره بانتظام؛ وقد تجسّدت هذه الاتساقيّة التي حققت انسجام النص من خلال توازي الإحالة الضميريّة مع انقسام الفكرة النصيّة العامّة، إذ يهيمن على النص نوع واحد من الضمائر هو الضمير المتصل[٢]، ولكنّه انتظم أيضاً في خطّين متوازيين هما: ضمير المتكلم وضمير المخاطَب[٣]، وقد جاء انتظامهما للنص على النحو التالي:

=راجع إلى خصوصيّة في اللغة الإنجليزيّة أوهمت بذلك، وإذا تجاوزنا خصوصيّة هذه اللغة لاحظنا أن الإطار الأنسب لتناول مظاهر الربط هذه ليست عمليّة المقارنة في حدّ ذاتها وإنما ما يصحبها من عمليّات أخرى تعود أساساً إلى الإضمار والحذف، ومتى تسنى لك إرجاع نفس العدد من مظاهر الترابط إلى تفسير واحد (الحذف) بدل إرجاعها إلى تفسيرين (الحذف تارةً والمقارنة تارةً أخرى) لم تحتج إلى الاستدلال على تفضيل الأوّل على الثاني، وهو الحل الذي اتبعه النحاة العرب في تحليل ظاهرة المقارنة، وقد تناولوها بالتفصيل في باب التفضيل". انظر: الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٣٠.

(١) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٣٠.

(٢) يكون الإضمار بترك تكرار الاسم والاستعاضة عنه بعلامة الضمير، وقد ورد في كتاب سيبويه تعليق للسيرافي على الإضمار جاء فيه: "اعلم أن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكريره في جملة واحدة كان الاختيار ذكر ضميره.. ويجوز إعادة لفظه بعينه في موضع كنايته" (سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، (ت: ١٦٠هـ). **الكتاب**. ط١، (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦، ج١، هامش (١)، ص٦٢).

(٣) ذكر سيبويه أن "المضمر المرفوع إذا حدث عن نفسه فإن علامته أنا، ...ولا يقع أنا في موضع التاء التي في فعلْت" (**الكتاب**، ج٢، ص٣٥٠)، واعلم أن علامة إضمار المنصوب المتكلم "ني"، وعلامة إضمار المجرور المتكلم الياء (**الكتاب**، ج٢، ص٣٦٨)؛ وراجع حول الضمير والعلامة: الأوراغي، محمد،

١- ينتظم النص ضمير المتكلم المتصل (الياء)، وهو ضمير وجودي يسير مع النص من أوّله إلى آخره، فيربط أجزاء النص بعضها ببعض ويجعل من التي يظهر فيها أوّلاً (إنّي داع فأمنوا) بؤرة مركزيّة ورئيسيّة في النص، تحال عليها جميع محاور النص وترفدها، ويصبح بذلك ضمير المتكلم متحكماً في النص وبانياً أساسياً لاتساقه.

ويمكن إدراك ذلك من خلال تتابع هذا الضمير وتسلسله بين حالات عمر المتنوّعة التي تحدّث عنها من وصف لنفسه وطلب التغيير لحالتها؛ إذ لم يخل من الياء المتصلة – سواء كانت في محل رفع أو في محل نصب – جزء من أجزاء النص تقريباً:

"إنّي داع فأمنوا، اللهمّ إنّي غليظ، فليّني لأهل طاعتك..، وارزقني الغلظة... من غير ظلم منّي..، اللهمّ إنّي شحيح، فسخني في نوائب..، واجعلني ابتعى.. اللهمّ ارزقني.. اللهمّ إنّي كثير.. فالهمني ذكرك..، اللهمّ إنّي ضعيف.. فأرقني النشاط.. اللهمّ ثبّتني.. وارمني الخشوع فيما يرضيك عنّي، والمحاسبة النفسي، ..اللهمّ ارقني التفكّر.. يتلوه لساني..".

نلحظ أنّ النص منسوج على الضمير المتصل المعبّر عن المتكلم، فكأنّه إنّما كان منظوماً عليه؛ وكيف لا يكون كذلك، وقد صُنع له وأقيم عليه، معبِّراً عن صاحبه، مُجلياً عنه، يأتي مرّة مسنداً إليه ومرّة مسنداً.

فبناء النص على هذا الشكل واعتماده على ضمير شخصي غير متحوّل[١] بهذا القدر يبيّن قدرة الضمير على تطويع الجزئيّات المتناثرة التي كانت أفكاراً مجرّدة بعيدة عن الترويض والتواصل وجعلها نسيجاً موحّداً منتظماً.

وصاحب تتابعَ هذا الضمير الشخصي المتحدّث عن نفسه وتسلسله تتابعٌ وتسلسلٌ لضمير آخر هو ضمير الملكيّة المعبِّر عن المخاطب، فتشكّل في النص عنصرا التوازي والثبات اللازمان لمتابعة المتلقين لأحداث الخطاب والتواصل مع المتحدّث الذي حوّل الخطاب من خطاب مباشر لهم إلى خطاب غير مباشر لهم؛ إذ إنّ تحويل الخطاب يستلزم حالة جديدة من الثبات حتى يمكن متابعته، وهذه الحالة جاءت من خلال المقابلة بين الضميرين: ضمير المتكلم وضمير المخاطب.

(٢٠٠١). **الوسائط اللغويّة (١- أفول اللسانيّات الكليّة)**. (ط١). الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، ص٢٣٥-٢٤٢.

(١) أي أنّ هذا الضمير لم يتحوّل من صيغة المتحدّث المفرد عن نفسه إلى المتحدثيْن أو المتحدثين عن أنفسهم، كما أنه لم يعبّر عن نفسه بضمير الجمع (نحن) الذي يأتي أحياناً معبّراً عن المفرد.

ففي المرحلة التي كان الخطاب فيها موجهاً توجيهاً مباشراً للناس جاءت الموازنة والمقابلة بذكر ضمير المتكلم بعد عمليّة المناداة، فمثل الضمير الشخصي الوجودي – ضمير المتكلم – طرفاً مقابلاً – من حيث إشارات التواصل – لـــ(يا أيّها الناس)؛ ثمّ جاءت المقابلة المباشرة في هذه المرحلة بالجمع بين ضمير المتكلم المعبّر عن الفرد (ي) وضمير المخاطب المعبّر عن الجماعة:

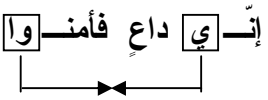

وفي المرحلة التي تلتها وتحوّل فيها الخطاب من مباشر للناس إلى غير مباشر، ونتج عنها حالة خطاب مباشر مع الله، أصبح التوازي قائماً بين ضميرين شخصيين وجوديين مفردين؛ هما الضمير المعبِّر عن المتكلم عمر بحالتيه – المسند والمسند إليه – والضمير المعبِّر عن المخاطب (الله) بنوعيه – ضمير الوجود وضمير الملكيّة[١] – الذي أخذ الخطاب كله تقريباً، وقد تجلى هذا التوازي وتحكّم في النص على النحو التالي:

مركز ايداع الرسائل الجامعية

– إنّي غليظ فليّني

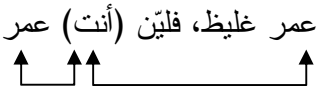

ففي هذه العبارة (إنّي غليظ فليّني) نجد أنّ ضمير المتكلم جاء دالاً على صاحب الكلام الذي أزال وجوده وقت الكلام إبهام الضمير وغموضه، وضمير المخاطب دال على المخاطَب الذي استحضر من خلال توجيه النداء إليه بـــ(اللهمّ)[٢]، وما مجيء ضمير المتكلم مرتين إلا ليحيل على الذات المحوريّة التي ستدور حولها كل الذوات الأخرى المتلقية للنص، وما اقترانها

---

(١) يقصد بضمير الوجود: الضمير الذي يُستعاض به عن ذكر الاسم ويدل على حضور المستعاض عنه في عمليّة التخاطب وعدم الاستغناء عنه كركن من أركان التواصل الخطابي، بخلاف ضمير الغيبة الذي يتم الاستعاضة به ولكنه لا يكون طرفاً مباشراً في عمليّة التواصل الخطابي؛ أمّا ما يقصد بضمير الملكيّة فهو ما يُستعاض به عن ذكر الاسم وهو إمّا وجودي مثل الكاف في (كتابك) أو غيابي مثل الهاء في (كتابه)؛ وقد ميّزت هنا ضمير الوجود الدال على المتكلم والمخاطب (أنا، أنت) من ضمير الملكيّة الوجودي لأن الأوّل يتضمّن دلالة الوجود فقط بينما الثاني يتضمّن دلالة الوجود والملكيّة معاً، وقد اختلف النحاة في تقسيم الضمائر ووظائفها (انظر: الساقي، فاضل، (١٩٧٧). **أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة**. (ط١)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص٨٢-١٣٢).

(٢) يقول عباس حسن: "الضمائر كلها لا تخلو من إبهام وغموض، ...سواء أكانت للمتكلم أم للمخاطب الغائب، فلا بدّ لها من شيء يزيل إبهامها ويفسّر غموضها. فأمّا المتكلم والمخاطب فيفسّرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره مباشرة". انظر: حسن، عباس، (١٩٧٦). **النحو الوافي**. (ط٤). القاهرة: دار المعارف، ج١، ص٢٥٥.

بضمير المخاطب هنا ومن بعده في كل جزء من أجزاء النص إلا لأنّه يحيل على الذات المتصرّفة في الذات المحوريّة التي ترقبها الذوات المتلقية، ولذلك فإنّ كل الإحالات اللغويّة التي تحيل على المستوى الداخلي تقوم عليهما ويتحكّمان في أبنية النص ويهيمنان عليه.

ونجد في هذه العبارة (إنّي غليظ فليّني) توازن في علاقات التخاطب، بورود الضمير فيها؛ إذ إنّ ورود ضمير المتكلم مرّتين، وورود ضمير المخاطب مرّة واحدة، كان سببه أنّ العبارة سبقت بنداء الله، وتبع بوصف عمر، ثمّ طلب إيقاع الفعل من الفاعل (الله)، على المفعول به (عمر)[١]:

(اللهمّ إنّي غليظ فليّني)

(اللهمّ إنّ (عمر) غليظ فليّن (أنت) عمر)

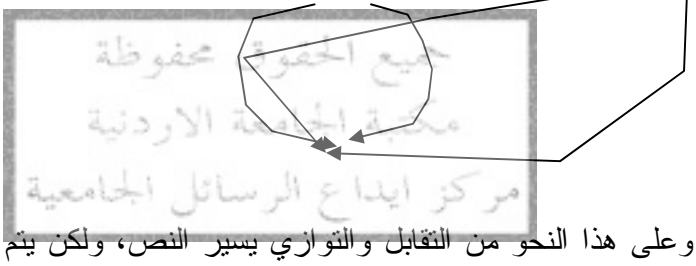

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعلى هذا النحو من التقابل والتوازي يسير النص، ولكن يتم تتابع أحد هذين المحيلين بقدر الحاجة إليه لبناء النص وفق ما خطّط له منشئ النص؛ فبعد أن كان عمر ينادي الله، كان يبني كل عبارة على توازن قائم على هذا النداء، فيؤثر هذا على استخدامه للإحالة الضميريّة، فيزاوج بين استخدامه للضمير المستتر (أنت)، وضمير الملكيّة (الكاف)، وتصبح بذلك كل مقطوعة مبدوءة بـــ(اللهمّ) جزءاً منفرداً عن بقيّة المقطوعات، ولكن أيّاً منها لا تغاير في بنيتها الإحاليّة الأخريات؛ ففي المقطوعة الأولى:

"اللهمّ إنّي غليظ فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء الدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدّة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منّي لهم ولا اعتداء عليهم".

---

(١) نلحظ كيف أن الإضمار جاء بعد أن عرف السامع أن المخاطب هو الله، فجرى الإضمار هنا جرياناً مستقيماً لم يختلج سامع الخطاب لحظة شك بأن الضمير يعود على الله عن طريق الإلحاح عليه في مقدّمة كل مقطوعة ومناداته، إذ أصبح الضمير معرفة يسدّ مسدّ الاسم الظاهر، وهو لا يكون كذلك إلا بعدما يعرفه السامع، وذلك أنك لا تقول: مررت به، ولا ضربته ولا ذهب ولا شيئاً من ذلك حتى تعرفه، وتدري إلى مَن يرجع هذا الضمير (راجع: المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت: ٢٨٥هـــ). **المقتضب**، (تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٤، ص٢٨٠).

نجد أنّ (الكاف) في (أعدائك) أحالت إلى الضمير المستتر في (ارزقني)، وهذا الضمير المستتر أحال على المحال إليه نفسه في (ليّني) والمحال إليه نفسه في (طاعتك) وهو الله[١].

كما نجد أنّ (الياء) في (منّي) أحالت إلى ما تحيل إليه (الياء) في (ارزقني) وهو نفسه ما تحيل إليه (الياء) في (ليّني) وهو نفسه ما تحيل إليه ياء المتكلم في (إنّي غليظ) و(إنّي داع) وهو عمر.

وعلى هذا النحو بنيت الإحالة الضميريّة في بقيّة المقطوعات؛ إذ هيمنت عليها إحالة الضمير إلى ما قبله. ولذلك نجد أنّ الإحالة الضميريّة تحكّمت في بناء النص، ولكن أثر كل محيل من هذه الضمائر يختلف بحسب سياق الاستخدام اللغوي للضمير نفسه، ولكنّ النص في مجمله بُني على الأفعال المستندة إلى ضمائر الإحالة: ضمير المتكلم المفرد الدال على عمر، والضمير المستتر الدال على الذات الإلهيّة، وضمير الملكيّة الدال على الذات الإلهيّة أيضاً، وضمير الغيبة الدال على أعداء الله وأهل الدعارة والنفاق، وضمير الغيبة الدال على كتاب الله.

ولكن بناء النص على الأفعال المستندة إلى هذه الضمائر يتخذ شكلاً تراتبياً معيّناً في النص بشكل عام وفي كل مقطوعة منه بشكل خاص؛ فضمير المتكلم المفرد الدال على عمر وضمير المخاطَب المستتر الدال على الذات الإلهيّة وضمير المخاطب المفيد للملكيّة والدال على الذات الإلهيّة يتبوآن مكان الصدارة من بين ضمائر الإحالة في النص، ويأتي بعدهما ضمير الغائب الدال على كتاب الله؛ ويلي ذلك كله ضمير الغيبة الدال على الناس.

ومن هذا نستدل على ارتباط أهمّية المحال إليه بمقدار النوع الإحالي إليه؛ فعمر هو الشخصيّة الأساسيّة الأولى في هذا النص، والله هو (الشخصيّة الأساسيّة) في هذا النص وغيره من النصوص، ولذلك نجد أنّ الإحالة الضميريّة إلى عمر تقدّمت على كل الإحالات؛ والإحالة الضميريّة إلى الله فاقت جميع الإحالات، وكثرت الإحالة إليه في كل مقطع من مقاطع النص؛ ثم تركّزت الإحالة إلى كتاب الله في المقطع الأخير لأنّه الدستور الذي سيسير عليه عمر ويتحاكم الناس به وينتهون إليه؛ كما ظهرت الإحالة إلى الناس في المقطع الأوّل في: (من غير ظلم لهم، ولا اعتداء عليهم) لأنّهم المتلقون للنص، والذين سيتم التعامل معهم.

إنّ الإحالة الضميريّة في هذا النص اتخذت صوراً عدّة:

---

(١) جاء هذا التقدير "لأن الأصل هو المظهر وإنما المضمر فرعة" (ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، (ت: ٥٧٧هـ). **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دون مكان طبع، ١٩٨٢، ج٢، ص٤٤٨-٤٤٩).

١- الصورة الأولى: إنّ + ضمير المتكلم + اسم فاعل: إنّي داعٍ.

٢- الصورة الثانية: إنّ + ضمير المتكلم + صفة مشبهة: إنّي غليظ، إنّي شحيح، إنّي ضعيف، إنّي كثير الغفلة.

٣- الصورة الثالثة: فعل أمر + ضمير المخاطب الجمع: أمِّنوا.

٤- الصورة الرابعة: فعل أمر + ضمير المخاطب المستتر + حرف جر: ليّني لأهل...، سخّني في نوائب...، ثبّتني باليقين....

٥- الصورة الخامسة: فعل أمر + ضمير المخاطب المستتر + ضمير متكلم (ي) مفعول به أوّل + مفعول به ثانٍ: ارزقني الغلظة، ارزقني خفض الجناح، ارزقني النشاط...

٦- الصورة السادسة: فعل أمر + ضمير المخاطب المستتر + مفعول به + ضمير مخاطب يفيد الملكيّة: ألهمني ذكرك.

جميع الحقوق محفوظة

٧- الصورة السابعة: فعل أمر + ضمير مخاطب مستتر + ضمير متكلم (ي) + حرف جر (اللام) + عنصر معجمي مضاف + مضاف إليه ومضاف + ضمير مخاطب يفيد الملكيّة: ليّني لأهل طاعتك.

٨- الصورة الثامنة: فعل أمر + ضمير مستتر مخاطب + ضمير متكلم + فعل مضارع + ضمير مستتر متكلم: اجعلني ابتغي.

٩- الصورة التاسعة: إنّ + ضمير متكلم + صفة مشبهة + حرف جر + عنصر معجمي + حرف جر + عنصر معجمي + ضمير مخاطب يفيد الملكيّة: إنّي ضعيف عن العمل بطاعتك.

١٠- الصورة العاشرة: فعل أمر + ضمير مستتر مخاطب + ضمير متكلم + مفعول به + واو عطف + حرف جر + ما الموصوليّة + فعل مضارع + ضمير غيبة مبهم + عنصر معجمي + ضمير متكلم + حرف جر + عنصر معجمي + ضمير مخاطب يفيد الملكيّة: (ارزقني التفكّر والتدبّر لما يتلوه لساني من كتابك).

٢- ينتظم النص ضمير المخاطب المستتر (أنت) والمتصل (الكاف) الدال على الملكيّة بشكل موازٍ لضمير المتكلم، ويمثل هذا الضمير البؤرة الرئيسة التي يرتكز عليها الجانب الآخر من جانبي الخطاب:

"إنّي داعٍ فأمنوا، اللهمّ إنّي غليظ فليّني (فليّن (أنت) عمر) لأهل طاعتك..، وارزقني (ارزق (أنت) عمر)... على أعدائك... من غير ظلم منّي ولا اعتداء عليهم... إنّي شحيح فسخّني (سخّ (أنت) عمر)... وأجلني (اجعل (أنت) عمر)... ارزقني (ارزق (أنت) عمر)... إنّي كثير... فألهمني (ألهم (أنت) عمر)... إنّي ضعيف عن العمل بطاعتك، فارزقني (ارزق (أنت) عمر)... بعزّتك وتوفيقك... ثبّتني (ثبّت (أنت) عمر)... بيديك، والحياء منك، وارزقني (ارزق (أنت) عمر)... يرضيك عنّي، والمحاسبة لنفسي... ارزقني (ارزق (أنت) عمر) التفكّر... يتلوه لساني من كتابك... إنّك على كل شيء قدير.

وقد سبق أنّ تتبّعنا الجانب الأوّل من الخطاب الذي وجدنا فيه كيف تمّت الإحالة بالضمائر إلى عمر، وفي هذا الجانب الذي نجده مقابلاً للأوّل نلحظ أنّه متصل به أشدّ الاتصال بل مقترن به ولا يمكن الفصل بينهما؛ فنجد مثلاً أنّ البنية المضمرة لـــ(ليّني) هي: ليِّنْ أنت (يا الله) عمر، ولا يمكن فهم هذه الجملة (ليّني) إلا بإضمار الضمير المستتر وإيقاع الفعل على الضمير المتصل (الياء)؛ "ومعلوم أنّ تقدير الضمير المستتر معنى يُدرك بالعقل ولا وجود له في اللفظ، وذلك على نقيض الضمير البارز الذي يلتزم المتكلم بإبراز لفظه صوتياً وكتابياً"[١]، إلا أنّ الضميرين قد يؤديان الدور نفسه ويحيلان إلى المُحال إليه ذاته، كما هو في هذا النص الذي بين أيدينا إذ يحيل كل من الضمير المستتر والكاف – الضمير المتصل البارز المفيد للملكيّة – إلى الله.

ونلحظ أنّ ضميري المخاطَب – المستتر والكاف[٢] – مثلا عنصراً أساسياً في تكوّن وحدة المعنى الدلاليّة وائتلاف المعاني الجزئيّة داخل النص وشكّلا الخيط الذي ينتظم حبّات العقد ويجمع بينها؛ فقاما بوظيفة الربط الناشئة عمّا في الضمير من إعادة الذكر، وفي هذا تعليق وائتلاف وربط "لأنّك إنّما تضمر اسماً بعد ما تعلم أن من يُحدّث قد عرف من تعني وما تعني، وأنّك تريد شيئاً يَعلمُهُ"[٣]، وبذلك يتسق التتابع بين الضميرين، ويمثل إحلال أحدهما مكان الآخر، وإنابتهما في النهاية مكان اسم ظاهر واحد – وهو الله – نقطة الالتقاء، التي تجمع طرفي الخيط في العقد، ولو تباينا في الإحالة لانقطع الخيط، وانفرط العقد، وتناثرت أجزاؤه؛ وهذا ما لم يحصل، بل ناب كل منهما مكان الآخر، واقترن به؛ ففي المقطع الأوّل:

---

(١) حميدة، **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة**، ص١٥٥.

(٢) الكاف ضمير متصل تدل على الخطاب وتفيد الاسميّة لأنها تدل على معنى الاسميّة؛ والذي يدل على اسميّتها هو موقعها الإعرابي؛ وقد جاءت في أغلب مواقعها في النص في محل جر مضاف إليه، والتزمت صورة الإفراد تبعاً لحالة المخاطب المفرد وهو هنا الله.

(٣) سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص٢٦٨.

"اللهمّ إنّي غليظ فليّني لأهل طاعتك.. وارزقني.. على أعدائك..".

نجد أنّ الضمير المستتر (أنت) بعد فعل الأمر (ليّن) والكاف في (طاعتك) والضمير المستتر (أنت) بعد فعل الأمر (ارزق) والكاف في (أعدائك) قد أحالت جميعاً إلى الاسم الظاهر – الله – نفسه وسدّ كل منها مسدّه، وأحال كل منها إلى الآخر، واقترن به وبُني عليه، إذ لولا تعلق أحدهما بالآخر لاختلط الأمر ولم يُؤمَن اللبس.

تستمر علاقة التبادل هذه بين الضمير المستتر، والضمير المتصل (الكاف) في جميع مقاطع النص متوازنة إلا في المقطع "اللهمّ ثبّتني باليقين والبر والتقوى، وذكر المقام بين يديك، والحياء منك"، حيث يزيد ظهور الكاف، ويطغى على الضمير المستتر، ولكنّه لا يلبث أن يعود التوازن بينهما في المقطع نفسه من خلال العودة لاستخدام فعل الأمر: ارزقني.

٢- ورد في النص بعض ضمائر الغيبة، وقد انحصرت في ألفاظ معيّنة، وجاءت بثلاثة أشكال على النحو التالي:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(١) هم؛ في: (لهم)، و(عليهم).

(٢) الهاء الدالة على المؤنث؛ في: (فيها)، و(عليها).

(٣) الهاء الدالة على المفرد الغائب المذكر؛ في: (يتلوه)، و(له)، و(بمعانيه)، و(عجائبه).

(٤) ضمير الغيبة المستتر (هي)، في: (... لا تكون إلا بعزّتك...)، وضمير الغيبة المستتر (هو) في: (...يرضيك عنّي...).

وقد جاء استخدام هذه الضمائر بعد أن عرف السامع كل اسم مُظهَر دل عليه كل ضمير؛ إذ يمكن تحديد الأسماء المظهرة التي أحالت إليها هذه الضمائر كما يلي:

١- هم في: (لهم) و(عليهم)، وقد ورد في المقطع الأوّل.

"اللهمّ إنّي غليظ، فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء الدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدّة على أعدائك، وأهل الدعارة والنفاق، من غير ظلم مني لهم، ولا اعتداء عليهم".

إنّ البحث عن الظاهر المضمر في هذه الحالة يقود إلى احتمالين: أوّلهما: وهو الأقوى والأقرب وهو أن يكون الضمير هم في (لهم) و(عليهم) يحيل إلى: أعدائك (أعداء الله) وأهل الدعارة والنفاق؛ لأنّ سياق الحديث انقطع عن الاسم الظاهر السابق – أهل طاعتك – باستئناف الحديث وإعادة فعل الأمر مرّة أخرى، ولأن الظلم يكون مع الغلظة والشدّة، وهاتان الحالتان من

التعامل قرنتا بأعداء الله وأهل الدعارة والنفاق؛ وثانيهما: وهو ضعيف جداً لكنّه يبقى قائماً وهو أن يحيل (هم) إلى كلا الصنفين اللذين تحدّث عنهما عمر معاً، وهما (أهل الطاعة) و(أعداء الله وأهل الدعارة والنفاق)؛ وبما يجعل هذا الاحتمال قائماً أن السياق المتقدّم على طريقة التعامل مع كل من الفريقين كان سياق غلظة حيث وصف عمر نفسه بـــ(إنّي غليظ) ولذلك فإن رجاء البعد عن الظلم والاعتداء يكون مطلباً في الحالتين.

وفي الحالتين فإن اتساق النص متحقق، وانسجامه واقع، ولكنّ نسبة تحققه في الحالة الأولى أكبر، وهو الذي ترتضيه نفسي وتطمئن إليه.

٢- الهاء الدالة على المؤنث في: (فيها) و(عليها).

"اللهمّ إنّي ضعيف عن العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها والقوّة عليها بالنية التي...".

من الواضح أنّ الضمير هنا يعود على (طاعتك)، وقد أغنى ذكر الضمير عن إعادة ذكر المحال إليه، وساهم في اتساق الخطاب بشكل فعّال، من خلال إعادة استحضاره في الجملة التالية لذكر الاسم المُظهر؛ وقد أثر هذا الضمير في بناء نحو النص، من خلال بيان الرؤية المتشكّلة في نفس القائل، إذ إنّه لم يقل: (وارزقني النشاط فيه والقوّة عليه) مع أنّ الكلام يستقيم كذلك، فعمد إلى الإحالة إلى الطاعة فقط، وليس إلى العمل فيها مع أن الطاعة إحدى نتائج العمل؛ لأنّه يدرك أنّ الأمور تقاس بخواتيمها، والأعمال بنتائجها، وأنّ للمجتهد المصيب أجرين وهذا ما يطمح إليه.

٣- ضمير الغيبة المستتر الدال على المؤنث بعد (تكون) وقد أحال إلى (النيّة الحسنة)، وضمير الغيبة المستتر الدال على المذكر بعد (يرضي) وقد أحال إلى الاسم الموصول (ما).

٤- الهاء الدالة على المفرد الغائب المذكر:

"اللهمّ ارزقني التفكّر والتدبّر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم لهِ، والمعرفة بمعانيهِ، والنظر في عجائبهِ، ...".

- أحال الضمير في (يتلوه) إلى الاسم الموصول (ما)، وقد يكون هذا الذي يُتلى جزءاً من الكتاب أو كله.

- أحال الضمير في (له) إلى واحد من الاحتمالين التاليين:

الأوّل: وهو ما يُتلى من كتاب الله وقد يكون بعضه وقد يكون كله.

والثاني: كتاب الله بصفة عامّة، وقرينة هذا الاحتمال ما عطف على الفهم من المعرفة والنظر في عجائبه؛ والنظر في عجائب الشيء، والفهم له لا يكون بالنظر إلى جزء منه، وإنّما بالنظر إليه بصفة عامّة.

- أحال الضمير في (بمعانيه) و(النظر في عجائبه) إلى المحال إليه نفسه في (له).

ولقد حقق الضمير (الهاء) في هذه المواطن الأربعة دوره في الربط بين أجزاء هذه المقطوعة من النص، وبالتالي فقد ساهم في تماسك النص الكلي، وتناسقه وذلك من خلال البُعد عن التكرار الذي لا يقصد به هنا غاية أسلوبيّة، وبذلك جنّب قائل النص استعمال العناصر المُحال إليها وإعادة تكرارها لا سيّما بعد أن تنعدم الحاجة إلى إعادة العنصر المُحال إليه بعدما يتفق كل من المُلقي والمتلقي على البنية العميقة التي يعبَّر عنها سطحياً بالعنصر المُظهَر أو الضمير.

- **الإحالة الإشاريّة:**

جميع الحقوق محفوظة

الإشارة: معنى من المعاني اللغويّة غير القائمة بذاتها بدليل قولك: "أشار المتكلم إلى كذا"؛ ولها أركان، إذا توفرت حصلت الإشارة، وهي[١]:

- المشير = المتكلم.
- المُشار إليه = الشيء في الخارج (وقد يبيّن مدلولاً عليه باسمه).
- المُشار له بالمُشار إليه = المخاطب.
- المُشار به = عبارة الإشارة (اللفظ الذي تتحقق به).
- عمل الإشارة = الحاصل معنى وخارجاً من الإشارة.

ولأسماء الإشارة دور بارز في ربط أركان القول والجمل بعضها ببعض ممّا يجعلها عناصر هامّة من عناصر اتساق النص وانسجامه[٢]؛ إذ يأتي المُشار إليه في كلام سابق قبل التلفظ باسم الإشارة فتكون الإشارة إلى شيء موجود أو حاصل في الذهن قبل التلفظ بالمُشار إليه.

---

(١) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٠٦٢-١٠٦٣.

(٢) ممّا يؤكّد أن عناية أوائل النحويين بالجملة دون النص أن حديثهم عن أسماء الإشارة جاء ضمن حديثهم عن المبهمات، ولم يتحدّثوا عنها ضمن العلاقات الترابطيّة كالعطف والفصل والوصل (انظر: سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص٧٧؛ وانظر: المبرّد، **المقتضب**، ج٣، ص١٨٦).

وتقسم الإشارة إلى نوعين: حسّية، ومعنويّة، وبين البنية الإحاليّة لضمير الإشارة، في حالة كون الإشارة حسّية، وكونها معنويّة، فارق كبير؛ سواء أتعلق ذلك بالمحال إليه (مفرد أم جملة أم جزء من نص أم نص كامل) أم باتجاه الإحالة (أهي إحالة إلى متقدّم أم إلى متأخّر) أم بالوظيفة التي يؤديها كل نوع منهما[١].

يستعمل اسم الإشارة استعمال الروابط فينقل معنى ما يسبقه إلى معنى ما يلحقه، ويكون بديلاً عن لفظة أو جملة أو نص؛ ولكنّ هذا الاستعمال يجعل من مدى الإحالة – باعتماد المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسّره – إلى نوعين[٢]:

النوع الأوّل: إحالة ذات مدى قريب؛ وتجري في مستوى الجملة الواحدة، حيث لا توجد فواصل تركيبيّة جمليّة.

النوع الثاني: إحالة ذات مدى بعيد؛ وهي تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص، وهي تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبيّة القائمة بين الجمل.

ومهما تعدّدت أنواع الإحالة الإشاريّة، واختلفت وظائف أدواتها، فإن لها وظيفة أساسيّة في عقد صلة وثيقة بين أجزاء النص، وصنع وحدة نصّية وسائلها متلاحمة، وأجزاؤها متماسكة، وقد ورد في النص الذي بين أيدينا عنصر إشارة محيل واحد هو: (ذلك).

أمّا نوع الإحالة التي قام بها اسم الإشارة (ذلك) في هذا النص فقد جاءت بشيء سابق عليه، وصار مستدخلاً لدى السامع، وتمثلت هذه الإحالة القبليّة في النص – بحسب المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسّره – في شكل واحد هو الإحالة المقاليّة، ذات المدى البعيد، بحيث جرت في المرّة الأولى بين جمل متصلة، متجاوزة الحدود التركيبيّة القائمة بين الجمل، وذلك في قوله:

"واجعلني بذلك أبتغي وجهك والدار الآخرة".

وفي هذا الموقع نجد أنّ (ذلك) أحالت إلى: "فسخّني في نوائب المعروف" ودليلنا على هذا أنّها – ذلك – جاءت في موقعها بين (أبتغي) و(وجهك والدار الآخرة) مؤكّدة لمعنى العبارة التي سبقتها (قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة)؛ فالخوف من أن يكون هذا العمل الذي سأل ربّه أن يهيّئه له رياءً وسمعة، جعله يعيد المعنى ذاته في العبارة اللاحقة، فلم

---

(١) بحيري، **دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدلالة**، ص١٢٧.
(٢) نفسه، ص١٣٣-١٣٤.

يجد بُداً من استخدام اسم الإشارة (ذلك) ليربط بين العبارتين، وبذلك تصبح أركان الإشارة الحاصلة متحققة كما يلي:

- المشير: عمر.
- المُشار إليه: (فسخّني في نوائب المعروف).
- المُشار له: المخاطَب وهو مباشر (الله) وغير مباشر (الناس).
- المُشار به: ذلك.
- عمل الإشارة: أحالت إلى المُشار إليه وأكّدت المعنى المُراد في العبارة السابقة.

ويمكن في قراءة أخرى أن تكون أركان الإشارة كما يلي:

- المُشير: عمر.
- المُشار إليه: جميع الأحوال والأعمال التي ذكرها عمر عن نفسه قبل اسم الإشارة من لين مع أهل الطاعة، وغلظة مع أعداء الله، وبُعد عن الظلم والاعتداء، وسخاء في نوائب المعروف وقصد في هذا السخاء.
- المُشار له: المخاطَب (وهو المخاطب المباشر وغير المباشر).
- المُشار به: ذلك.
- عمل الإشارة: الإحالة إلى المُشار إليه وتأكيد الغاية منه.

وفي المرّة الثانية أيضاً جرت الإحالة؛ إذ أحال اسم الإشارة (ذلك) إلى مجموعة من الجمل، وشكّل رابطاً بينها وبين ما يليها، واختصر ما تضمّنته من معانٍ، وأغنى عن تكرارها، وذلك في قوله:

"اللهمّ ارزقني التفكّر والتدبّر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنّك على كل شيء قدير".

فقد جاء استخدامها هنا مختلفاً عن الاستخدام الأوّل؛ إذ وردت بعد مجموعة من الأمور التي ذكرها عمر في المقطع الأوّل من نصّه، وأحالت إلى تلك الأمور إحالة صريحة مباشرةً؛ أمّا أركان الإشارة التي حققتها فهي كما يلي:

- المُشير: عمر.

- المُشار إليه: (التفكّر والتدبّر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه).
- المُشار له: المخاطَب المباشر وهو الله.
- المُشار به: ذلك.
- عمل الإشارة: الإحالة إلى المُشار إليه وربطه بـــ(ما بقيت) والجمع بين جميع أجزاء المحال إليه في خصيصة (العمل).

ونلاحظ أنّ (ذلك) قام بتعليق العمل بالعناصر المحال إليها بمدّة بقاء عمر حيّاً، كما أغنى عن إعادة تكرار الألفاظ التي أحال إليها، وبذلك يكون اسم الإشارة (ذلك) قد أدّى دوراً هامّاً في بناء نحو النص واتساق أجزائه وانسجام معانيه.

٢- الاستبدال[١]:

جميع الحقوق محفوظة

الاستبدال: هو عمليّة تتم داخل النص، يتم فيها تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وهو علاقة اتساق تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات[٢]، وتخضع هذه العلاقة لقواعد دلاليّة ومعنويّة تحكمها؛ إذ إنّ وجود العنصر المستبدَل رهين بموقعه في التركيب الداخلي للخطاب، وتقابله مع ما يسبقه وما يليه من عناصر معجميّة أو تركيبيّة تستدعي عناصر أخرى من خارج الخطاب في الذاكرة[٣].

يأتي دور الاستبدال في اتساق النص من خلال العلاقة بين المستبدِل والمستبدَل منه، وهي علاقة قبليّة بين عنصر سابق وعنصر لاحق في النص[٤] يجمعهما السياق التركيبي نفسه، إمّا باتحاد الوظيفة أو اتحاد الموقع أو اتحاد الموقع والوظيفة معاً؛ إذ يحتل العنصر المستبدَل موقع المستبدَل منه ويكتسب بعض ملامحه وسماته ولا يأخذها كلها لأنّه ليس إيّاه[٥].

---

(١) يعدّ دي سوسير أوّل مَن فتح الباب أمام المنهج الاستبدالي من خلال ثنائيّة العلاقات السياقيّة الأفقيّة والعلاقات العموديّة، ثمّ سار هذا المنهج بعده في ثلاثة اتجاهات: الأوّل شكلي وأصحابه اللسانيّون البنيويّون؛ والثاني وظيفي، والثالث: أخذ من شكلانيّة الأوّل ووظيفيّة الثاني (لمعرفة تفصيلات المنهج الاستبدالي راجع: دور المنهج الاستبدالي في وصف العربيّة وتقعيدها: وليد عبد الله).

(٢) خطابي، **لسانيّات النص**، ص١٩، نقلاً عن (Cohesion, p.88).

(٣) دي سوسير، فرديناند، (١٩٨٥). **علم اللغة العام**. (ترجمة: يوئيل يوسف عزيز)، ط١، بغداد: دار آفاق عربيّة للصحافة والنشر، ص٢٧.

(٤) خطابي، **لسانيّات النص**، ص٢٠.

(٥) عبد الله، وليد، (٢٠٠٢). **دور المنهج الاستبدالي في وصف العربيّة وتقعيدها**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنيّة، عمّان، الأردن، ص٢٣-٢٤.

إنّ الاستبدال، الذي مجاله الاستخدام لا التقدير، لا يسمح بالجمع بين المستبدل والمستبدّل منه معاً في موقع واحد، كما لا يسمح بحذفهما معاً، والغاية منه إما الإيجاز والاختصار، أو الاتساع والتجوّز أو التفصيل زيادة في البيان[١]؛ ولقد قسّمه هاليداي ورقية حسن بحسب وظائفه التركيبيّة إلى ثلاثة أقسام[٢]:

(١) الاستبدال الاسمي: وهو مجموعة المقولات الاسميّة التي يمكن أن تحل محل الاسم مؤديّة وظيفته التركيبيّة[٣].

(٢) الاستبدال الفعلي: وهو مجموعة المقولات الفعليّة التي يمكن أن تحل محل الفعل مؤدية وظيفته التركيبيّة[٤].

(٣) الاستبدال القولي: وهو مجموعة المقولات التي يمكن أن تحل محل قول ما مؤدية وظيفته التركيبيّة[٥].

ومن قبل هذا، سلم نحاتنا القدامى بصحّة استبدال الجملة بالمفرد، واستبدال المفرد بالجملة، إنّ صحّ استبدالها بمفرد، أو المفرد بجملة. قال سيبويه: "تقول: هذا رجل ضربنا، فتصف بها النكرة وتكون في موضع ضارب إذا قلت: هذا رجل ضارب"[٦]. وقال المبرّد: "وإنّما تكون الجمل صفات للنكرة وحالات للمعرفة؛ ...تقول: مررت بعبد الله يبني داره فيصير يبني في موضع نصب، لأنّه حال، كما تقول: مررت بعبد الله بانياً داره"[٧].

وبالإجمال فإنّ الاستبدال لا يكون مستوفيّاً لشروطه إلا إذا تمّ تحت شرط التساوي في الوظيفة النظميّة، وسائر الوظائف الشكليّة والدلاليّة[٨].

وإذا بحثنا في النص المُعطى وجدنا أن حالات الاستبدال الممكنة على النحو التالي:

---

(١) عبد الله، **دور المنهج الاستبدالي في وصف العربيّة وتقعيدها**، ص٢٩-٣١.
(٢) خطابي، **لسانيّات النص**، ص٢٠؛ والشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٣٣.
(٣) من تلك المقولات الاسميّة: واحد، واحدة، آخر، أخرى، ...، ومثاله: "وإنْ خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث... وواحدة".
(٤) من تلك المقولات: (فعل، وعمل) مكان فعل خاص، ومثاله: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي... ومَن يفعله منكم فقد...**﴾ (الممتحنة، آية ١).
(٥) من أمثلة ذلك: ﴿**فلمّا جاء السحرة قالوا لفرعون أإن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال: نعم**﴾ (الشعراء: آية ٤١-٤٢).
(٦) سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٢٤٨.
(٧) المبرّد، **المقتضب**، ج٤، ص١٢٣.
(٨) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص٢٤٣؛ وحميدة، **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة**، ص١٠٤-١١١.

- (ابتغاء) في: (فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء الدار الآخرة)، حيث يمكن استبدالها بـــ(لأبتغي)، إذ إنّ المفعول لأجله (ابتغاء) وضح غاية عمر من هذا السؤال، وهذا ما يمكن أن تؤدّيه (لأبتغي).
- (أبتغي) في: (واجعلني أبتغي بذلك وجهك...)، ويمكن استبدالها بـــ(مبتغياً) لأنّ كلاً منهما في محل نصب.

أمّا إذا نظرنا إلى علاقات الاستبدال المعجمي في النص، وربطها مع العلاقات التلاؤميّة، فيمكن تمثيلها كما يلي:

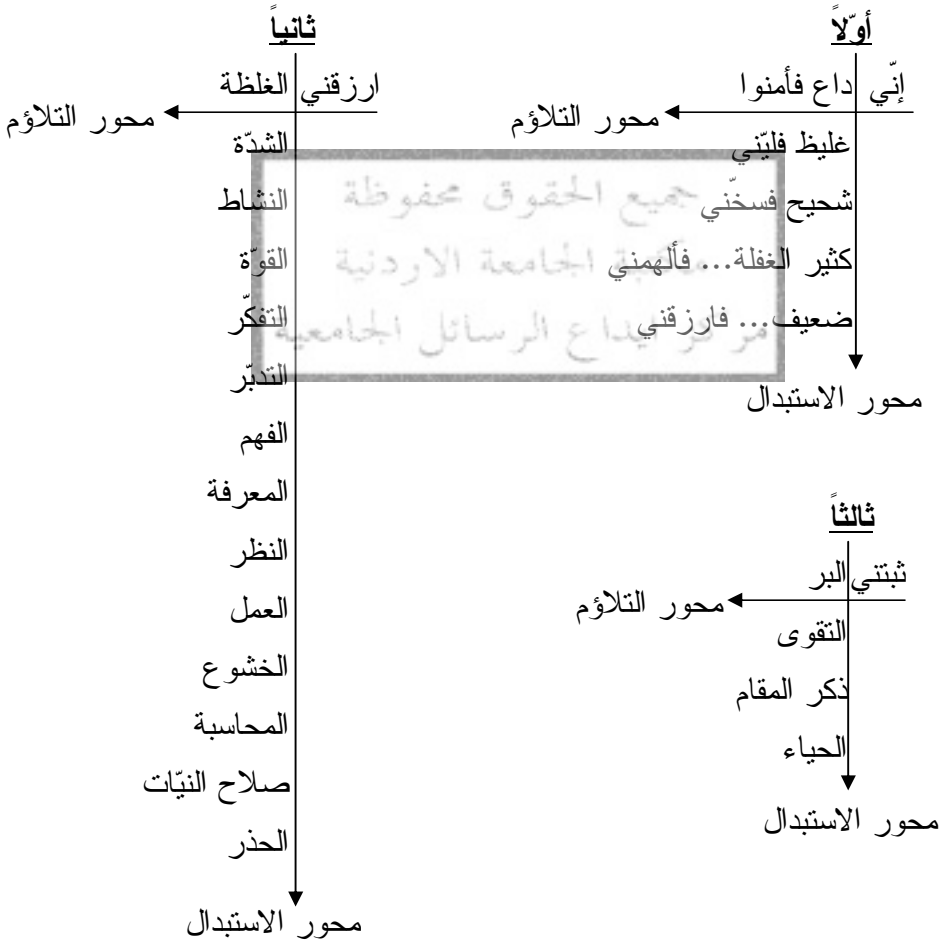

٣- الحذف:

إنّ الوظيفة الأساسيّة الكبرى للغات البشر هي الاتصال، وهو اتفاق بين مرسِل ومستقبل على نظام رمزي مكوّن من علامات لغويّة، وهذه العلامات تتمثل في الكلام، والكلام إنّما وُضع للفائدة، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة، إنّما من الجمل ومدارج القول[١]. ومدارج القول هذه تتضمّن الهيئات المناسبة للوفاء بالمعاني المقصودة، والمعاني هي المالكة لسياسة الألفاظ، المستحقة طاعتها[٢]، "والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصّاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"[٣]، وهذا التأليف والتركيب والترتيب يأتي من مباشرة المتكلم للواقع، وهذا الواقع يفرض أشكالاً لغويّة دون غيرها.

والحذف إحدى الظواهر التي يميل الناطقون إلى اتباعها في الكلام، فيعتمدون على قرائن تغني عن المحذوفات[٤] التي قد تطال المقال ويغني عنها السياق، فيعتري الحذف مكوّنات النص من جملة ومفرد وحرف وحركة، ويبقى لذلك دليل يدل عليه[٥].

وهذا يعني أنّ الحذف علاقة اتساقيّة، تردُ في النص على المستويين المعجمي والنحوي، يهتدي فيها المتلقي إلى عناصر غير ظاهرة ويقدّرها اعتماداً على قرائن مقاليّة ومقاميّة[٦]، وهذا التقدير هو الذي يجلي العبارة ويوضّح المعنى المقصود للمكوّن اللغوي، أمّا ما ينطق بالفعل أو يرسم بالكتابة فهو ما عُرف عند التحويليّين بالتركيب الظاهري أو البنية السطحيّة[٧]، وهذا "يقتضي التسليم بمبدأ الأصليّة والفرعيّة في اللغة؛ أي لا بدّ من وجود تركيب أصلي أو صيغة أصليّة اعتراها الحذف أو الزيادة أو تغيّر ترتيب عناصرها"[٨].

وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه النحاة الأوائل، وتحدّث عنها سيبويه، ونبّه عليها في الصيغ والتراكيب، وبيّن كيفيّة الاستدلال على المحذوف، وكثر الحديث عنها، وعدّت خصيصة من خصائص العربيّة التي تعتمد للإيجاز، حتى قال قائلهم: "واعلم أنّ العرب – مع ما ذكرناه – إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد، ألا ترى أنّها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك

---

(١) ابن جني، **الخصائص**، مج٢، ص٣٣١.
(٢) الجرجاني، عبد القاهر، (ت: ٢٧١ أو ٢٧٤هـ). **أسرار البلاغة**. ط١، (قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة ودار المدني، جدّة، ١٩٩١، ص٨.
(٣) نفسه، ص٤.
(٤) حمودة، طاهر سليمان، (١٩٨٢). **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**. (ط١)، الإسكندريّة: الدار الجامعيّة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندريّة، ص٩.
(٥) انظر: ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٣٦٠؛ وحمودة، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، ص١٩.
(٦) انظر: لاينز، **اللغة والمعنى والسياق**، لاينز، ص١١٢.
(٧) الخولي، محمد علي، (١٩٨١). **قواعد تحويليّة للغة العربيّة**. (ط١). الرياض: دار المريخ، ص٢١-٢٢.
(٨) حمودة، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، ص١٧.

الحال وملالها"[١]، إلى أن جاء ابن مضاء وانتقد مسلك النحاة في تقدير المحذوفات، ونبّه على أن الحذف ليس أصلاً في اللغة وإنّما يأتي لأغراض أسلوبيّة[٢].

فاللجوء إلى الحذف ينبع من دواع جماليّة وبلاغيّة تزيد النص رصانة، وتؤدّي به إلى التماسك وتفعيل المشاركة بين القائل والمتلقي في إنتاج المعنى وتشكيله، والإفادة من التراكم المعرفي الماثل لدى كل منهما، وبذلك يكون الحذف "هو استبعاد العبارات السطحيّة التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"[٣].

ومع أنّ اللغات جميعاً تشترك في سمة الحذف، وضرورة وجود قرينة أو أكثر للدلالة على المحذوف، إلا أنّها تختلف من حيث أسباب الحذف وأغراضه وشروطه وأنواعه تبعاً لطبيعة كل لغة وقواعدها؛ ولذلك فإنّ معالجة الحذف في النصوص العربيّة التي بيّن أيدينا ستختلف عن المعالجات الغربيّة التي ظهرت عند براون ويول، وهاليدي ورقيّة حسن، وغيرهم[٤].

جميع الحقوق محفوظة
المركز الوطني للبحث العلمي

ومن الحريّ ذكره، أنّ الحذف لا يكون دائماً محققاً لتماسك النص واتساقه، وذلك بحسب السياق الداخلي وسياق التلقي[٥]، ولهذا سيركّز البحث – في تناوله للحذف – على المواضع التي يكون فيها إسهام الحذف في تناسق النص وتماسكه إسهاماً مباشراً، وذلك من خلال جوانب معيّنة هي[٦]:

١- تقدير المحذوف.

٢- الصلة بين المحذوف والقرينة الدالة عليه.

---

(١) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٢٦٠.

(٢) انظر: القرطبي، ابن مضاء، (ت: ٥٩٢هـ). **الردّ على النحاة**. ط١، (تحقيق: شوقي ضيف)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص٨٨-٨٩، ومن الأمثلة البيّنة على ما ورد في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم مَن خلق السماوات والأرض ليقولُن الله**﴾ (سورة لقمان، آية ٢٥)، وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿**ولئن سألتهم مَن خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾ (سورة الزخرف، آية ٩)، وما هذا الحذف إلا لاختلاف المقامين. راجع: عباس، فضل حسن، (٢٠٠٠). **البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني**. (ط٧)، عمّان: دار الفرقان، ص٢٥٥-٢٧١.

(٣) دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٣٠١.

(٤) لمزيد من التفصيل عن ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق الترابط بين الجمل المكوّنة لنص الخطاب وأغراضه وشروطه وقواعد إجرائه، راجع: حمودة، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**؛ والشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١١٣١-١٢١٣.

(٥) أثار الحذف في العربيّة إعجاب النقاد وحيرة البلاغين، فأخذوا يستقرون مواقعه ويتلمّسون لطائفة، يقول عبد القاهر الجرجاني على الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزْيَدُ للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبنْ" (**دلائل الإعجاز**، ص١٤٦).

(٦) الفقي، **علم اللغة النصّي**، ج٢، ص٢٢٥.

٣- صلة الحذف بالمرجعيّة والتكرار، وبيان هذه المرجعيّة.

وما ذلك إلا محاولة للجمع بين أثر المعنى الشكلي، وأثر المعنى الفلسفي في استكمال درس النص اللغوي[١]، إذ يقتضي المعنى الفلسفي أن يكون فعل لكل فاعل، ولكل حدث مُحدِث، فإذا وجد الفعل في اللفظ، فلا بدّ أن يستكمل بالفاعل، وهنا تبرز مسألة تقدير المحذوف[٢] التي جعلت النحاة قديماً يقفون أمام جمل لم يستكمل بعض هذه العناصر لعدم حاجة المتكلم إليها؛ لأنّ السياق اللغوي عنها ولأنّ العُرف ارتضى عدم ذكرها في الكلام[٣].

وفيما يلي بيان الحذف الوارد في النص من خلال الجدول التالي:

تفسير المحذوف	الصلة بين المحذوف والقرينة الدالة عليه	صلة الحذف بالمرجعيّة
و(ارزقني) الشدّة	الاشتراك في المعنى والحلم	سياق داخلي
و(على) أهل الدعارة	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(على أهل) النفاق	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
ولا اعتداء (منّي) عليهم	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(أبتغي) الدار الآخرة	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) ليّن الجانب	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(إنّي كثير) النسيان	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ألهمني) ذكر الموت	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) القوّة	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(لا تكون إلا) بتوفيقك	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ثبّتني) بالبر	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ثبّتني) بالتقوى	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ثبّتني) بذكر المقام	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ثبّتني) بالحياء	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) المحاسبة	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) إصلاح الساعات	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) الحذر من الشبهات	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) التدبّر	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) الفهم	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) المعرفة	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) النظر	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ارزقني) العمل	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي

نُلاحظ من خلال هذا الجدول وجود كثير من الحذف تجنّباً للإطالة وجنوحاً إلى الاختصار، وذلك باللجوء كثيراً إلى أسلوب العطف والاعتماد عليه كثيراً، وكثُر في النص حَمْل الصيغ على تقدير العامل، فاشتركت في الموقع الإعرابي، وبالتالي فقد أغنى هذا الموقع عن إعادة ما يُوجب على المفردة أو الصيغة أن تكون بذلك الإعراب، وأغنى عن إعادة ما لا يقصد

(١) في هذا البحث لن يُعالج الحذف الواجب أو ما قدَّره النحاة لغايات إجرائيّة مثل حذف الفعل (أدعو) في النداء والفعل (أخص) في الاختصاص، وكذلك ما يردُ في أساليب التحذير والإغراء والمدح والذم والقسم؛ لأن فتح هذا الباب من شأنه أن يفتح الباب على مصراعيه لمعاودة النظر في قيام البنية العامليّة في النحو العربيّة، وهذا ما لا يتطلبه هذا البحث، إذ يقصد البحث إلى الوقوف على مقوّمات التماسك النصّي وأثر الحذف فيها.

(٢) العزاوي، نعمة رحيم، (١٩٨٢). الجملة العربيّة في ضوء الدراسات اللغويّة الحديثة، **مجلة المورد**، ١٠(٣-٤)، ص١١٥.

(٣) نفسه، ص١٦٦.

لغاية بلاغيّة أو أسلوبيّة، وهذا أسلوب معروف في العربية؛ إذ يرد ما ظاهره حذف شيء، ولكنّه مقصود ذكره.

وعندما نتحدّث عن الحذف هنا فإنّنا نقصد ما يتضمّنه الحذف من حذف واجب، وحذف مقدَّر، وحذف ناشئ يُستغنى به عن استخدام أسلوب العطف ومختلف التوابع، إذ الغرض من الحذف هو التخفيف والاختصار غالباً، ولذلك فإنّ الحذف يتنافى مع التوكيد والتكرار؛ لأنّ الغرض منه التخفيف وهذا يتنافى مع التوكيد والإطالة والإسهاب، ولمّا كان الأمر كذلك تدافع الحكمان فلم يجز أن يجتمعا(١).

وممّا يُلاحظ أيضاً من الجدول السابق أنّ الحذف كان غير مؤدٍّ للبس أو تعمية، وإنّما كان واضحاً أمام المخاطب وضوحاً كاملاً، بفضل القرائن التي كانت كافية لتقدير المحذوف حيث يدفع اللبس سياق اللفظ وجريان المعنى المنشود في المقام.

وأمّا تقدير المحذوفات في النص فإنّه نابع من الاعتماد على البنية العميقة في التعامل مع النص، وهذه البنية العميقة هي ذاتها ما اعتمد عليه في النظريّة التحويليّة، وهذا التقدير محكوم بأمرين أساسيّين هما المعنى والصياغة النحويّة؛ أي الأصول النحويّة العامّة والقواعد الخاصّة المتفق عليها، ولذلك تمنع أحياناً بعض التقديرات التي يجيزها المعنى لأنّ الأصول النحويّة تتعارض معها، أي أنّ ثمّة قواعد وأسساً أخرى تعارف عليها النحاة في تقديرهم للمحذوفات غير الأمرين السابقين، ومنها قضيّة الأصليّة والفرعيّة؛ فالأصل في الكلام عدم الحذف، والأصل فيه أيضاً أن يكون له ترتيب معيّن، فإذا حل به ما نسمّيه تقديماً أو تأخيراً فقد خرج الكلام عن الأصل(٢).

وهذا النوع من الحذف الوارد في الجدول ويتصل بالتراكيب حيث حُذف عنصر من عناصر الجملة أو أكثر، أو حُذفت جملة أو أكثر، مَنْوىٌ أصلاً في ذهن المتكلم، ووصله إلى المخاطب مقصود، ولذلك فإنّه يأتي عنصراً هامّاً من عناصر الاتساق الداخلي للنص(٣)؛ لأنّ

---

(١) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٢٨٧.
(٢) حمودة، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، ص١٥٥-١٥٦.
(٣) "العطف بعامّة موضع يكثر فيه الحذف لما فيه من طول الكلام، وتكرّر للعناصر التي يمكن الاستغناء عنها لورود مثلها أو مقابلها، ويرد في الأسماء والأفعال والجمل" (حمودة، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، ص٢٤٩)، "ونلاحظ أن حذف المعطوف يرد في تقدير النحاة – غالباً – إذا كان مقابلاً للمعطوف عليه مع وجود القرينة" (حمودة، **ظاهرة الحذف في النص اللغوي**، ص٢٤٩، وراجع: ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام، (ت: ٧٦١هـ). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. (ط١). (حققه وعلق عليه: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢ ج١، ص١٠، ج٢، ص١٦٧).

المحذوف كالمذكور، لا سيّما إذا كان دليلاً عليه[١].

٤- العطف:

العطف فن دقيق المسلك، وسرّ من أسرار البلاغة، شغل القدماء والمحدثين حتى بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حداً للبلاغة لا يتأتى في العربيّة تمام الصواب فيه إلا للأعراب الخلص والذين طُبعوا على البلاغة[٢]، ومعلوم أنّ فائدته في المفرد أن يُشرك الثاني في إعراب الأوّل، وأنّه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب[٣].

ولا يكون العطف في الكلام حتى يكون المعنى بين المعطوف والمعطوف عليه مجموعاً برابط يجعل من ضمّهما أمراً ممكناً، وذلك بأن يكون أخوين أو نظرين أو مُشتَبِكَي الأحوال على الجملة[٤]، وكلما زادت الصلة بينهما ازداد الاشتباك والاقتران[٥]، وصار الشيئان شرعاً واحداً وسُوِّي بينهما في الإجراء[٦].

وللعطف شروط وحدود لا يجوز تجاوزها، فلا يجوز أن نعطف الشيء على نفسه، كما لا يجوز العطف بين أمرين لا يجمعهما أي جامع – سواء أكان هذا الجامع لفظيّاً أو دلاليّاً – وله أحوال عديدة، وتقسيمات متنوّعة تتسم بالاتساع وشدّة الاختلاف، تشكّل في مجملها أصولاً وقواعد متى ضُمّ بعضها إلى بعض شكّلت منوالاً تأسّس عليه نواة لنحو النص[٧].

فالعلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه تجعل منهما شيئاً متماسكاً، يربط بين أجزائه أدوات شكليّة – حروف العطف – وعلاقات دلاليّة ناتجة من المعنى والمضمون، فتمتدّ هذه العلاقات من جزء إلى آخر حتى يكون النص كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني.

وأدواته "علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل، وتبيّن مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص"[٨]، ولا يجوز حذف حروف العطف أو إضمارها، ولو

---

(١) الفقي، **علم اللغة النصّي**، ص٢٢١.
(٢) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، إذ يقول عن ذلك: "واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: "إنه خفي غامض، ودقيق صعب"، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب" (**دلائل الإعجاز**، ص٢٣١).
(٣) نفسه، ص٢٢٢.
(٤) نفسه، ص٢٢٥.
(٥) نفسه، ص٢٢٦.
(٦) هذه العبارة استعملها سيبويه عندما تحدّث عن المعطوف دون أن يذكر مصطلح العطف الذي لم يكن معروفاً في حينه (راجع: سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص٤٥١، والشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ٤٠٣).
(٧) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٤٣٣.
(٨) الزناد، **نسيج النص**، ص٣٧.

أضمرت لاحتاج المخاطب إلى وحي يفسّر له ما في نفس مكلمه، وذلك لأنّها أدلة على معان في نفس المتكلم[١].

وللعطف أهميّة كبرى في وصل المعاني بعضها ببعض، وربط أجزاء الكلام، وتحقيق الفائدة منه، ولولاه لاحتاج المتكلم إلى ذكر أشياء يتعذر معها ائتلاف أجزاء القول ومعاملته كلاً موحّداً، كما أنّ الاستغناء عن العطف يؤدّي إلى الاستغناء عن كثير من الظواهر اللغويّة الأخرى مثل الحذف والاختصار، وبالتالي لا يتأتى الإيجاز الذي يعدّ ركناً أساسيّاً من أركان البلاغة، والاستغناء عنه يزري بالكفاية اللغويّة.

وأثر العطف لا ينحصر في تحقيق التماسك على مستوى الجزء من الكلام وإنّما يتوّزع في مختلف المستويات؛ فأحياناً نجده على مستوى الألفاظ، وأحياناً على مستوى الجملة، وأحياناً على مستوى الجمل، وأحياناً على مستوى الفقرات، وأحياناً على مستوى النصوص.

ويظهر أثر العطف في هذا التماسك كلما أدّت أدوات العطف أدواراً أخرى في النص غير الربط، ممّا يجعل منه وسيلة لجعل الخطاب أكثر اتساقاً وانسجاماً من خلال التماسك الدلالي الذي يخلفه في بنية النص العامّة، وبناء مجموعة من العلاقات المشتركة التي تنطلق من مقومات ذلك الخطاب.

والعطف بصفته محققاً للترابط النصّي[٢] يبرز مراحل التنظيم التي خضع لها النص قبل أن يستوي نصّاً، فهو يبيّن قدرة المؤلف على جعل النص يتفاعل فيما بينه ويتفاعل مع السياق الذي أنتج ذلك النص، فيحقق بذلك وظيفة اللغة، وكفاءة النص في الاستعمال، من خلال ارتباط الشكل النصّي بعناصره الدلاليّة؛ لأنّ النص يقع تحت ضغط بنيتين: بنية نسقيّة حضوريّة تظهر في المكوّنات اللغويّة التي تكوّن البنى النصيّة؛ وبنية فرضيّة مرجعيّة هي بنية نمط الخطاب[٣].

وكون العطف يتوزّع بين اللفظ والمعنى في الجملة الواحدة، وبين الجمل، فإنّ هذا يعدّ نواةً أساسيّة تتكوّن بها بنيات النص الأوليّة، وتتجمّع حولها علاقات التضام التي يتشكّل منها نحو النص، ويصبح بعض النص معتمداً على بعض، إذ يمكن أن نرجع الربط بين الجمل إلى مبدأ

---

(١) ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٢٨٢.

(٢) يميز سعيد يقطين بيّن "الترابط النصّي" و"النص المترابط"، فيعني بالأوّل السمة التفاعليّة المميّزة للنص كيفما كان نوعه؛ أمّا "النص المترابط" فيقصره على النص الذي يقوم على الروابط التي تصل بين مختلف أجزائه ومكوّناته؛ بذلك يعدّ الترابط النصّي مظهراً من مظاهر التفاعل النصّي (راجع: يقطين، سعيد، من النص إلى النص المترابط، **مجلة عالم الفكر**، ٣٢(٢)، ٨٣).

(٣) قريرة، توفيق، (٢٠٠٣). التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي. **مجلة عالم الفكر**. ٣٢(٢)، ١٨٤.

العطف في أعمّ وجوهه؛ فهو ربط بين مكوّنات لها ببقيّة العناصر نفس العلاقة ونفس الوظيفة؛ ولكن ضمن قيود تركيبيّة ودقائق معنويّة تحكم ذلك التضام(١).

وفيما يلي بيان ذلك في النص:

فقد ذكر أنّ شرط العطف وجود جهة جامعة بين المعطوف والمعطوف عليه، وأنّ النص الذي بين أيدينا يتحدّث عن المنهج الذي سيتبعه عمر مع الناس من خلال الحديث عن الذات القائلة للنص؛ وبالتالي فلا بدّ أن يكون ما يجمع بين المنهج والذات القائلة هو الجامع الدلالي المشترك بينهما.

ولذلك فإنّنا نلحظ أنّ للنص في بنيته المنجزة منطلقاً دلالياً متسلسلاً يوجّهه على ضوء هذه البنية نحو ضرب من الترابط المستمد من البنية الخطابيّة التي تسوقه بشكل عفوي إلى التماسك النصّي الذي يبدو عند تحليله مصطنعاً.

فعلاقة التقابل بين حالتي الحاكم مع (أهل الطاعة) و(أعداء الله...) جعلت من عمليّة التعامل معهما شيئاً مشتركاً جُمع بين شقيه بحرف العطف (الواو)، فقال: "ليّني... وارزقني..."؛ فبان الأمر وكأنّه حال واحدة، انقسمت إلى مرحلتين؛ والشيء نفسه فعلهُ الاتفاق في الدلالة بين (الغلظة) و(الشدّة) من جانب و(أعداء الله) و(أهل الدعارة) و(أهل النفاق) من جانب آخر؛ وكذلك الأمر بالنسبة لـــ(الظلم) و(الاعتداء).

وفي قوله (ليّني) و(ارزقني) عطف فعلاً على فعل لأنّ حكمهما الاستواء في الاستعمال التركيبي، إذ اجتمعت المرحلتان على أن يكون لكل منهما فعل يؤدّيها، فالأولى (اللين) هي ما يوافق فئة معيّنة من الناس، والثانية (الغلظة والشدّة) هي ما توافق فئة أخرى مقابلة، ولذلك فقد صحّ عطف الثانية على الأولى فارتبطت بها.

وفي قوله (الغلظة والشدّة) أسهمت الأداة (الواو) في الجمع بين صفتين من الصفات التي تلائم الفئة الأخرى، والصفتان متقاربتان وتتصلان بموصوف واحد عُبِّر عنه بلفظين: الأوّل، وهو "أعدائك" (أعداء الله)، والثاني وهو (أهل الدعارة والنفاق).

وبما أنّ أهم خصائص العطف أنّه بنية تربط بين مكوّنين بينهما تناسب ينتجان مركباً عطفيّاً مماثلاً لطبيعة العنصرين المربوطين، فقد جاء المركب العطفي (أعدائك وأهل الدعارة

---

(١) انظر: الشاوش، محمد، (١٩٨٣). ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربيّة. **أشغال ندوة اللسانيّات في خدمة اللغة العربيّة**، تونس (٢٣-٢٨ نوفمبر ١٩٨١)، سلسلة اللسانيّات، العدد (٥)، ص٢٦١.

والنفاق) مماثلاً لطبيعة العنصرين المربوطين (أعدائك) و(أهل الدعارة والنفاق)؛ إذ إنّ كلا العنصرين منفرداً يعبّر عن الفئة نفسها التي تناسبها الغلظة والشدّة، كما أنّ المركب العطفي مجتمعاً يعبّر عن تلك الفئة، ولذلك فقد جاء الربط بينها على درجة عالية من التناسق والانسجام، وهذا نفسه ينطبق على عطف لفظة (النفاق) على (الدعارة) مع الأخذ بعين الاعتبار احتمال أن يكون قبل (النفاق) حذف تقديره (أهل) وأن تكون (النفاق) قد عطفت على (أهل الدعارة).

أمّا في قوله (من غير ظلم منّي ولا اعتداء عليهم) فقد عطفت (اعتداء) على (ظلم) وعوملتا المعاملة التي عوملت بها (الغلظة) و(الشدّة) نفسها، فقرن الاعتداء بالظلم بواسطة حرف العطف (الواو) لما يجمعهما من اشتراك دلالي، إذ كل منهما يحيل إلى التجاوز على حقوق الآخرين والبُعد عن الصواب.

وإذا تتبعنا حالات العطف الواردة في النص جميعها، وجدنا أنّ:

١- العطف ورد على حالات متنوّعة شملت: عطف اللفظة على اللفظة في داخل الجملة الواحدة، وعطف العبارة على العبارة، وعطف الجملة على الجملة في داخل المقطوعة الواحدة.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

٢- أكثر حالات العطف كانت عطف لفظة على أخرى؛ ممّا جعل بينهما تناظراً شكّل في ما بينها ترابطاً رصفيّاً متناسقاً زاد من تماسك الجمل وانسجامها.

٣- أداة العطف الوحيدة المستخدمة في النص كانت الواو.

٤- كان العطف في معظم الحالات متوازناً بحيث عطفت اللفظة على اللفظة المقاربة لها في الدلالة والتصرف، وعطفت الجملة على الجملة المشابهة، وكانت في أغلبها جمل فعل الأمر، وهذا أيضاً ممّا زاد في التناسق والانسجام؛ إذ كلما كانت المناسبة أشدّ كلما كان العطف أحسن.

٥- ظهر في النص بعض حالات عطف الخاص على العام، مثل: (أعدائك) و(أهل الدعارة والنفاق)، فالمعطوف هنا حالة خاصّة من المعطوف عليه.

٦- ظهر في النص بعد حالات العطف القائمة على علاقات الارتباط المنطقيّة المتصلة ببعضها

دلاليّاً، فكثرت الحالات التي تمّ فيها العطف بين الكلمات التي ترتبط دلالاتها بحقل دلالي واحد، وتمّ استعمال تراكيب ووحدات صرفيّة مرتبطة داخل العقل في حقول دلاليّة وصرفيّة ونحويّة، ممّا جعل بينهما اقتراناً في التأليف، وتلاؤماً في الاستعمال، وأمثلة هذا في النص كثيرة أهمّها:

(١) عطف الشدّة على الغلظة. (٢) عطف الاعتداء على الظلم.

(٣) عطف التبذير على السرف. (٤) عطف السمعة على الرياء.

(٥) عطف (لين الجانب) على (خفض الجناح). (٦) عطف النسيان على الغفلة.

(٧) عطف (ذكر الموت) على (ذكر الله). (٨) عطف القوّة على النشاط.

(٩) عطف التقوى على البر. (١٠) عطف التدبّر على التفكّر.

(١١) عطف المعرفة على الفهم. (١٢) عطف النظر على الفهم.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

فورود مثل هذه المفردات والتعبيرات معاً على نحو مطّرد يزيد في قوام الترابط والتماسك في داخل الوحدات النصيّة، ويجعل منها كلاً موحّداً مبنيّاً بعضه على بعض دلاليّاً، ومن ثمّ يكون النص مسبوكاً محبوكاً محتفظاً بكينونته واستمراريّته، فيظهر متسقاً منسجماً[١]؛ لأنّ وسائل الاتساق – كما الانسجام – لا تنفصل بأي حال من الأحوال عن المعاني والمفاهيم التي يطرحها عالم النص أو ينشطها في ذهن المتلقي، أو المقاصد والوظائف التي يروم النص وصاحبه تحقيقها[٢].

والعطف هنا حقق التماسك عن طريق الجمع بين محدّدات كل حالة من حالات التعامل وحقلها الدلالي، ومن ثمّ التركيز على بثها وتتابعها على سمع المتلقي حتى يعيها وتترسّخ في ذهنه فينطلق منها، بعد أن أصبحت كلاً موحّداً متآلفاً يؤدّي بالمتلقي إلى السير في عمليّة إدراكيّة منتظمة غير متسقة، وذلك لأنّ انتظام النص في بنية متسلسلة تسلسلاً مؤتلفاً ومنطقيّاً يجعل من النص المنجز نصاً قياديّاً ومؤثراً وموجّهاً أكثر منه لو لم تكن كذلك.

---

(١) سيتم مناقشة أثر ذلك بالتفصيل عند الحديث عن التكرار والمصاحبة المعجميّة.
(٢) انظر: عبد المجيد حسين، **علم النص (أسسه المعرفيّة وتجلياته النقديّة)**، ص١٤٧.

٥- الاتساق المعجمي:

إنّ وصف التشكيلات النصيّة، والكيفيّة التي ينتظم بها المستوى النصّي ترتبط برصد التشكيلات الخطابيّة والقضايا التي تنتظم النص؛ ولذلك فإنّ وصف المكوّنات المعجميّة التي يحدّدها الشكل الخطابي يمثل محوراً أساساً في العمليّات الاستدلاليّة التي تنبثق عن النص.

فالكيفيّة التي تنتظم بها دلالات مختلف الكلمات تتحكّم في كثير من الأحيان في إنتاج الدلالة التركيبيّة والمحكومة أيضاً بائتلاف الأصوات وكيفيّة تكوين الكلمات[١]؛ غير أنّها جميعاً تخضع لنظام ترميزي واستدلالي يحقق التأويل الكامل لمنظومة المعطيات اللغويّة، هو السياق الخارجي المتشكّل أصلاً، والسياق الداخلي الذي يأخذ مكانه في التشكّل تباعاً مع كل وحدة لغويّة تنتج[٢].

ولا يعني هذا الكلام أنّ وصف نصيّة النص والبحث فيها يبدأ من صيغ النص اللغويّة وينتهي فيها؛ وإنّما هي محطة من محطات البحث يجب التوقف فيها والنظر إليها، فنصيّة النص عند معظم اللغويين المعنيّين ببنية النص لا ترجع إلى اعتباره وحدة بنيانيّة تتكوّن من جمل وتعابير، بل ترجع إلى اعتباره وحدة اتصاليّة أو وحدة موضوعيّة تتألف من مجموعة جمل تؤدّي وظيفة إخباريّة في عمليّة الاتصال[٣].

وبما أنّ الألفاظ أوعية للمعاني، وخدم لها، ولاحقة بها تتبعها في مواقعها، وتحمي نفسها عند حسن الاتفاق من كل قلق ونُبُوٍّ واستكراه وسوء تلاؤم، فإنّ لنظم الألفاظ وتواليها في النطق أثر في تناسق دلالتها وتلاقي معانيها وحسن النظم وتفاضل مراتب البلاغة والاستحسان[٤]، إذ إنّ دلالة الوحدة النصيّة تنشأ من تفاعل معاني مكوّناتها، ومن علاقات الارتباط المنطقي بين معاني ألفاظها[٥]؛ لأنّ تآلف هذه المكوّنات – على الرغم من اختلاف مدلولاتها قبل أن تكون في النص – يؤدّي إلى أن يتلاحم الجانب الدلالي لها بعد أن ائتلفت ألفاظها، ومن المعلوم أنّ كل كلمة وكل إشارة لغويّة هي كيان ذو جانبين، وهي وحدة من الدال والمدلول (الصوت والمعنى)،

---

(١) انظر: ليونز، جون، (١٩٨٠). **علم الدلالة**، (ترجمة: مجيد الماشطة، وحليم حسين فالح، وكاظم حسين باقر)، ط١، البصرة: جامعة البصرة، ص١٢٠.

(٢) انظر: روبول، آن، وموشلار، جاك، (٢٠٠٣). **التداوليّة اليوم: علم جديد في التواصل**، (ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني)، ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ص٧٠-٧١.

(٣) جمعة، خالد محمود، (٢٠٠٣). نظريّة النص (بين التنظير والتطبيق)، **مجلة علامات في النقد**، ١٣(٤٩)، ص٥١٢.

(٤) انظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٤٥-٥٠.

(٥) انظر: حميدة، **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة**، ص٨٣، غير أن المؤلف يتحدّث عن إطار أضيق، فيقتصر على علاقات التفاعل في الجمل.

وهما متصلان بصورة جوهريّة، وكل واحد منهما يستدعي الآخر[١]، ولذلك فإنّ مجيء سلسلة متوافقة من هذه الألفاظ والمكوّنات، يحدّد رسم الصور التي تستدعيها بشكل متبادل، ويحدث بينها تكافلاً حميماً يردم الفجوات، ويستبدلها بعلاقات داخليّة، تخضع للعلاقات الخارجيّة التي أرادها المتكلم[٢]، بحيث إذا قفز المدلول المتأصّل في الدال، ورشحّه الذهن للدخول في السياق ولم يلائمه، طرحه وأقرّ المدلول الذي يلائم السياق؛ وتتواصل هذه العمليّة فيأتي النص مستقيماً متجانساً متسقاً منسجماً[٣].

فعمليّة تأليف النص تنطلق أساساً من تقاطع محورين زمنيّين هما: التزامن على محور الاختيار أو الاستبدال، والتعاقب على محور النظم والتنسيق؛ فالمخزون اللغوي يوفر للمؤلف خلال لحظة الإبداع طائفة من التنسيق ترتسم في ذهنه على المحور التزامني، والألفاظ التي يختارها تأتلف فيما بينها وتنتج على محور النظم، وبهذا تنتقل كل لفظة من دلالتها المعجميّة الذاتيّة إلى دلالة جديدة يحدّدها ائتلافها مع المكوّنات اللفظيّة الأخرى ضمن السياق الجديد[٤]، فتنبعث من العلاقة السياقيّة الجديدة حركة عائدة إلى تنسيق لفظي قوامه تشكيلات لفظيّة يوحّدها الخطاب، فتصبح "حركة الكلمات حركة إطار لا يخلو من الثبات"[٥] الذي تفرضه الدوائر الدلاليّة في النص عبر سلسلة علاقات منطقية تنتجها العلاقات القائمة بين العناصر الداخلة في البناء اللغوي[٦].

إذن، فعماد الاتساق المعجمي هو المعجم وما يقوم بين وحداته من العلاقات[٧]؛ فكلما ازدادت الوحدتان المعجميتان قرباً في النص ازداد الاتساق الذي تحققانه قوّة ومتانة، وذلك مع

---

(١) ياكبسون، رومان، (١٩٩٤). **ست محاضرات في الصوت والمعنى**. (ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح)، ط١، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٣١.

(٢) ممّا يجدر ذكره هنا أن بلاغيينا تنبّهوا لذلك منذ القدم، وظهر هذا على لسان حازم القرطاجي حيث يقول: "إن للنفوس في تقارن المتماثلات، وتشافعها، والمتشابهات، والمتضادات، وما جرى مجراها، تحريكاً وإبلاغاً بالانفعال إلى مقتضى الكلام؛ لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين، والمتشابهين أمكن من النفس موقعاً من سنوح ذلك لها في شيء واحد، وكذلك حال القبح" (القرطاجي، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص٤٤-٤٥).

(٣) انظر: الزناد، الأزهر، (١٩٩٢). **دروس في البلاغة العربيّة (نحو رؤية جديدة)**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص١٥٦.

(٤) إبراهيم، علي نجيب، (٢٠٠٢). **جماليّات اللفظة بين السياق ونظريّة النظم**. (ط١). دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، ص٣٨-٣٩.

(٥) ناصف، مصطفى، (١٩٩٥). **اللغة والتفسير والتواصل. سلسلة عالم المعرفة (١٩٣)**، ص١٥٤.

(٦) جمعة، نظريّة النص (بين التنظير والتطبيق)، ص٥٣٠.

(٧) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٣٨.

الأخذ بعين الاعتبار أنّ الوحدة المعجميّة التي تدخل في علاقة اتساقيّة لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها بهذا الدور أو عدم قيامها به، وإنّما يكون ذلك بحسب موقعها بين النص[١].

أمّا أبرز مظاهر الاتساق المعجمي التي تحدّث عنها علماء النص، فيمكن إجمالها فيما يلي[٢]:

أوّلاً: التكرار[٣]: ويأتي في أربعة أشكال:

١- التكرار التام أو المحض (Full Recurrence): وهو تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد.

٢- التكرار الجزئي (Partial Recurrence): وهو ما يكون بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي.

٣- تكرار المعنى واللفظ مختلف: ويشمل الترادف وشبه الترادف والعبارة الموازنة، كقولنا: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

٤- التوازي (Parallelism): وذلك بتكرار البنية مع ملئها بعناصر جديدة.

جميع الحقوق محفوظة

ثانياً: المصاحبة المعجميّة (Collocation): وهي ورود مفردات معاً على نحو مطّرد؛ أو توارد زوج من الكلمات أو أكثر بالفعل أو بالقوّة نظراً لارتباطهما بهذه العلاقة أو تلك[٤]. وتكون هذه المفردات رائزاً لدرجة الترابط الذي هيمنت عليه مقصديّة المتكلم وأوضاع المخاطب، ومقتضيات الأحوال وجنس الخطاب[٥]؛ إذ غالباً ما يفرض إلحاح المتكلم على قضية ما أن

---

(١) نفسه، ص١٤٢-١٤٣؛ وهاينه من وفيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصّي**، ص٤٩-٥١.

(٢) راجع: دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٣٠١-٣٠٤؛ وخطابي، **لسانيّات النص**، ص٢٤-٢٥؛ والشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٤٢؛ وعبد المجيد حسين، **علم النص (أسسه المعرفيّة وتجلياته النقديّة)**، ص١٤٦؛ وعبد المجيد، **البديع بين البلاغة واللسانيّات النصيّة**، ص٧٩-١٣٧.

(٣) إن اعتمادنا على المراجع الغربيّة كثيراً لا يعني بحال من الأحوال أن العرب لم يهتمّوا بهذه الملاحظ، ولكن ذلك يعود إلى أن نظريّة النص منشؤها غربي؛ وعلى سبيل المثال اهتمّ العرب بظاهرة التكرار، وعدّها ابن الأثير "نوعاً من مقاتل علم البيان"، وقال إنه: "دقيق المأخذ" وقسّمه إلى قسمين: أحدهما في اللفظ؛ والآخر: في المعنى (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم، (ت: ٣٣٧هـ). **المثل السائر في أدب الكاتب والشعر**. (تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانه)، ط٢، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ، ج٣، ص٧)، كما تعرض القرطاجني للحديث عن التكرار في المعاني والأفكار، ووضع بعض المعايير التي يوزن بها التكرار (راجع: القرطاجني، ص٣٦).

(٤) راجع: عبد المجيد حسين، **علم النص (أسسه المعرفيّة وتجلياته النظريّة)**، ص١٤٨؛ وخطابي، **لسانيّات النص**، ص٢٥.

(٥) هذا المنحى من الاهتمام بالكلمة ليس طارئاً على البحث اللغوي عند العرب، إذ نجد أنهم أدركوا ما تحدثه من دقة في التعبير ووضوح في المعنى، وصدق في الدلالة، وأنها إذا حُشرت حشراً، أو قسرت قسراً، دلت على بعض المعنى أو ألجأت إلى غيره، وأن في اختيار الكلمة الخاصّة بالمعنى إبداعاً، وأنها كالقطعة في الآلة إذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة، والنظام المطلوب، تحرّكت الآلة، وإلا ظلت جامدة. والمتتبع لآداب العرب، ومساجلاتهم في أسواقهم يجد كثيراً من الأمثلة، ولكن ممّا يذكر لعمر – رضي الله عنه – من المعرفة في ذلك أنه علق على قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمّة أخرجت للناس**﴾ (آل عمران،=

تتداعى وحداته المعجميّة وتسير في وجهتين: إحداهما التقابل؛ مثل الليل والنهار، والضوء والظلام، والداخل والخارج. وثانيهما: التراكم والتكامل؛ مثل: الشعر والشاعر، الحيوان والإنسان، الأب والأطفال، الطفلة والمرأة، الأكبر، والأوسط، والأصغر، الأقوى والأقبح[١].

وللمصاحبة المعجميّة أيضاً أثر في تقريب المعنى المُراد عندما يكون لبعض الألفاظ أكثر من معنى، وهي بموقعها هذا تقوم بما يحتاجه فهم النص من قرائن مقاليّة وعقليّة وحاليّة[٢]، كما أنّها تفيد في فهم النص من خلال ما سمّاه البلاغيّون بالمشاكلة، وهي أن نقصد شيئاً بلفظ آخر، أعني أن نذكر كلمة ولكنّنا لا نريد معنى هذه الكلمة، وإنّما ذكرناها لوقوعها في مصاحبة لفظة تشبهها، مثل قوله سبحانه: ﴿**فمَن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه**﴾[٣]، حيث إنّ ردّ الاعتداء لا يسمّى اعتداء، ولكن الغاية البلاغيّة اقتضت المشاكلة[٤].

فمهما تكن ضآلة الروابط اللفظيّة فإنّها تؤدّي دوراً مهمّاً في الصياغة اللفظيّة والترابط المعنوي؛ والروابط الدلاليّة تتبعها على الدوام روابط لفظيّة[٥]، وهذا ما قصده فيرث في قوله: "إنّك ستعرف الكلمة عن طريق ما يصاحبها"[٦].

ثالثاً: الألفاظ المعبّرة عن علاقات التضمّن (العام – الخاص، الكل – الجزء، المجموعة – المجموعة الفرعيّة – العنصر، المالك – المملوك، ...) حيث إنّ وقوع الألفاظ ذوات هذه العلاقات الموقع المناسب يزيد في الاتساق المعجمي، وخلاف ذلك يقلل من التناسق والانسجام.

ولذلك، فلا بدّ من دراسة العلاقات الدلاليّة للوحدات اللفظيّة التي تدخل في سبك النص دون تفريط أو إفراط؛ إذ لا يمكن الاستغناء عنها، وهي في الوقت نفسه "ليست الضامن الوحيد

=آية ١١٠) فقال: "لو شاء الله لقال "أنتم"، فكنا كلنا، ولكن قال: "كنتم" في خاصّة من أصحاب محمد (ﷺ)، ومَن صنع من صنيعهم، كانوا خير أمّة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (الطبري، ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٤، ص٥٧)؛ وراجع: ضيف، **البلاغة تطوّر وتاريخ**، ط٨، ص١١-٢٨؛ وراجع: عباس، فضل حسن وعباس، سناء فضل، (٢٠٠١). **إعجاز القرآن الكريم**. (ط٤). عمّان: دار الفرقان، ص١٦٢-١٧١.

(١) انظر: مفتاح، **دينامية النص**، ص١٦٢-١٦٣؛ وانظر: مفتاح، **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيّة التناص)**، ص٥٧-٦٨.

(٢) انظر: حسان، **اللغة العربيّة مبناها ومعناها**، ص١٩١، حيث يقسم القرائن إلى: ماديّة وعقليّة وقرائن تعليق؛ ثمّ يقسم العقليّة إلى: عهديّة ذهنيّة ومنطقيّة، وقرائن التعليق إلى مقاليّة وجاليّة.

(٣) سورة البقرة، آية ١٩٤.

(٤) عباس، فضل حسن، (٢٠٠٠). **البلاغة، فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع**. (ط٧). عمّان: دار الفرقان، ص٢٩٤.

(٥) الزمر، أحمد قاسم، (٢٠٠٢). معالم أسلوبيّة عند ابن الأثير من كتابه: المثل السائر، **مجلة المورد (العراقيّة)**، ٣٠(٢)، ٣٧.

(٦) عمر، **علم الدلالة**، ص١٢٠.

لانسجام النص وتوالده وانسجامه"[١]؛ وعلى هذا الضوء سيسير البحث في نص عمر المعطى بين أيدينا:

أوّلاً: التكرار في النص[٢]:

١- حالات التكرار التام:

- ضمير المتكلم (الياء): وقد تكرّر في النص (١٩) مرّة، فأفاد تكراره استمراريّة فرضت عليه وحدة واتصالاً في المرجع، فخلا الخطاب النصّي من الانقطاع والفجوات وهذا ممّا قلل تشتت المتلقي وجعل عنده حالة من الاستقرار النفسي؛ كما أنّ هذا الضمير شكّل حلقة متكرّرة تربط بين السلاسل الأخرى المتدرّجة في النص[*].

- (إنّي): وقد تكرّرت (٥) مرّات، قدّمت من خلالها توزيعاً إيقاعيّاً مطرداً على الوحدات النصيّة التي تنتظم النص، ومثّل هذا التكرار جامعاً مشتركاً بينها يربط بعضها ببعض، ويدعم تماسكها النصّي من خلال الإلحاح على الإحالة إلى قائل النص (عمر) وربط المكوّنات اللغويّة به وإسنادها إليه؛ وبالتالي تسند الأفعال له فيحكم البناء الداخلي للنص، ويظهر هذا في الصياغة اللفظيّة التي تتبعها حيث جاءت على الشكل التالي:

(إنّي) + (وصف وهو مسند إلى (إنّي)) + (فـ) + (فعل أمر).

١- (إنّي) + داع + فـ + أمنوا
٢- (إنّي) + غليظ + فـ + ليتني
٣- (إنّي) + شحيح + فـ + سخّني
٤- (إنّي) + كثير الغفلة و.. + فـ + ألهمني
٥- (إنّي) + ضعيف + فـ + ارزقني

- **اللهمّ:**

تكرّر لفظ الجلالة المنادى في النص (٧) مرّات، وقد مثّل عنصراً مركزيّاً في سيرورة النص وصيرورته، فقد تحكّم في استدعاء الألفاظ الأخرى المحيطة به وفي الطريقة التي انتظم بها النص، إذ إنّ هذه اللفظة تختصّ بأسلوب معيّن من البناء عندما تأتي منادىً في بداية أي مقطوعة نصيّة، وإنّ تكرارها في بداية كل المقطوعات جعل منها شكلاً متكرّراً متناسقاً متوحّداً في النمط التركيبي والمعجم الدلالي المحيط بها.

---

(١) مفتاح، **ديناميّة النص**، ص١٦٤.

(٢) نودّ التأكيد على أن ضبط الحاجة إلى التكرار في أي نص كان أمر عسير، بل من غير الممكن لأنه أمر يتصل بأقدار المستمعين، ومَن يحضر الحديث من العامّة والخاصّة، ويُترك هذا الضابط لبصر المتكلم بالمقام (راجع: السيّد، عز الدين علي، (١٩٨٦). **التكرير بين المثير والتأثير**. (ط٢). بيروت: عالم الكتب، ص٨٦-١١٥).

(*) راجع: أثر الضمير الاتساقي في مبحث الإحالة.

إنّ كون (اللهم) معبرة عن واقع تخاطبي من المتكلم جعلها تدخل إلى البنية النصيّة – التي كان يُفترض أن تكون خطبة مباشرة للمتلقين – مستوىً نسقيّاً جديداً متحوّلاً عن المكوّنات اللغويّة والعناصر الرابطة المفترضة للبنية الذهنيّة النمطيّة الخاصّة بالخطبة. وساهمت – اللهم – من خلال هذا التكرار في تشكيل هويّة النص، وإحالته إلى جنس آخر من الأجناس النثريّة وهو الدعاء، وهذا بطبيعة الحال جعل النص يلتزم بقواعد هذا الجنس ويمتاز بخصائصه العامّة[١]، فجاءت البنية النصيّة المنجزة تتألف من محاور دلاليّة متقاربة وخاضعة لهذا النمط يجمعها محور واحد، منضدّ ومترابط، متسق ومنسجم.

إنّ تكرار (اللهمّ) في حقيقته إلحاح على أهمّ مقصود في النص، وهو يسلط الضوء على نقطة حسّاسة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو تعبير عن "الباعث النفسي المتمثل في إعادة ما وقع في القلب، ولصق بالنفس، فاتجهت إليه همّة المتكلم، وعنايته"[٢]، وهو أنّ الله المتصرّف في الأمور؛ ورضاه هو الغاية والهدف، وفي تكرار ذكره ومناداته واللجوء إليه تلذذ ورجاء "يضفي على نفوس المستمعين جواً من الاستمالة والتأثير والإقناع"[٣].

ولقد أظهر هذا التكرار توازناً وتناسقاً في البنى التركيبيّة للمقاطع النصيّة، وجاءت على نمط واحد تقريباً، حيث إنّ استهلال كل مقطع منها باللفظة نفسها – اللهمّ – أخضع البنية التركيبيّة لقوالب صرفيّة متجانسة جاءت في شكلين:

الشكل الأوّل:
١- (اللهمّ) إنّي غليظ، فليّني...
٢- (اللهمّ) إنّي شحيح، فسخّني...
٣- (اللهمّ) إنّي كثير... فألهمني...
٤- (اللهمّ) إني ضعيف... فارزقني...

الشكل الثاني:
١- (اللهمّ) ارزقني خفض الجناح...
٢- (اللهمّ) ثبّتني باليقين و...
٣- (اللهمّ) ارزقني التفكّر و...

(١) انظر: شبيل، عبد العزيز، (٢٠٠١). **نظريّة الأجناس الأدبيّة في التراث النقدي، جدلية الحضور والغياب**. (ط١). تونس وصفاقس: دار محمد علي الحامي.
(٢) الهليل، عبد الرحمن، (١٩٩٩). **التكرار في شعر الخنساء: دراسة فنيّة**. (ط١). الرياض: دار المؤيّد، ص٢٦.
(٣) ترحيني، **الخطابة والنهج**، ص٩٢.

ومن هنا نجد أنّ التكرار اللفظي أثر في الشكل النصّي، وجعله متوازياً، وساهم في التماسك الشكلي والدلالي، وحقق علاقات متبادلة بين العناصر المكوّنة للنص، وتحكّم في الشكل التركيبي للنص.

- **الدار الآخرة:**

تكرّرت هذه العبارة في النص مرّتين اثنتين، وقد جاءت في نهاية مقطعين فكانت بمثابة فاصلتين موسيقيتين داخليتين، أكسبتا النص تناغماً ربط المقطعين ووصل بينهما بجو من الموسيقى المصطبغة بلون العاطفة المسيطرة على النص، وتخترقه من أوله إلى آخره.

ولقد مثلت هذه العبارة تناسقاً وانسجاماً في اقترانها في كلا الحالتين بأمر خير يريد أن يفعله عمر – رضي الله عنه –، وقد برز هذا التناسق في الجمع بين الحالة النفسيّة التي اكتنفت الصورة الحاضرة في المقطعين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **ارزقني:**

تكرّرت هذه اللفظة في النص (٤) مرّات، وقد جاء هذا التكرار نتيجة لإخضاع البنية الكليّة للنص لبنية الخطاب، وهو خطاب الدعاء، ولذلك زادت تبعيّة البنية النصيّة لهذا الجنس النثري، ولذلك كان التصرّف في بنية الجمل المكوّنة للنص محدوداً جداً، واستمر على نسق واحد، ممّا ساهم في وجود خطاب متماسك ومسترسل، وليس هذا من قبيل الكسل الإبداعي في إنتاج النص.

وسبق أن ذكرنا أنّ مجيء هذه اللفظة بعد مناداة لفظ الجلالة كان من المحدّدات التي حكمت وجودها، وساهمت في وصلها بنسيج المقطع النصّي، ومن ثمّ تناسق النص وانسجام مكوّناته.

- **العمل:**

وردت هذه اللفظة في النص مرّتين، وجاء في سياقين داخليّين مختلفين؛ إذ جاءت في الأوّل لتخصيص وصف الضعف الذي رآه عمر في نفسه (اللهمّ إنّي ضعيف عن العمل بطاعتك..)، وجاءت في الثاني مطلباً من المطالب التي سألها عمر (اللهمّ ارزقني التفكّر...، والعمل بذلك)، ولكن هذين السياقين يلتقيان في مجموع الخطاب المتحكّم في النص، وهذا يجعل من تكرارها عنصراً مساعداً في وصل مقاطع النص بعضها ببعض، ويزيد في تماسكها وهذا كله يرفد وحدة النص الدلاليّة.

٢- حالات التكرار الجزئي:

- **(غليظ – الغلظة):**

أفاد تكرار الغلظة بعد ذكرها في الجزء الأوّل أن ترابط الجزءان وأصبحا كلاً موحّداً لا يحسن معه الانفصال أو الوقوف على الأوّل منهما؛ لأنّ في ذلك تغييباً لجلاء العلاقة مع الطرفين – أهل طاعة الله وأعدائه – والضد يظهر حسنه الضد.

- **(ليّني لأهل طاعتك – ارزقني لين الجانب للمؤمنين).**

تكرّر اللين بصيغتين مع الطرف نفسه، وهذا يعكس إلحاح عمر على الطريقة التي يراها لهذه الفئة، وقد ساهم التكرار في ربط أوّل النص بوسطه حتى يبقى متصلاً متماسكاً.

- **(ابتغاء – أبتغي):**

ربط هذا التكرار الجزئي أوّل النص بالمقطع التالي منه، وجعلهما متصلين، وينمّان عن الغاية الكامنة وراء هذه التحوّلات التي يريدها عمر لنفسه، من الغلظة للين، ومن الشحّ للسخاء؛ وهو رضى الله، فالأولى: (ابتغاء) عللت سلوكه مع كل صنف، والثانية: (أبتغي): أفادت استمراريّة هذا الابتغاء قبل السلوك وأثناءه وبعده.

- **(ذكرك – ذكر الموت – ذكر المقام بين يديك).**

كان تكرار الأولى والثانية قريباً بل متتابعاً للزيادة في توكيد المعنى، ثمّ جاء الثالث بعد أن فصل بينه وبين الآخرين مقطع نصّي ليوثق الرباط بين أجزاء النص، وكل منهما يؤدّي للآخر فذكر الله يؤدّي إلى ذكر الموت، ومَن ذكر الموت ذكر المقام بين يدي الله؛ بمعنى أنّ ذكر أي منها هو ذكر للآخر بصورة غير مباشرة.

٣- حالات تكرار المعنى باختلاف اللفظ:

- **(أهل طاعتك – المؤمنين) و(أعدائك – أهل الدعارة والنفاق).**

التكرار حاصل هنا من وصف فئة ثمّ التصريح بها فيما بعد، وهي المؤمنون، وهذا التكرار كان لغاية قصديّة في التعامل مع الفئة المؤمنة، ففي الحالة الأولى اشتق عمر من اللين فعلاً ودعا الله به (ليّني) ليكون بذلك مؤشراً على أنّه كلما زادت طاعة المؤمنين ينبغي زيادة اللين، وفي الحالة الثانية دعا أن يُرزَقَ لين الجانب للمؤمنين، لأنّ اللين حق لهم بمجرّد الإيمان.

- **(بموافقة الحق – من غير ظلم – ولا اعتداء).**

هذه التعابير الثلاثة تفيد تأكيد المعيار الذي يريد عمر أن تكون تحوّلاته وفقاً له وهو العدل، وقد أكسب تكرارها تلاحماً حثيثاً في المقطع الأوّل من النص، ومثّلت أساساً يُبنى عليه لبقيّة النص، ولذلك زادت في تماسك النص وارتباط بعضه ببعض.

- **(قصداً – من غير سرف – ولا تبذر).**

وهذه التعبيرات أيضاً – وإن كانت تعبّر عن حالة نفسيّة قلقة متوجسة شديدة الحذر من عدم وضع الأمور في نصابها الدقيق – تجعل من النص نسيجاً مرصّعاً بالمحدّدات الدلاليّة التي تزيد في لحمته وتحدّ من انفتاحه على التأويلات.

- **(لا رياء – لا سمعة – النيّة الحسنة).**

وهذه التعبيرات شأنها شأن سابقاتها تحدّ من التأويلات، وتغلق النص على ما أراده الناصّ، وتعكس حدّة التنازع النفسي الذي ينتاب المتكلم، أو ما قرأه في نفوس المخاطبين، وهي بذلك تساهم أيضاً في تماسك النص.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **(الغلظة – الشدّة) و(خفض الجناح – ليّن الجانب).**

كل من هذين التعبيرين يؤدّي المعنى نفسه، وتكرارهما إنّما جاء لما قرأه عمر من ترقب الناس له بعد الخلافة، وخشيتهم منه، وقد كان عهدهم به شديداً غليظاً وسيفاً مسلولاً على مَن أخطأ، وتكرارهما يزيد في التماسك الدلالي، وعضد المعاني التي أرادها قائل النص من حيث توزيع الأدوار مع كل فئة، ولتعرف كل منهما ما الذي سيكون معها.

٤- حالات التوازي[١]:

التوازي يعني نوعاً من التشابه؛ فلا تطابق تام ولا تمايز مطلق، وفيه يكون التكرار غير كامل، إذ قد تتساوى الوحدات الدلاليّة في الطول، وهذه جاءت في النص بصورة تسترعي

---

(١) ذكر محمد مفتاح أن "التوازي خاصيّة لصيقة بكل الآداب العالميّة قديمها وحديثها، شفويّة كانت أم مكتوبة، إنه عنصر تأسيسي وتنظيمي في آن واحد، ...ولذلك اهتمّ بدراسته البلاغيون والنقاد القدماء والمحدّثون" (مفتاح، **التلقي والتأويل (مقاربة نسقيّة)**، ص١٤٩-١٥٠)، وقد قسّم الباحث نفسه التوازي إلى: ١) توازٍ مقطعي ٢) توازٍ مزدوج ٣) توازٍ أحادي ٤) توازٍ عمودي ٥) شبه التوازي، كما بحث في خصائص التوازي. ولمزيد من التفضيل (راجع: مفتاح، **التلقي والتأويل**، ص١٥٠-١٥٧؛ وراجع: مفتاح، محمد، (١٩٩٦). **التشابه والاختلاف: نحو منهجيّة شموليّة**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٩٣-١٢٣؛ وراجع: مفتاح، محمد، (١٩٩٩). **المفاهيم معالم: نحو تأويل واقعي**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص١٦١-١٦٦).

الانتباه، حتى إنّ النص في مجمله يكاد يكون مجموعة من البنى المتوازية، وهي على النحو التالي:

- (إنّي داع فأمنوا) مع (إنّي غليظ فليّني) مع (إنّي شحيح فسخّني) مع (إنّي كثير... فألهمني) مع (إنّي ضعيف... فارزقني).
- (اللهمّ إنّي غليظ فليّني...) مع (اللهمّ إنّي شحيح فسخّني...) مع (اللهمّ إنّي كثير الغفلة...) مع (اللهمّ إنّي ضعيف...).
- (اللهمّ ارزقني خفض الجناح وليّن الجانب...) مع (اللهمّ ارزقني التفكّر والتدبّر...).
- (ارزقني الغلظة والشدّة) مع (ارزقني التفكّر والتدبّر).

فهذه المتوازيات اختير فيها وحدات دلاليّة متساوية في الصيغة، وبعضها لا يزيد في الطول عن الآخر، ممّا يجعلها تشكّل ما يشبه الأزواج من الأعمدة التي يُقام عليها البيت، أو حلقات متصلّة من حلقات السلسلة، وهذا يجعلها معلماً هامّاً من معالم ترابط النص وتماسكه وتناسقه، وهذا كله يظهره بمظهر منسجم.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ثانياً: المصاحبة المعجميّة:

سبق أن ذكر أنّ علاقات النظام المعجمي للنص تتشكّل من "خلال علاقة الألفاظ بالأشياء، وروابط بعضها ببعض، ومن خلال علاقة مجموع الألفاظ بجملة الجهاز اللغوي الذي تتنزل فيه"[١]؛ وبالنظر إلى هذا النظام في النص المعالج، نجد أنّه لم يخرج عن فلك الاستعمال الجاري بين الناس في هذه المواطن، وأنّه مألوف متواضع عليه، وألفاظه واضحة، سهلة النطق، خفيفة على اللسان، بعيدة عن التنافر، ولم تبتعد عن أحد الحقول التالية:

أ- ألفاظ دالة على عمر أو صفة من صفاته: غلظة، لين، شدّة، شحّ، سخاء، سرف، تبذير، رياء، سمعة، غفلة، نسيان، ذكر، ضعف....

ب- ألفاظ دالة على الله أو متعلقة به: الرزق، الدار الآخرة، الإلهام، القوّة، العزّة، التوفيق، التثبيت، الكتاب، القدرة.

ج- ألفاظ دالة على الناس وعلاقة عمر بهم، وقد قسّمهم إلى: أهل طاعة، وأعداء لله.

---

(١) العبد، **اللغة والإبداع الأدبي**، ص٦١.

وإذا نظرنا في علاقات المصاحبة المعجميّة الواردة في النص وجدناها موزّعة ضمن محورين من محاور التقابل:

الأوّل: تقابل التناقض والتضاد: (غليظ/ ليّني)، (أهل طاعتك/ أعدائك وأهل الدعارة والنفاق)، (لهم/ عليهم)، (شحيح/ سخّني)، (قصداً/ سرف وتبذير)، (ابتغاء وجهك والدار الآخرة/ رياء وسمعة)، (غفلة ونسيان/ ذكر)، (ضعيف/ قوّة ونشاط).

الثاني: تقابل التشاكل والتكامل: (داع/ آمنوا)، (سرف/ تبذير)، (رياء/ سمعة)، (خفض الجناح/ ليّن الجانب)، (غفلة/ نسيان)، (ذكرك/ ذكر الموت)، (العمل/ النشاط)، (النشاط/ القوّة)، (اليقين/ البر/ التقوى/ الحياء/ الخشوع/ المحاسبة/ الإصلاح)، (التفكّر/ التدبّر/ الفهم/ المعرفة/ النظر)، (معانيه/ عجائبه).

ثالثاً: الألفاظ المعبّرة عن علاقات التضمّن:

- **الناس:** وقد تضمّنت جميع مَن يتلقى الخطاب من البشر، مؤمنهم، ومنافقهم، وكافرهم، وكبيرهم، وصغيرهم؛ ورجالهم ونسائهم؛ وأحرارهم، وعبيدهم؛ ولاتهم، وعامّتهم.
- **داع:** وقد تضمّنت الكلام الذي جاء بعدها كافة، ولا سيّما أنّه كله جاء على هيئة دعاء.
- **أعداء الله:** ويتضمّن أهل الدعارة والنفاق، وغيرهم من الكفار وأعداء الدولة الإسلاميّة.
- **أهل طاعتك:** وتشمل فئة من المسلمين تمتاز بأنّها طائعة لله في جميع أمورها.
- **المؤمنين:** وتشمل مَن آمن بما جاء به النبي والتزم بتعاليم دينه.

٦- التعريف والتنكير:

إنّ هاتين الظاهرتين ممّا عدّته الدراسات اللسانيّة الحديثة محوراً من محاور الاتساق النصّي، لما لهما من أثر في التراكيب اللغويّة، دلالة ونظماً[١]، فتعريف عنصر من عناصر التركيب أو تنكيره قد يؤدّي إلى تغييره أو تعديله، فضلاً عن أنّ العلم بقواعده لازم لإنشاء مكوّنات نصيّة صحيحة، وتحليلها تحليلاً سليماً[٢].

---

(١) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٩٩١.

(٢) نحلة، محمود أحمد، (١٩٩٩). **التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل**. (ط١). القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ص١٦.

وإنّ كان "للتعريف والتنكير في نظام العربيّة جانبان: دلالي؛ يتمثل في المراد بكل منهما، وشكلي؛ يتمثل في الوسائل اللفظيّة التي تحدّد كلاً منهما وتعين على إدراكه"(١)؛ فإنّ ما سنخصّه بالحديث هنا هو التعريف بالألف واللام (أل) لما يتميّز به من خصائص ينفرد بها عن سائر طرق التعريف الأخرى(٢).

و(أل) التعريف تقسم إلى قسمين:

أوّلاً: (أل) العهديّة؛ والعهد فيها ثلاثة أنواع: ذكري، نحو (أل) في قوله تعالى: ﴿**كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول**﴾(٣)؛ وذهني: نحو (أل) في قوله تعالى: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾(٤)؛ وحضوري: نحو (أل) في: خرجت فإذا الأسد، ويا أيّها الناس، وجاءني هذا الرجل (لرجل حاضر).

ثانياً: أل (الجنسيّة)؛ والجنس فيها نوعان: مطلق؛ مثل: الرجل أقوى من المرأة، ونسبي؛ مثل: ﴿**وأخاف أن يأكله الذئب**﴾(٥).

جميع الحقوق محفوظة

وأكثر هذه الأنواع أثراً في الربط بين الجمل هي (أل) العهديّة عهداً ذكريّاً(٦)؛ ولم يرد هذا النوع في النص المعالج، ولذلك سيرجأ تطبيقه إلى حين وروده في نصوص أخرى.

هذا، وبعد التطواف مع وسائل الاتساق النصّي نصل إلى أنّ النص محكوم بمجموعة من عناصر الترابط التركيبيّة والدلاليّة والمعجميّة، وأنّ هذه العناصر خاضعة لعلاقات منطقيّة وجوانب تداوليّة، تتفاعل جميعاً، ويؤلف بينها تعالق يجعل من النص كياناً ذا بنية كليّة وبنى كبرى، أو صغرى، وتنتظم هذه البنى – بحسب امتداد النص – ضمن وحدة عامّة، وتكون هذه الوحدة العامّة ناتجة من تفاعل البنى النصيّة مع طبيعة الخطاب النصّي.

---

(١) نحلة، **التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل**، ص٢١٥.

(٢) يُراجع في ذلك: الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ص٩٩١-١٠٢٩؛ وحسان، تمام، (٢٠٠٠). **الخلاصة النحويّة**، (ط١). القاهرة: عالم الكتب، ص٩٣-٩٥؛ والبهنساوي، حسام، (٢٠٠٣). **أنظمة الربط في العربيّة: دراسة في التراكيب السطحيّة بين النحاة والنظريّة التوليديّة التحويليّة**. (ط١). القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ص٤٩؛ والسامرائي، فاضل صالح، (٢٠٠٣). **معاني النحو**. (ط٢). عمّان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مج١، ص١٠٠-١٠٩.

(٣) سورة المزمل، الآيتان (١٥-١٦).

(٤) سورة الفتح، آية (١٨).

(٥) سورة يوسف، آية (١٣).

(٦) وقد اختلف في تصنيفها ضمن محاور الاتساق، فقد عدّها بعضهم محوراً مستقلاً من محاوره، وعدّها آخرون نوعاً من أنواع الإحالة (راجع: مفتاح، **التشابه والاختلاف**، ص١٢٧)، وقد أفردناها هنا سيراً مع الأشيع، ووثوقاً بأنّ أثرها يتجاوز المحيلات الأخرى، كالإشارة، والضمائر.

فالنص ليس مجموعة من الجمل المتراصّة – كما أنّ الجملة ليست مجموعة من الألفاظ – وإنّما هو مجموعة من العلاقات المتآلفة التي تضع الألفاظ الوضع الذي يقضيه حقلها الدلالي الخاص، وتضع المكوّنات التركيبيّة الوضع الذي يقتضيّه علم النحو (الجملي)، وتضع ذلك الترابط الرصفي الوضع الذي تقتضيه جميع أحوال الخطاب، وتعمل جميع هذه المعطيات وقوانينها وأصولها وفق مناهجها المعروفة، فلا تزيع عنها ولا تفرط بشيء منها.

فإذا طابق النص مقتضيات الأحوال، ووقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول، وكانت مكوّناته مستقيمة، وجمله صحيحة مستوفية لشروط التركيب، وكلماتها مؤتلفة مستوفية لكل ما يتطلبه الصرف، وأصواتها مؤتلفة بعيدة عن تنافر الأصوات، كان النص جامعاً(*).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(*) إن كلمة "جامع" هنا لا تحيل إلى ما عناه جيرار جينيت بالنص الجامع وما يرتبط به من التعالي النصي، وإنما نقصد بها أن النص قد جمع متطلبات النصيّة ومعالمها وتعدّاها إلى أن صار بليغاً فصيحاً شافياً كافياً.

ثانياً: النظرة الإجماليّة (قراءة في خطب عمر بن الخطاب):

الخطب العمريّة ونحو النص: مظاهر الاتساق وملامح الانسجام:

بعد بحث خطبة البيعة وأخذها نموذجاً لقراءة خطب عمر بن الخطاب ومقاربة النص العمري مقاربة مستفيضة، تكوّنت لدينا صورة عامّة عنه؛ ولكن الإحاطة بخصائص الخطاب العمري أمر يحتاج إلى دراسات مطوّلة ومناهج عديدة، فالإحاطة والشمول ينأيان عن الدراسة بقربها من التفصيل والإغراق في التدقيق؛ ولمّا كان هدف نحو النص أن يبحث في كيفيّة قيام النص نصاً، ومعرفة دقائق العلاقات اللغويّة ومجمل العلاقات التداوليّة التي تجعل منه نظاماً مستقيماً ونسقاً موحّداً، فقد أصبح الإلمام الكامل بسمات تكوين النص العمري يتطلب السير مع نصوصه واحداً واحداً، وهذا ما لا يستطيعه الباحث ولا يطيقه البحث، ولكن "ما لا يدرك كله لا يترك جله"(*).

ولذلك فقد ارتأى البحث أن يمرّ بتلك النصوص، فيحاول رصد مجمل المقوّمات التي تجعل النص العمري يقوم بوظائف التماسك والاستمراريّة، وإبراز أظهر ملامح الوجود النصّي فيها، والكشف عن معطيات الربط الإجمالي، والتعالق المنطقي فيها؛ وذلك بعد أن تمّ التنبيه على عناصر أساسيّة، لا مناص منها في تحليل الخطاب.

والغوص في المكوّنات النصيّة، مثل: هويّة المخاطب، وموضوع خطابه، وكيفيّة إبراز الموضوع في الخطاب، وظروف فهم المتلقي وتأويله، وتعلق هذه الظروف علاقة الخطاب باللغة، وكيفيّة انعكاس العناصر غير اللغويّة في التنظيم اللغوي للنص هو ما يمكن أن يحققه "الحضور الكلي لمجموع العلاقات القائمة بين الوحدات المكوّنة لنظام النص، فالنص بهذا المعنى إشاري لساني يعكس نظاماً معرفياً دالاً"(١).

وخليق بي هنا أن أشير إلى أنّ الخطابة – من حيث هي فن شفاهي يعتمد التلقي المباشر بين القائل والمتكلم – تمتاز بالوحدة النفسيّة التي تجمع بين القائل والمتلقي وسياق الإلقاء، وتعوّل

(*) سأعتمد في النظر إلى الخطب على الخطب العمريّة التي جمعها وحققها وعلق عليها محمد أحمد عاشور في كتابه: خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه، الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، وذلك بعد أن وجدت أن الخطب المجموعة فيه تمتاز بالدقة والشمول، والترتيب، وتحرّي الدقة في إثبات الألفاظ وترجيح ما اختلف منها، وستتم الإحالة على هذا الكتاب دون أن نذكر المصدر الذي نقل عنه، لتحققنا من صحة نقله ودقته.

(١) السّد، نور الدين، (١٩٩٨). مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع. **المؤتمر العلمي الثالث (١٠-١٢ أيّار ١٩٩٧)، تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة)**، (تحرير: غسان عبد الخالق)، ص٣٠٧.

عليها تعويلاً كبيراً، وتلجأ إليها في الجمع بين أشتات الموضوع، والإحالة إلى مرجعيّات الملفوظ المُلقى بديهة وارتجالاً.

وكانت للخطابة تقاليد ومعايير يحتكم إليها الخطيب ويعرفها المتلقون. فالخطيب يخطب على منبر، أو واقفاً على مرتفع من الأرض، وربما خطب على راحلته في المواسم العظام، والمجامع الكبار[١]، فـ"إذا قام يخطب قام المقام الذي لا بدّ من أن يخرج منه مذموماً أو محموداً"[٢]؛ وكان المتلقون "يمدحون شدّة العارضة، وقوّة المُنَّة، وظهور الحجّة، وثبات الجنان، وكثرة الريق، والعلو على الخصم، ويهجون بخلاف ذلك"[٣]، ويعيبون "في الخطيب أن يلحن أو يتنحح أو يتعثر في كلامه أو يحصر أو يتفيهق أو يتشدّق أو يثرثر أو يكثر من مس ذقنه ولحيته وشاربه"[٤].

فإذا استوت المعطيات الخارجيّة اللازمة للخطبة جاء الخطيب بالملفوظ الذي يريد، "فلم يأتِ به من وادٍ واحد، بل يفتنُّ فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرّر تارة إرادة التوكيد، ...، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وكثرة الحشد، وجلالة المقام"[٥].

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالنص يمرّ بمراحل قبل أن يتمظهر فونولوجياً؛ تنتهي في نفس القائل إلى عمليتين متكاملتين: في الأولى يُجري اختياراً لمفردات مخزونه اللغوي الملائمة للموضوع، وفي النهاية يجري عمليّة تنظيمٍ لمّا تمّ اختياره، بحيث يتلاءم هذا التنظيم مع النسق الذي يدور عليه الكلام[٦].

وعمليّة تنظيم ما تمّ اختياره ليتلاءم مع نسق دوران الكلام هي التي نبحث فيها، ونلاحظ ما أنتجته، ونمرُّ به على مستويات النص: المعجمي والتركيبي والدلالي والتداولي، ونرى كيف تفاعلت معطياتها وترابطت مفاهيمها من خلال النظر إلى "الاستمراريّة الدلاليّة التي تتجلى في

---

(١) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٣، ص٧.
(٢) نفسه، ج٣، ص١٠.
(٣) نفسه، ج١، ص١٧٦.
(٤) عبد العال، محمد يونس، (١٩٩٦). **في النثر العربي (قضايا وفنون ونصوص)**. (ط١). مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان، ص٧٧–٧٨، وانظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٣٩–٤١.
(٥) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ). **تأويل مشكل القرآن**. (ط١)، (نشره وحققه وعلق على حواشيه: السيّد أحمد صقر)، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٩٥٤م، ص١٠.
(٦) انظر: عبد المطلب، محمد، (١٩٩٤). **البلاغة والأسلوبيّة**. (ط١). مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان، ص٣٠٥.

منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[١]. وتحتاج هذه الاستمراريّة للتمثيل عليها أن نذكر ما يرتبط بها من عناصر التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، وفيما يلي بيان ذلك:

أوّلاً: الاتساق النصي من خلال الوحدات المعجميّة وعلاقاتها.

الاتساق عمليّة متكاملة، وأوّل ما يمكن أن نلحظها في علاقات الوحدة المعجميّة ذاتها، ثمّ في تكوين الصياغة والكلام؛ وبما أنّ الوحدة المعجميّة هي بؤرة الكلام، فإنّ دورها الاتساقي رئيسي بحكم أنّ المعاني تظل "مدينة لإشعاع الألفاظ بما تحمله من شحنات دلاليّة تتشابك وتتقاطع على ما بينها من اختلاف في الدرجة، أو من تضاد وعلاقات أخرى"[٢].

فهذا التشابك والتقاطع الناتج عن مجموع الهُويّات الخاصّة بكل لفظ يكوّن مركباً آخر مختلفاً في سماته الكليّة مع كل عنصر على حدة، ولكنّه يحافظ في الوقت نفسه على سمات جزئيّة تحفظ تشابهاً ما مع تلك العناصر وتستمدّ بعض حضورها منه، فيقيم – بعد ذلك – النص لنفسه نظاماً يظل على علاقة تماس واقتران وتجاور مع النظام اللغوي[٣]، وهي علاقة ملؤها تضافرٌ في أشكال الاتساق التي تتجاوز دلالة اللفظة المعجميّة الذاتيّة إلى الدلالات الناجمة عن ائتلاف جميع المكوّنات اللغويّة الأخرى مع ظروف المقام.

ولعل من أبرز العلاقات الاتساقيّة المعجميّة التي سادت في خطب عمر هي علاقات: التكرار والتضام والمصاحبة المعجميّة، فلو أخذنا خطبة له قالها بعد أن ولي الخلافة[٤]، وكان قد

---

(١) مصلوح، نحو أجروميّة للنص الشعري (دراسة في قصيرة جاهليّة)، ص١٥٤.

(٢) إبراهيم، **جماليات اللفظة بين السياق ونظريّة النظم**، ص٧.

(٣) ابن ذريل، عدنان، (٢٠٠٠). **النص والأسلوبيّة بين النظريّة والتطبيق**. (ط١). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص١٨.

(٤) سبق أن رجّحنا أن أوّل خطبة لعمر كانت بعد وفاة أبي بكر – رضي الله عنه –، وقد جاءت على هيئة دعاء يشف عن سياسة عمر ورؤيته للحكم، وهذا الترجيح لا يتعارض مع ما جاء في روايات أخرى لخطبة التولية، إذ يكون الرواة لم يعدّوا الدعاء خطبة لأنه لم يكن بياناً صريحاً مباشراً كما جاء في الخطب اللاحقة. أمّا الخطبة التي نتحدّث عنها هنا فقد جاءت صريحة، حيث ورد عنه أنه "لمّا وُلي خطب الناس على منبر رسول الله (ﷺ)، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: "يا أيّها الناس، إني علمت أنكم كنتم تؤنسون مني شدّة وغلظة، وذلك أني كنت مع رسول الله (ﷺ)، وكنت عبده وخادمه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ (سورة التوبة: ١٢٨)، فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يُغمِدَني أو ينهاني عن أمر فأكف، وإلا أقدمت على الناس لمكان لينة، فلم أزل مع رسول الله (ﷺ) على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد، ثمّ قمت ذلك المقام مع أبي بكر خليفة رسول الله (ﷺ) بعده، وكان كما علمتم في كرمه ودعته ولينه، فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدّتي بلينه إلا أن يتقدّم إليَّ فأكف، وإلا أقدمت؛ فلم أزل على ذلك حتى توفاه، وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد. ثمّ صار أمركم إليّ اليوم، وأنا أعلم، فسيقول قائل: كان يشتدّ علينا والأمر إلى غيره فكيف به إذا صار إليه؟! واعلموا أنكم لا تسألون عني أحداً؛ قد عرفتموني، وجرّبتموني، وعرفتم من سنة نبيكم ما عرفت، وما أصبحت نادماً على شيء أكون أحب أن أسأل رسول الله (ﷺ) إلا وقد سألته.
فاعلموا أنّ شدّتي التي كنتم ترون ازدادت أضعافاً – إذ صار الأمر إليّ – على الظالم والمعتدي، والأخذ للمسلمين لضعفهم من قويّهم، وإني بعد شدّتي تلك واضع خدّي بالأرض لأهل العفاف والكف=

رأى في الناس قلقاً، وقرأ في عيونهم منه ارتياباً، نجده يكرّر ألفاظاً بعينها تضفي على النص جمالاً اتساقياً بما يحققه الانطباع النفسي المهيمن على كل من القائل والمتلقين، حيث يتكرّر فعل الكينونة الماضي بصورة لافتة (كنتم، أنّي كنت، وكنت، وكان، فكنت، وكان، فكنت، كان، كنتم).

فبهذا التكرار يسترجع الماضي ويجعله ماثلاً أمام أعينهم ليبعث منه علاقة سياقيّة مقارنة بين الماضي المعهود والحاضر الموجود والمستقبل المقصود؛ وهذا يجعل توليد وحدات معجميّة مصاحبة لكل حالة وتكرارها أمراً طبيعياً، فهو عندما يذكر حالته الماضية مع الرسول (ﷺ) وأبي بكر – رضي الله عنه – يحافظ على تلك الوحدات ويكرّرها.

يقول في الأولى: "وكنت عبده وخادمه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾، فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يُغمدني أو ينهاني فأكف، وإلا أقدمت على الناس لمكان لينه، فلم أزل مع رسول الله (ﷺ) على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد".

جميع الحقوق محفوظة

ويقول في الثانية: "ثمّ قمت ذلك المقام مع أبي بكر خليفة رسول الله (ﷺ) بعده، وكان كما علمتم في كرمه ودعته ولينه، فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدّتي بلينه إلا أن يتقدّم إليَّ فأكف، وإلا أقدمت، فلم أزل على ذلك حتى توفاه الله وهو عنّي راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعد".

فانظر إلى الاتساق الذي تولده علاقات التكرار في هذين المقطعين، ولاحظ كيف انتقل من حالة إلى أخرى مع المحافظة على حركة الوحدات المعجميّة، بل كيف كان التكرار ركناً أساسياً في عمليّة الموازنة حتى صار النص مبنيّاً على هذه الموازنة، بحيث تسرّب منها إلى جزء معيّن مقصود أقام النص لأجله، وهو: "فاعلموا أن شدّتي التي كنتم ترون ازدادت أضعافاً، إذ صار الأمر إليّ على الظالم والمعتدي، والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويّهم، وإنّي بعد شدّتي تلك، واضع خدّي بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم".

ويعمق بعد هذا النوع من التكرار بين المقطعين إلى التكرار في داخل المقطع الواحد، ففي هذه الخطبة نفسها نجده يقول: "وإنّي لا آبى – إن كان بيني وبين أحد منكم شيء من

=منكم والتسليم، وإني لا آبى – إن كان بيني وبين أحد منكم شيء من أحكامكم – أن أمشي معه إلى من أحببتم منكم، فلينظر فيما بيني وبينه أحد منكم.
فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم، ثمّ نزل" (عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٦-٢٧).

أحكامكم – أن أمشي معه إلى من أحببتم منكم، فلينظر فيما بيني وبينه أحد منكم" فيكرّر: (بيني وبين)، و(أحد منكم)، و(منكم) مرّات متتابعة مع قصر المقطع وانحصار دلالاته بشكل يعيّن على تمام المقابلة واكتمال الصورة.

وإذا سرنا مع خطب عمر كافة فقلما نجده يغادر أسلوب التكرار، ولكنّه مع ذلك يتبع في ذلك عدّة أساليب، يمكن أن نوزّعها كما يلي:

١- تكراراً وحدات معجميّة منتظمة في مضمومة تركيبيّة واحدة، ومثاله ما ذكرنا في سرده لحالتيه مع النبي (ﷺ) وأبي بكر – رضي الله عنه –.

٢- تكراراً مجموعة من الوحدات المعجميّة بغض النظر عن هيئتها التي تركبت فيها، ومثل هذه الوحدات نجدها تسير معه في معظم خطبه، وهذا النوع متعلق بمعجمه اللغوي، وارتباطه بمخزونه الثقافي، ولا نرى أن نتتبعه في مجمل الخطب لبُعده عن طبيعة هذه الدراسة وارتباطه بالقائل دون بقيّة العناصر التي تحدّد الهيئة التي يأتي عليها النص.

٣- تكرار ألفاظ معيّنة في خطبة ما، وبناء النص على ما يحيط به من دلالات، وما ينتج عنها من مفارقات، مثال هذا ما جاء في خطبة له يقول فيها:

"أيّها الرعية، إنّه ليس من جهل أبغض إلى الله، ولا أعمّ شراً من جهل إمام وخرقه".

"أيّها الرعيّة، إنّه من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانيه يؤتي الله العافية من فوقه"[١].

وفي هذه الخطبة نرى أنّ (أيّها الرعيّة، وحلم، وجهل، والعافية) قد تكرّرت في النص بشكل يجعل الاستغناء عن تكرار أي منها في مقطعه أمراً مستحيلاً.

ومثال آخر على ذلك ما جاء في خطبة أخرى يقول فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

"أيّها الناس، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه، فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإنّ الله جعلني خازناً وقاسماً"[٢].

ففي هذا الجزء من الخطبة نجد أنّ عمر – رضي الله عنه – يضع ألفاظاً محوريّة فيجعل الملفوظ يدور عليها، ويكتسب حركته منها، وهي هنا: (من أراد أن يسأل عن... فليأت...).

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٧.
(٢) نفسه، ص٤١.

٤- أنّ يكرر اللفظ بمعناه؛ وهذا كثير في خطبه، وهذا لحرصه الشديد على أن يصل ما يريد كما يريد إلى المتلقي، وخير شاهد على هذا قوله:

"أمّا بعد، فإنّي قائل لكم مقالة قد قدِّر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ورعاها فليحدِّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ"(١).

ففي هذا القول نلاحظ:

١- تكراراً باللفظ في: (قائل، مقالة، أقولها) و(عقلها، يعقلها).

٢- تكراراً بالمعنى: عقلها، وعاها.

٣- فضل تحوّط عمر لما يريد وما يقصد إليه، وهذا يجعله يفضّل ألا يروى حديثه على أن يروى بعضه أو أن يروى مغلوطاً.

٥- يتكرّر في الخطبة الواحدة – كما في جميع الخطب – وصف عمر لذاته أو الحديث عنها أو الإسناد إليها، والحديث عن المخاطبين إمّا بوصفهم المباشر أو بإدخالهم في الخطاب بأسلوب يجعل انتباههم موجّهاً باستمرار إلى عمر – رضي الله عنه – وأمثلة على ذلك كثيرة منها:

- "أيّها الناس، إنّي داعٍ فأمنوا"(٢) فهو يصف ما يقوم به ويطلب من المخاطبين التفاعل المباشر معه.

- "أيّها الناس، إنّي علمت أنّكم كنتم تؤنسون مني شدّة وغلظة... كما قد علمتم... فكنت... ثمّ صار أمركم إليّ اليوم، وأنا أعلم، فسيقول قائل: كان يشتدّ علينا والأمر إلى غيره فكيف به إذا صار إليه؟! واعلموا أنّكم لا تسألون عنّي أحداً، قد عرفتموني، وجربتموني، ..."(٣).

- "أيّها الرعيّة، إنّ لنا عليكم حقاً"(٤).

- "أيّها الناس، ...فقد ابتليتُ بكم وابتليتم بي، فما أدري السخطة عليّ دونكم أو عليكم دوني

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٤٧.
(٢) نفسه، ص٢٥.
(٣) نفسه، ص٢٦.
(٤) نفسه، ص٢٧.

أو قد عمّتني وعمّتكم، فهلموا فلندع الله..."[١].

- "وما أنا إلا كأحدكم"[٢].
- "أيّها الناس، إنّي نظرت إلى الإيمان فوجدته يقوم على أربع خصال"[٣].
- "أيّها الناس، إنّي قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيراً لكم، وأقواكم عليكم... ما توليت عليكم"[٤].
- "إنّ الله عز وجل قد ولاني أمركم، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم"[٥].
- "أيّها الناس، إنّي لوددت أن أنجو منها فلا لي ولا عليّ وإنّي لأرجو إن عمّرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق منكم"[٦].
- "إنّي علمت أن قد كرهتم قيامي عليكم"[٧].
- "أيّها الناس، ما إكثاركم في صدقات النساء"[٨].
- "أيّها الناس، ألا إنّما كنّا نعرفكم إذ بين ظهرانينا النبي (ﷺ)"[٩].
- "أيّها الناس، فإنّي توضأت للصلاة فمررت بامرأة من أهلي فكان منّي ومنها ما شاء الله أن يكون... فخيّرت نفسي بين أمرين:
- إمّا أن أستحي منكم وأجترئ على الله، وإمّا أن أستحي من الله، وأجترئ عليكم، فكان أن أستحي من الله وأجترئ عليكم أحبّ إليّ..."[١٠].

فالمتتبع لكلام عمر الوارد في خطبه يلحظ أنّ بعضه متعلق ببعض تعلقاً خاصّاً يعكس فلسفته في نظم النص، وهي غالباً ما تأتي وفقاً لترتيب المعاني الأصليّة والإضافيّة في نفسه، فالمعنى عنده قوام التركيب، ولا بدّ أن تنصهر المكوّنات اللغويّة في بوتقة وحدويّة تخدم قضاياه، وتحدّد مرامي النص، والمسير مع خطبه يكشف عن فلسفة لغويّة لأساليب التواصل الإقناعي.

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٨.
(٢) نفسه، ص٢٨.
(٣) نفسه، ص٣٢.
(٤) نفسه، ص٣٣.
(٥) نفسه، ص٣٤.
(٦) نفسه، ص٣٤-٣٥.
(٧) نفسه، ص٣٨.
(٨) نفسه، ص٤٠.
(٩) نفسه، ص٤٣.
(١٠) نفسه، ص٧٢.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

فدلالة المحمولات المعروضة لا تأخذ حيّزها من دلالات الألفاظ المعجميّة، بل هي "نابعة من المستوى الذهني الذي يكيّف التقاط التجربة"[١]، والتنظيم النصّي الذي يقيمه امتداد لتصوّره المنظم للمحيط الخارجي ووعيه المدرك له.

فمراعاة عمر لـــ"إحراز المنفعة على موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال"[٢]، وحرصه على أن يكون معناه ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً عند الخاصّة والعامّة[٣]، جعله يدقق في فعاليّة الكلمة وما يتولد عنها من دلالات، وكيف تزيد هذه الدلالات أو تنقص نتيجة لعلاقة الكلمات بعضها ببعض، وما أثر هذه العلاقات في عمليّة تحديد البناء التنظيمي للنص.

ولذلك نجد في خطبه نوعاً من العلاقات التلاؤميّة التي تربط بين الوحدات اللغويّة، فيأتي جزء منها مقترناً بآخر، بحيث إذا ذكر الأوّل ورد الثاني، ويأتي قسم منها بمصاحبة الآخر، بحيث إذا ورد الأوّل استدعي الآخر، وهذه العلاقات هي ما أطلق عليها التضام أو المصاحبة المعجميّة (Collocation).

جميع الحقوق محفوظة

فضمّ كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة إمّا أن يجعل المعنى متمكّناً في النفس إذا جاء حسن الاتفاق، وإمّا أن يجعله قلقاً مهزوزاً إذا جاءت فيه بعض الكلمات نابية ومستكرهة.

وإذا سرنا مع جملة خطب عمر – رضي الله عنه – وجدناه يلائم بين الألفاظ المتضامّة، ويوافق بين الوحدات المعجميّة المتصاحبة، وهو بذلك يحدث قوّة سابكه تبرز في جمل متجاورة؛ ومن مظاهر التضام والمصاحبة المعجميّة التي برزت عنده الجمع بين أزواج متباينة وأخرى متقاربة.

ومن أمثلة الجمع بين الأزواج المتقاربة ما جاء في خطبه من جمع بين الشدّة والغلظة، والاعتداء والظلم، وقد ورد ذلك في قوله: "...وارزقني الغلظة والشدّة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منّي لهم ولا اعتداء عليهم"[٤]، وقوله: "...إنّي علمت أنّكم كنتم تؤنسون منّي شدّة وغلظة... فاعلموا أنّ شدّتي التي كنتم ترون ازدادت أضعافاً إذ صار الأمر إليّ على الظالم والمعتدي"[٥].

---

(١) جحفة، عبد المجيد، (٢٠٠٠). **مدخل إلى الدلالة الحديثة**. (ط١). الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ص١٠٠.
(٢) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص١٣٦.
(٣) نفسه، ج١، ص١٣٦.
(٤) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٥.
(٥) نفسه، ص٢٦.

ومثل هذا ما جاء من جمعه بين عبده وخادمه في قوله: "...وذلك إنّي كنت مع رسول الله (ﷺ)، وكنت عبده وخادمه..."(١)، وقوله في الخطبة نفسها: "...وكان (يقصد أبا بكر – رضي الله عنه –) كما قد علمتم في كرمه ودعته ولينه... واعلموا أنّكم لا تسألون عنّي أحداً، قد عرفتموني وجربتموني... لأهل العفاف والكف منكم والتسليم..."(٢).

وتقصي مثل هذه الأمثلة يطول ذكره، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، فمن ذلك:

- "...أيّها الرعيّة، إنّ لنا عليكم حقاً، النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير..."(٣).
- "...وما أحد بأحق به من أحد إلا عبد مملوك..."(٤).
- "...قد ملأ قلوبهم رعباً، فليس لهم معقل يلجأون إليه، ولا مهرب يتقون به، ...فما عسى أن يبلغ شكر الشاكرين، وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ولا يقدَّر قدرها..."(٥).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن أمثلة الجمع بين الأزواج المتباينة نذكر ما يلي:

- "...فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدّتي بلينه... والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويّهم"(٦).
- "...وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وحملكم في البر والبحر"(٧).
- "...فأقبل من محسنهم وأتجاوز عن مسيئهم..."(٨).
- "...فعليكم بتقوى الله في سرّكم وعلانيتكم..."(٩).
- "...أيّها الناس، إنّ بعض الطمع فقر، وإنّ بعض اليأس غنىً، وإنّ الرجل إذا آيس من شيء استغنى عنه..."(١٠).

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٦.
(٢) نفسه، ص٢٦.
(٣) نفسه، ص٢٧.
(٤) نفسه، ص٢٨.
(٥) نفسه، ص٣٠.
(٦) نفسه، ص٢٦.
(٧) نفسه، ص٢٩.
(٨) نفسه، ص٣٢.
(٩) نفسه، ص٣٤.
(١٠) نفسه، ص٣٥.

- "...ومن كرهه منكم ممن ساءه أخذ بحق ودفع بباطل... فخذوا منّي ما أعطيكم.."(١).

وللمصاحبة المعجميّة – في تعريفها بالارتباط الاعتيادي لكلمةٍ ما بكلمة أخرى معيّنة، أو ورود مفردات معاً على نحو مطّرد – سيرورة ظاهرة في خطب عمر، فهو في كثير من الأحيان يذكر كلمة ما ويذكر مصاحبتها معها، ويحافظ على هذا التصاحب بينهما، وهو في هذا خاضع لمخزونه الثقافي اللغوي، ومتأثر تأثراً مباشراً بما جاء به القرآن والسنّة النبويّة، وللتمثيل على هذا نذكر التصاحب بين الابتغاء ووجه الله والدار الآخرة في قوله:

- "...فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة، ...واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة"(٢).

وكذلك المصاحبة الدائمة بين لفظ (الحمد) و(لله) بحيث إذا ذكر (الحمد) جاء بعدها بـــ(لله)، والمصاحبة الدائمة بين ما يدل على النبي ما من ألفاظ (مثل: النبي والرسول ونبيّكم ورسول الله ورسولكم) و(صلى الله عليه وسلم)، والمصاحبة بين (اتقوا) و(الله)، وأمثلة هذا كثيرة.

مكتبة الجامعة الاردنية

ومن أمثلة المصاحبة المعجميّة التي وردت عنده:

- الدنيا والآخرة: "...واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا.."(٣).
- خازناً وقاسماً: "...فإنّ الله جعلني خازناً وقاسماً، إنّي بادئ بأزواج النبي (ﷺ)..."(٤).
- "إنّ الله جعلني خازناً لهذا المال وقاسماً له، بل الله يقسمه..."(٥).

هذا، والاتساق المعجمي عنده ائتلاف يتم إبداعه عن طريق ترتيب معيّن لعلاقات الألفاظ في الخطبة، فتأتي المكوّنات اللغويّة في الخطبة مشدودة في اتجاهين:

- إلى الخارج؛ أي نحو المتلقين بمخزونهم الثقافي والذاتي المرتبط بتلك المكوّنات.
- وإلى الداخل؛ أي نحو السياق الذي يحاول عمر من خلاله أن يوظف ذلك المخزون الثقافي توظيفاً موضوعياً يخدم غاياته الإبلاغيّة.

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٣٨.
(٢) نفسه، ص٢٥.
(٣) نفسه، ص٢٩.
(٤) نفسه، ص٤١.
(٥) نفسه، ص٥٧.

ثانياً: الاتساق النصّي: دلالة وتركيباً.

يأتي بحث الاتساق التركيبي جزءاً من بحث التماسك النحوي والانسجام الدلالي على مستوى النص الكلي، فالتركيب أحد المُدركات الناجمة عن المعنى، وهو وسيلة تعبير ذات إمكانيّات متعدّدة وأشكال مختلفة لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها، فظاهره مكوّنات البنية السطحيّة وباطنه البنية الدلاليّة، إذ يخضع المستوى التركيبي للمستوى الدلالي، والآخر يخضع للمعرفة والقصديّة(١).

والاتساق التركيبي وحسن الترابط الداخلي هو انعكاس للحالة النفسيّة، فإذا كان البناء الموضوعي للفكرة محبوكاً جيّداً، جاء سبك النص حسناً(٢)، فالآخر ينبع من الأوّل ويعتمد على الحقل الدلالي الناشئ فيه، بمعنى أن تكون الكلمات ملائمة لفضائها الدلالي ومتلائمة فيما بينها، إذ "إنّ ارتباط الكلمة بأخواتها في التركيب هو الذي يمنح التركيب معنى كلياً ذا نسق مقبول... وبمقدار ما يغيب هذا الارتباط تظهر صورة التركيب مهزوزة، وهو أمر يؤثر سلباً في تماسك النص"(٣).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

فإذا تشكّلت الجمل مستقيمة، وتحقق تماسكها المعجمي انتقلنا للبحث في كيفيّة ترابط مكوّنات البنية النصيّة تركيباً، ونظرنا في التتابع الجملي، أي ارتباط كل جملة بما بعدها، ورأينا التماسك والالتحام فيما بينها.

فتحقق الالتحام السبكي والتماسك التركيبي يعني "أن يكون تركيب ما مقدّمة للتراكيب اللاحقة، بأن يكون سبباً لها، أو أن يكون الحدث في هذا التركيب سابقاً من ناحية الترتيب الزماني أو المكاني، أو أن يكون اللاحق جزءاً من السابق ومتمّماً له، أو أن تكون التراكيب اللاحقة مزيد بيان وشرح وتفصيل، أو بأن تكون هناك مقابلة أو مقارنة صريحة أو ضمنيّة بين شيئين، أو بأن يكون التركيب اللاحق تعميماً لمخصص قبله، أو بأن يكون تخصيصاً لعام يأتي بعده، أو بأن يكون توضيحاً لمبهم"(٤).

وعند البحث في خطب عمر ومحاولة تبيان الاتساق التركيبي فيها سنعمد إلى تجاوز مرحلة تحليل المكوّنات المتعاقبة في داخل التركيب الواحد إلا بالقدر الذي يخدم دراسة علاقات

---

(١) انظر: حُمر العين، خيرة، (١٩٩٦). **جدل الحداثة في نقد الشعر العربي.** (ط١). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص١٠٩-١١٠.
(٢) انظر: بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص١٠٣.
(٣) ستيتيّة، سمير شريف، (٢٠٠٣). **منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص.** (ط١). عمّان: دار وائل للنشر، ص٣٣.
(٤) نفسه، ص٣١.

الاتساق والوصل التركيبي، وذلك لأنّ مثل هذا النمط من الدراسة يحصرنا في دائرة التركيب الواحد، والأصل أنّ ننطلق من التركيب إلى النص الكلي، وهذا ما نصبو إليه؛ إضافة إلى ذلك فقد سبق أن تناولناه في مباحث الاتساق المعجمي.

وإذا مضينا في المرور على خطب عمر وتمثيل أهم ملامح الاتساق التركيبي، وبيان كيفيّة توالي التراكيب وأثر ذلك في تحقيق استمراريّة النص نجد أنّ خطبه كانت تتحلى بالاتساق التركيبي وهذا الاتساق ظهر في عدّة أشكال منها:

١- أنّ يأتي تركيب ما مقدّمة للتراكيب اللاحقة وسبباً لها، بحيث إذا ورد هذا التركيب صار ورود التراكيب اللاحقة شيئاً لازماً، ومن الأمثلة على ذلك:

- مجيء قوله: "إنّي داع فآمنوا" في خطبته التي تمّ بحثها أدّى إلى أن تكون بقيّة الخطبة على هيئة دعاء، وكذلك فقد أدّى قوله: "اللهم إنّي غليظ فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة" إلى أن يقول: "وارزقني الغلظة والشدّة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منّي لهم لا اعتداء عليهم"، وهكذا دواليك؛ كما أنّ استخدامه للتركيب "إنّي غليظ" أدّى به إلى القول: "فليّني لأهل طاعتك..."، و"ارزقني الغلظة والشدّة على أعدائك..." وأدّى قوله: "ارزقني الغلظة والشدّة" إلى قوله: "من غير ظلم منّي لهم ولا اعتداء عليهم" وأدّى قوله: "اللهم إنّي شحيح" إلى قوله: "فسخّني في نوائب المعروف"، وأدّى قوله: "فسخّني" إلى قوله: "قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة"... وهكذا إذا سرنا مع الخطبة نجدها تتناسل تناسلاً متنامياً منطلقاً من التركيب الأوّل "إنّي داع فأمنوا.

- مجيء قوله[١]: "أيّها الرعيّة، إنّ لنا عليكم حقاً" أدّى إلى مجيء قوله: "النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير"؛ ومجيء قوله[٢]: "إنّه ليس من حلم أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً منم حلم إمام ورفقه" أدّى إلى مجيء قوله: "إنّه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ شراً من جهل إمام وخرقه" وأدّى إلى قوله: "إنّه من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانَيْه يؤتيه الله العافية من فوقه".

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٧.
(٢) نفسه، والصفحة نفسها.

- مجيء القسم في قوله[١]: "والذي لا إله إلا هو (ثلاثاً)" أدّى إلى قوله: "ما من الناس أحد إلا له في هذا المال حق أعطِيَهُ أو مُنِعَهُ"؛ وقوله: "له في هذا المال حق" أدّى إلى قوله: "وما أحد بأحق به من أحد"؛ فأدّى هذا إلى قوله: "وما أنا فيه إلا كأحدكم"، وهو ما أدّى إلى قوله: "ولكنّا على منازلنا من كتاب الله، وقسْمنا من رسول الله (ﷺ)" وهذا بدوره أدّى إلى قوله: "فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته".

وفي السياق ذاته أدّى قوله: "والله لئن بقيت" إلى قوله: "ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه".

- مجيء قوله[٢]: "إنّ الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر" أدّى إلى قوله: "واتخذ عليكم الحجج"، وقد أدّى مجيء هذين القولين مجتمعيْن إلى قوله: "فيما آتاكم من كرامة الدنيا والآخرة عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه" فارتبط به قوله: "فخلقكم – تبارك وتعالى – ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته"، فجاء على إثر ذلك قوله: "وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه" فبني على هذا قوله: "فجعل لكم عامّة خلقه ولم يجعلكم لشيء غيره" فأدّى إلى قوله: "وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض".

- مجيء قوله[٣]: "يا أيّها الناس إنّي وليت عليكم" مقدّمة وسبباً لقوله: "ولولا رجاء أن أكون خيراً لكم، وأقواكم عليكم، وأشدّكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم" فكان هذا سبباً لقوله: "ولكفى عمر مهمّاً محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها"؛ فأدّى قوله: "بأخذ حقوقكم كيف آخذها" إلى قوله بعدها مباشرة: "وأضعها أين أضعها، وبالسير فيكم كيف أسير".

- جاء قوله[٤]: "إنّ الله عز وجل قد ولاني أمركم" مقدّمة وسبباً لقوله: "وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم" فأدّى هذا لقوله: "وإنّي أسال الله أن يعينني عليه وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره"، فجاء على إثره موازياً له ومعطوفاً عليه قوله: "وأن يلهمني العدل في قسمتكم كالذي أمر به".

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٨.
(٢) نفسه، ص٢٩.
(٣) نفسه، ص٣٣.
(٤) نفسه، ص٣٤.

- جاء قوله[١]: "كنتم على عهد رسول الله (ﷺ) تؤخذون بالوحي" مقدّمة لقوله: "من أسر شيئاً أخذ بعلانيّته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم، والله أعلم بالسرائر، فإنّه من أظهر شيئاً، وزعم أنّ سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانيّة حسنة ظننا به حسناً".
- وجاء قوله[٢]: "أيّها الناس أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم واتقوا ربكم" مقدّمة لقوله: "ولا تلبسوا نساءكم القباطيَّ[*] فإنّه إن لم يشف فإنّه يصف".
- وجاء في الخطبة ذاتها قوله[٣]: "أيّها الناس، إنّي لوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا عليّ" مقدّمة لقوله: "إنّي لأرجو إن عمرت فيكم، يسيراً أو كثيراً، أن أعمل بالحق فيكم، إن شاء الله، وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله" فأدّى هذا إلى قوله: "ولا يُعمل إليه نفسه، ولم ينصب إليه يوماً".
- جاء قوله[٤]: "يا أيّها الناس، ما إكثاركم في صدقات النساء؟!، وقد كان رسول الله (ﷺ) وأصحابه يقللون" مقدّمة لقوله: "إنّما الصَدُقات ما بين أربعمائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى أو مكرمة لم تسبقوهم إليها، فلا أعرفنّ ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم".

مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعلى إثر هذه الخطبة رجع فركب المنبر فقال: "أيّها الناس إنّي كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صَدُقاتِهنَّ على أربعمائة درهم"، وكان هذا تمهيداً لقوله: "فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحبّ وطابت به نفسه فليفعل".

٢- أن تأتي تراكيب ما بياناً أو مزيد بيان وشرح وتفصيل لتركيب عام سابق عليها، ومن أمثلة ذلك:

- قوله[٥]: "إنّي علمت أنّكم كنت تؤنسون منّي شدّة وغلظة" بيّنها قوله اللاحق: "وذلك إنّي كنت مع رسول الله (ﷺ)، وكنت عبده وخادمه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾، فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يغمدني أو ينهاني عن أمر فأكف، وإلا أقدمت على الناس لمكان لينه، فلم أزل مع رسول الله (ﷺ) على ذلك حتى توفاه الله... ثمّ قمت ذلك

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٣٥.
(٢) نفسه، ص٣٥.
(*) القباطي: جمع قبطيّة، وهي ثياب من كتاب بيض رقاق كانت تنسج بمصر منسوبة إلى القبط (إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**. ج٢، ص٧١١).
(٣) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٣٥-٣٦.
(٤) نفسه، ص٤٠-٤١.
(٥) نفسه، ص٢٦.

المقام مع أبي بكر خليفة رسول الله (ﷺ) بعده، وكان كما علمتم في كرمه ودعته ولينه، فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدّتي بلينه إلا أن يتقدّم إليّ فأكف، وإلا أقدمت، فلم أزل على ذلك حتى توفاه الله... فاعلموا أنّ شدّتي التي كنتم ترون ازدادت أضعافاً إذ صار الأمر إليّ على الظالم والمعتدي والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويّهم، وإنّي بعد شدّتي تلك واضع خدّي بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم".

- فصّل قوله[١]: "أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة" في التراكيب التالية: "وحملكم في البر والبحر، ورزقكم من الطيّبات لعلكم تشكرون، ثمّ جعل لكم سمعاً وبصراً".

وفي الخطبة ذاتها شَرَحَ قوله: "فأنتم مستخلفون في الأرض قاهرون لأهلها" بتراكيب أخرى بعده هي: "قد نصر الله دينكم فلم تصبح أمّة مُخَالفة لدينكم إلا أمّتان: أمّة مستعبدة للإسلام وأهله يتجرّون لكم تستصفون معايشهم، وكدائحهم، ورَشْح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمّة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعباً، فليس لهم معقل يلجأون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله ونزلت بساحتهم".

- جاء التركيب: "إنّي نظرت إلى الإيمان فوجدته يقوم أربع خصال"[٢] بيان تضمّن أربع الخصال، وهو: "تقوى الله في جمع المال من أبواب حله، ...والثانية: أعرف للمهاجرين حقهم وأقربهم على منازلهم، والثالثة: الأنصار الذين آووا ونصروا، وأحفظ وصية رسول الله (ﷺ)... والرابعة: أهل الذمة أفي لهم، وأقاتل من ورائهم، ولا أكلفهم إلا طاقتهم".

وفي الخطبة ذاتها جاءت بعض التراكيب شارحة لتركيب معيّن، فالتركيب "تقوى الله في جمع المال من أبواب حِله" شرحته ووضّحته التراكيب: "فإذا جمعته عففت عنه، وإذا عففت عنه وضعته في مواضعه، حتى لا يبقى عندي منه دينار ولا درهم، ولا عند آل عمر خاصّة"؛ والتركيب "أحفظ وصيّة رسول الله (ﷺ)" شرحته التراكيب: "فأقبل من محسنهم، وأتجاوز عن مسيئهم، وأكون أباً عيالهم حتى ينصرفوا إلى منازلهم".

٣- أن تتصل التراكيب وتتابع داخل الخطاب لربط المعاني والدلالات التركيبيّة بعضها ببعض؛ وقد ظهر هذا الوصل في خطب عمر بعدّة أشكال منها:

أ- التكرار التركيبي: وفيه يعمد عمر – رضي الله عنه – إلى إعادة بعض القوالب (الاكليشيهات) اللغويّة التركيبيّة، بحيث يضع ذكر التركيب في المرّة الأولى نقطة ارتكاز

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٩-٣٠.
(٢) نفسه، ص٣٢.

يستند عليها عند إعادة التركيب وبناء تراكيب أخرى عليه، فيقوّي بذلك الدلالة ويخلق نوعاً قويّاً من التماسك النصّي، ومن أمثلة ذلك في خطبه:

- كرّر التراكيب: "كنت مع رسول الله (ﷺ) وكنت عبده وخادمه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يغمدني أو ينهاني فأكف، وإلا أقدمت على الناس لمكان لينه فلم أزل مع رسول الله (ﷺ) على ذلك حتى توفاه الله وهو عنّي راضٍ والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد"[١] فقال على اختلاف بسيط: "وقمت ذلك المقام مع خليفة رسول الله (ﷺ) بعده، وكان كما علمتم في كرمه ودعته ولينه، فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدّتي بلينه إلا أن يتقدّم إليّ فأكف، وإلا أقدمت، فلم أزل على ذلك حتى توفاه الله، وهو عنّي راضٍ، والحمد على ذلك كثيراً وأنا به أسعد".
- استخدم القالب التركيبي نفسه الوارد في قوله[٢]: "أيّها الرعيّة، ...إنّه ليس من حلم أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام ورفقه"، فقال[٣]: "أيّها الرعيّة، إنّه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ شراً من جهل إمام وخُرقه".
- واستخدم القالب التركيبي نفسه في قوله[٤]: "فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وفناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته".
- وكذلك في قوله[٥]: "إنّ الله – سبحانه وبحمده – قد استوجب عليكم الشكر، واتخذ عليكم الحجج... عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة فيه إليه".
- وفي قوله[٦]: "إنّ بعض الطمع فقر، وإنّ بعض اليأس غنى... وإنّكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون".
- تكرّر قوله[٧]: "فقد ابتليت بكم وابتليتم بي" في غير خطبة فقال[٨]: "فابتليت بكم وابتليتم بي".

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٦.
(٢) نفسه، ص٢٧.
(٣) نفسه، ص٢٧.
(٤) نفسه، ص٢٨.
(٥) نفسه، ص٢٩.
(٦) نفسه، ص٣٥.
(٧) نفسه، ص٢٨.
(٨) نفسه، ص٤١.

- واستخدم القالب التركيبي نفسه في قوله[١]: "من أسرع في الهجرة أسرع به العطاء، ومن أبطأ في الهجرة أبطأ به العطاء".

- تكرّر عند عمر استخدام بعض التراكيب مثل: "ألا + و + إن" فقال في خطبة[٢]: "ألا وإنّ قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله مغرمات" وفي ثانية[٣]: "ألا وإنّي ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث" وقال أيضاً[٤]: "ألا وإنّما أنّا في مالكم كوالي اليتيم"؛ وكذلك: "إنّ أخوف ما أخاف عليكم" كما جاء في خطبة له[٥]: "إنّ أخوف ما أخاف عليكم تغيّر الزمان، وزيغة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون يضلون الناس بغير علم" وفي أخرى[٦]: "إنّ أخوف ما أخاف عليكم أن يؤخذ الرجل المسلم البريء عند الله فيُدْسَر كما يدسر الجزور...".

ب- وحدة التعالق الضميري:

ونقصد بها أن تكون سلسلة التركيبات المكوّنة للنص محالة إلى ضمير أو أكثر يربط بعضها ببعض، ويلمّ شمل النص ويوحّد مرجعياته، ويحقق الاستمراريّة فيما بينها، وهو ما يُعالج عن طريق الإحالة الضميريّة، ولكن إفراد هذه الحالات الوحدويّة هنا يأتي لغرض توضيح دور توحّد الضمير في اتصال النص على المستوى الخطي وبناء تركيب على آخر، واحتياجه إليه[٧].

وكثيرة هي الأمثلة والنماذج من خطب عمر التي توضّح أثر وحدة التعالق الضميري في الاتساق التركيبي في النص ووصل التراكيب وتتابعها داخل الخطاب، ومنها:

- ورد عنه أنّه خطب فقال:

"إنّ الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر، واتخذ عليكم الحجج... من غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى... لنفسه وعبادته، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامّة خلقه ولم يجعلكم لشيء غيره، وسخّر لكم ما في

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٥٨.
(٢) نفسه، ص٦٨.
(٣) نفسه، ص٨٥.
(٤) نفسه، ص٨٥.
(٥) نفسه، ص٨٦.
(٦) نفسه، ص٨٦.
(٧) بناء تركيب على آخر واحتياجه إليه لا يعني هنا ما عالجه نحويو الجملة من توقف جملة على أخرى بحيث تكون الأولى شرطاً لحدوث الثانية، وإنما أن تلتف التراكيب في نص ما حول موحِّد يجمعها ضمن النص الكلي، ولمراجعة ما عالجه بعض النحاة من توقف جملة على أخرى. (انظر: عبد اللطيف، محمد حماسة، (١٩٩٢). **بناء الجملة العربيّة**. (ط١). القاهرة: دار الشروق، ص٦٦-٦٩).

السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم في البر والبحر، ورزقكم... ثمّ جعل لكم سمعاً وبصراً...".

يتضح عند النظر في هذه التراكيب أنّها مترابطة متماسكة مبنيّة أفكارها بعضها على بعض، وهي في الوقت ذاته تدور حول مرجعيّة ضميريّة موحّدة تحيل إلى لفظ الجلالة الوارد في أوّل الخطبة، وهذا ما جعل هذه التراكيب يتبع بعضها بعضاً ويسير اللاحق منها في الطريق التي سار فيها السابق.

هذا، وإذا بحثنا في كيفيّة الربط النحوي التي ترتبط بها تلك البنى النصيّة السطحيّة غير ما أشرنا إليه من علاقات دلاليّة وأسلوبيّة واتجهنا نحو الروابط التركيبيّة اللفظيّة والذهنيّة التي تعمل على ربط المكوّنات النصيّة، وجدناها تعتمد كثيراً على العطف بأدواته – وقد سبقت الإشارة إليه وتبيان كيفيّته – وأسلوب الشرط بأنواعه وأدواته المختلفة[١]، والاستثناء بعلاقاته المتنوّعة[٢]، وقد آثرت ألا أغوص في أشكال هذه الأساليب وأنواعها، لا بُعداً عن معالجتها، وإنّما ابتعاداً عن تفرعاتها، وعمّا تسبّبه هذه التفرّعات من وقوف عند نحو الجملة تضيع معه الغاية المرجوة من نحو النص وهي في عمومها بيان كيفيّة تشكّل النص إجمالاً لا تفصيلاً.

(١) لتبيّن أثر أسلوب الشرط في اتساق الخطب العمريّة، وكيفيّة اعتماد عمر عليه، انظر: عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٦، ٢٨–٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٤، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٨٥، ٨٧، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٠٧.

(٢) انظر: نفسه، ص٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥٦، ٥٨، ٦٤، ٧٠، ١٠٠، ١٠٦.

الانسجام النصي في الخطب العمريّة:

لقد اتضح أنّ نحو النص ليس وصفاً شكلياً للمنظومة اللغويّة فحسب، وإنمّا وصف وتحليل يضع النص في سياقيه المقامي والمقالي، ويبيّن كيفيّة التماسك النصّي بمناحيه الدلاليّة والتركيبيّة والسياقيّة والتواصليّة.

والسمة التواصليّة شرط أساسي لقيام النص نصاً، وهي تعتمد على الربط بين العناصر الداخليّة والبيئة المحيطة بالنص، بحيث يبدو النص للمتلقي وحدة واحدة مترابطة فيما بينها ومتعالقة مع ذاته، وهذا يحتاج من المرسل إلى قدرة خاصّة على تحقيق الترابط المفهومي والتفاعل بين العناصر المنطقيّة والمعلومات التي يعرضها النص.

وتعدّ القدرة على جعل توالي النص خاضعاً لقصد المتكلم، ومتوافقاً مع استعداد المتلقي لقبوله عاملاً رئيساً في إنشاء نص قادر على تحقيق الكفاءة النصيّة، بحيث يؤدّي الغرض المقصود منه دون أن يُبقي على حلقات مفقودة عند المتلقي الذي يعتمد كثيراً على مساءلته الدائمة للدوال المرسلة إليه، فتصبح "الدلالة هي فعل الدال"، فإذا لم يستطع المتلقي استنطاق الدال بطل وجود أي دلالة وانتفى أي معنى؛ إذ إنّ "ترتيب الأدلة وإخضاعها لنظام من العلاقات في حالتي الإرسال والتلقي هو الذي يجعلها تتضح بما تنطوي عليه من دلالات"[١].

فالعلاقة القائمة بين القائل والمتلقي والنص لها الأثر الأوسع في ترتب النص منطقياً، وهي التي تضفي على مكوّناته دلالاتٍ مسؤولة عن استقامة النص وانسجامه، فهي التي تحتفظ بمركزيّة أحدهما أو كلاهما في النص أو تتخلى عنها، فتصرف المعاني النصيّة نحوه أو عنه، وهي التي تجعل "النص على علاقة ظاهرة أو خفيّة مع نصوص أخرى"[٢] بحيث تتوافق هذه النصوص أو تتقاطع مع ما يحيط بالنص فيبدو منسجماً ومتلائماً مع ما أريد له.

وهذا يقود إلى البحث في مدى العلاقة بين انسجام النص والغاية التي قيل من أجلها؛ فإذا كان النص محققاً للغاية التي قيل لها، وخادماً لأغراض من يقوله أو يتلقاه، ظهر منسجماً ومقبولاً، وإلا فمضطرباً ومختلاً.

---

(١) إبراهيم، عبد الله، (٢٠٠٠). **السرديّة العربيّة: بحث في البنية السرديّة للموروث الحكائي العربي**. (ط٢). بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، ص٤٦.

(٢) لحمداني، حميد، (٢٠٠٣). **القراءة وتوليد الدلالة: تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٤٣.

إذن، فالانسجام النصّي لا يتوقف على المكوّنات اللغويّة؛ وإنّما يتولد عن العلاقات الداخليّة فيما بينها، ومن الصلة بين هذه العلاقات ومجموع محدّدات الفضاء الذي ظهر فيه، بحيث يُفرز سياق الإبلاغ النصَّ وحدة كليّة مترابطة الأجزاء، ومتآلفة المضمون.

ولذلك لا يمكن النظر إلى الانسجام على أنّه شيء معطى وموجود في النص بحيث يجب البحث عنه والعثور عليه، دون الاستناد إلى السياق، وقابليّة المتلقي للفهم والتأويل، بل يكون تبيُّن وسائل الانسجام بالبحث في تلك العلاقات جميعها، دون الانغماس في اللغة وحدها و"الإعلاء من فكرة الدال"[١] أو النأي عن استخراج المحتوى اللاواعي من اللغة الواعية.

وعلى الرغم من كون الخطب – وهي ما نبحث في انسجامه – فنّاً نثرياً يعتمد على الشفاهة، ويلقى أمام جمهرة من المستمعين، فإنّها غالباً ما تميل إلى التعبيرات اللغويّة الدقيقة الواضحة، والبراهين والأقيسة التي تعين على عرض المعاني، وإظهارها، دون تأويل يحار فيه المتلقي[٢]؛ ومع هذا فهي تستخدم ما تتيحه لها ظروف الشفاهة من إيماءات وإشارات وتلميحات تساهم في صناعة الانسجام النصّي.

وبما أنّ الخطاب العمري جاء معبّراً عن احتياجات المجتمع الإسلامي ودولته، وصوّر ما كان يثار فيها من قضايا وأفكار، فقد حملت خطبه مدلولات دينيّة واجتماعيّة وأخلاقيّة وسياسيّة موافقة لهذه الاحتياجات ومسايرة لها.

وقبل أن نأتي على بيان أهم مظاهر الانسجام في خطب عمر، لا بدّ من أن نشير إلى ما يلي:

- يضع عمر نفسه في مركزيّة النص، وتظهر له في النص مكانة عليا يصنعها لذاته.
- يلتزم عمر بسنن الخطب المعروفة من حمد لله وثناء عليه وصلاة على نبيّه (ﷺ) وغيرها.
- يحظى المخاطب في الخطب العمريّة بأهميّة كبرى، ويعول عليه عمر تعويلاً مباشراً في تحقيق الفائدة الإبلاغيّة التي تعود على المخاطب في كل حال.

---

(١) كيرزويف، اديث، (١٩٨٥). **عصر البنيويّة من ليفي شتراوس إلى فوكو**. (ترجمة: جابر عصفور)، ط١، بغداد: دار آفاق عربيّة للصحافة والنشر، ص١٩٨.

(٢) عبد العال، محمد يونس، (١٩٩٦). **في النثر العربي: قضايا وفنون ونصوص**. (ط١). مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان، ص٢٤.

- ساير النص العمري مراتب المخاطب من حيث درجته وحالته النفسيّة، وكان يراعي هذه المراتب بين: خلو الذهن والشك والتردد، فيرفد نصه بما يوافق هذه الحالات من تساؤل وتكرار واستشهاد بالقرآن والحديث واعتماد على المحاججة العقليّة.
- يعتمد عمر اعتماداً كبيراً في تحقيق الانسجام النصّي على مكانته السلطويّة وتوحّد الخطاب حول ذاته.

وفيما يلي أمثلة تبيّن أهم مظاهر الانسجام في خطبه:

* "**عن سعيد بن المسيّب قال: لما وُلى عمر بن الخطاب خطب الناسَ على منبر رسول الله (ﷺ)، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:**

يا أيّها الناس، إنّي علمتُ أنكم كنتم تؤنسون مني شدّة وغلظة، وذلك أنّي كنت مع رسول الله (ﷺ)، وكنتُ عبدَهُ وخادمه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿بالمؤمنينَ رءوفٌ رَحيمٌ﴾[١] فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يُغمدني أو ينهاني عن أمر فأكفَّ، وإلا أقدمتُ على الناس لمكان لِينه، فلم أزلْ مع رسول الله (ﷺ) على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعدُ، ثمّ قمت ذلك المقام مع أبي بكر خليفة رسول الله (ﷺ) بعده، وكان كما قد علمتم في كرمه ودعته ولينه، فكنتُ خادمه كالسيف بين يديه أخلِط شدّتي بلينه إلا أن يتقدم إليَّ فأكفَّ، وإلا أقدمت؛ فلم أزلْ على ذلك حتى توفاه الله، وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعدُ... ثمّ صار أمرُكم إليَّ اليوم، وأنا أعلم، فسيقول قائل: كان يشتدُّ علينا والأمر إلى غيره فكيف به إذا صار إليه؟! واعلموا أنكم لا تَسألون عنّي أحداً، قد عرفتموني، وجرّبتموني وعرفتم من سنَّة نبيّكم ما عرفتُ وما أصبحتُ نادماً على شيء أكونُ أحِبّ أن أسأل رسول الله (ﷺ) إلا وقد سألته... فاعلموا أنّ شدّتي التي كنت ترون ازدادت أضعافاً إذ صار الأمر إليّ على الظالم، والمعتدي، والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويّهم، وإنّي بعد شدّتي تلك واضعٌ خدّي بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم، وإنّي لا آبى – إن كان بيني وبين أحد منكم شيء من أحكامكم – أن أمشي معه إلى من أحببتم منكم، فلينظر فيما بيني وبينه أحد منكم... فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عنّي، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم... ثم نَزل[٢].

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٨.
(٢) عاشور، **كتاب خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٦-٢٧.

لقد قيلت هذه الخطبة بعد أن تولى عمر خلافة المسلمين بفترة وجيزة، وكان عمر – رضي الله عنه – قد قرأ في عيون الناس خوفاً من شدّته ووجلاً من بطشه، وكان لهذا الخوف أساس بني عليه، فسيرة عمر الشخصيّة تحفل بمواقف كان فيها غليظاً على من حوله، شديداً في رأيه، وكانت هذه الشدّة ظاهرة عليه، معروفة عنه بين الناس.

وفي ظل هذه المعطيات، وبالموازنة مع الحال التي ألفوها مع النبي (ﷺ) من لين ورحمة وحلم وأناة وكرم وصفح، وحالهم من بعده مع خليفته الأوّل أبي بكر في لينه وكرمه وسهولته، فقد خامرهم بعض شك في ألا يكون ليّناً لهم، كما كان من قبله، ولذلك فلا بدّ من طمأنتهم، وبيان ما يتعلق بهذه الشدّة المعهودة والغلظة المعروفة، وكيف ستسير، وإلى أين ستتجه.

ولذلك فقد جاء هذا النص منسجماً مع الحالة النفسيّة التي يحياها المتلقون، وموافقاً لتساؤلات جمة وارتيابات حاصلة، وعبّر عن ذلك صراحة في قوله: "وأنا أعلم فسيقول قائل: كان يشتد علينا والأمر إلى غيره فكيف به إذ صار إليه؟!".

وإذا كانت معالجة موضوع الخطبة بحد ذاتها تنسجم مع حالة المتلقين وتتلاءم معها، فإنّ طريقة النص في المعالجة كانت هي الأخرى منسجمة مع حالتي القائل والمتلقين؛ فحالة القائل تشف عن قلقه من خشية الناس لشدّته وغلظته، وحالة المتلقين هي الترقب لهذه الشدّة والقلق، ولقد جاءت طريقة إنشاء النص منسجمة مع هاتين الحالتين، فقد بدأ النص بما يدل على حالته وقلقه، فقال: "إنّي علمت أنّكم كنت تؤنسون منّي شدّة وغلظة... وأنا أعلم، فسيقول قائل: كان يشتدّ علينا والأمر..."، ثمّ جاء بعد هذه البداية بذكر حالات شدّته وغلظته المعهودة وشرح أسبابها وتعليل مسوغاتها، فتسلسل من عهد النبي (ﷺ) ثمّ سار إلى خلافة أبي بكر وعللهما، وكان تعليله واحداً، وهو بذلك ينسجم مع الحالة لأن غلظته في عهدهما كانت واحدة.

ففي هذا التعليل انسجام مع الحالتين، إذ لمّا كانت الحالتان مع النبي وخليفته متشابهتين من حيث كونه غليظاً فقد استخدم المكوّنات النصيّة نفسها، واتبع الترتيب نفسه، وانتهى بهما نهاية متشابهة.

ثمّ بعد أن انتهى منهما – أي الحالتين – انتقل إلى حاضره وحاضر المتلقين وهو المهم لهم وله الآن، فأخبرهم بمعرفته لنفسياتهم وحقيقة مشاعرهم، وذلك كي يشدّ انتباههم ويجلي لهم ما هو تصريفه لما عهدوه من غلظة وشدّة.

ولكنّه قبل أن يبيّن لهم هذا التصريف يذكرهم بأنّه معروف لهم، ومجرب عندهم، وبأنّهم وإيّاه يشتركون في معرفة سنّة النبي (ﷺ) (وهو يقصد بها الدين الإسلامي إجمالاً)، ثمّ يفاجئهم

بهذا التصريف للشدّة والغلظة بقوله: "فاعلموا أنّ شدّتي التي كنتم ترون ازدادت أضعافاً إذ صار الأمر إليّ على الظالم والمعتدى والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويّهم، وإنّي بعد شدّتي تلك واضع خدّي بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم، وإنّي لا آبى – إن كان بيني وبين أحد منكم شيء من أحكامكم – أن أمشي معه إلى من أحببتم منكم، فلينظر فيما بيني وبينه أحد منكم...".

فذكره لمعرفتهم به وبالسنّة النبويّة، وذكره لمعرفته هو بالسنّة ينسجم مع البيان الذي أعلنه، وهو أن شدّته ستزيد مع الظلم، وستنقلب إلى غاية التواضع والذل للحق، وهذا البيان ينسجم مع طبيعة الموقف، وهو الغرض الرئيسي مع النص وما يمكن أن نسمّيه "ثيمة النص".

و"ثيمة النص" هذه – في مجيئها وموقعها – تشكّل ملمحاً مهمّاً من ملامح انسجام هذا النص، فقد كان مجيؤها هو الغاية، وموقعها مخطط له، فقد سبقت بتقديم واستعراض تاريخي موجز ثمّ أطلقت مرّة واحدة لتقطع كل شك وتجلي كل خاطر، وأتبعت بدعوة إلى التقوى وطلب العون من الناس على أنفسهم وعلى نفس الخليفة عمر، ثمّ بيان كيفيّة هذا العون.

وخاتمة النص: "فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عنّي، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم" تتوحّد مع النص وتتصل به بعلاقة موضوعيّة ونفسيّة، وتمثل الحل المُرتأى للخروج من أزمة البحث في شدّة عمر وغلظته إلى واقع العمل والإحسان فيه.

إذن، فالنص متصل في موضوعه ومترابط في أجزائه ومتوحّد في حالته النفسيّة ومنسجم في معطياته، ومتعالق في أحداثه، ومؤدٍ لدوره المطلوب، وكافٍ للمناسبة التي قيل فيها.

* "عن ابن عباس قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فيما أنا في منزله بمنىً، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجّة حجّها، إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان؟! يقول: لو قد ماتَ عمر لقد بايعتُ فلاناً فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتةً فتمت!! فغضب عمر، ثمّ قال: إنّي، إن شاء الله لقائمٌ العشيّة في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم.

قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس، وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيّرها عنك كل مطيِّر، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم

المدينة، فإنّها دار الهجرة والسنّة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكّناً، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها. فقال عمر: أما والله، إن شاء الله، لأقومنَّ بذلك أوّل مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجّلنا الرّواح حين زاغت الشمس، حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمسّ ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولنَّ العشيّة مقالة لم يقلها منذ استخلِف!! فأنكر عليَّ! وقال: ما عسيتَ أن يقول ما لم يقل قبل!!، فجلس عمر على المنبر، فلمّا سكت المؤذنون قام، فأثنى على الله بما هو أهله ثمّ قال: "**أمّا بعد فإنّي قائل لكم مقالة قد قدِّر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن عقلها، ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته ومن خشي أن يعقلها فلا أحلّ لأحد أن يكذب عليّ.. إن الله بعث محمداً، (ﷺ) بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها، ووعيناها، رجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمانٌ أن يقول قال: والله ما نجدُ آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة، أو كان الحبل أو الاعتراف.**

ثمّ إنّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم أو إنّ كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم، ألا ثمّ إن رسول الله (ﷺ) قال: لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله. ثمّ إنّه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعتُ فلاناً فلا يغترّن امرؤ أن يقول: إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت له ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرّها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر. من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو، ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا وإنّه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلا أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنّا علي والزبير، ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم!! فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بنى ساعدة؛ فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟

فقالوا: هذا سعد بن عبادة. فقلت: ماله؟ قالوا: يوعك، فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثمّ قال:

أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم؛ فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وإن يحضنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد فلما أردتُ أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهة مثلها أو أفضل منها، حتى سكت فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم بأحد هذين الرجلين، فبايعوا أيّهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، فلم أكره ممّا قال غيرها، كان والله أن أقدّم فتضرب عنقي لا يقرّبني ذلك من إثم أحبّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسوّل إليّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن، فقال قال من الأنصار: أنا جذيلها المحكّك، وعذيقها المرجّب منا أمير، ومنكم أمير يا معشر قريش!! فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقتُ من الاختلاف، فقلت: ابسط يديك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الأنصار، ونزونا علي سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عُبادة!! فقلت: قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر: وإنّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة – أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى، وإمّا نخالفهم فيكون فسادٌ؛ فمن تابع رجلاً على غير مشورة من المسلمين؛ فلا يبايع هو، ولا الذي بايعه تغرةً أن يقتلا"[١].

قبل المباشرة في توضيح الانسجام النصّي في هذه الخطبة تجدر الإشارة إلى معطيات التلقي التي أظهرتها، وهي كما يلي:

١- قائل الخطبة: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين.

٢- موضوع الخطبة: المبايعة بالخلافة، وإشكاليّة البيعة لأبي بكر – رضي الله عنه –.

---

(١) عاشور، **كتاب خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٤٥-٥٠.

٣- السبب المباشر للخطبة:

وهو أنّ رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وأخبره أنّ بعض الناس قال: "لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمّت".

٤- متلقو الخطبة: المسلمون الموجودون في المدينة المنوّرة آنئذٍ.

٥- مكان الخطبة: مسجد رسول الله (ﷺ) بالمدينة المنوّرة.

٦- الزمن الذي قيلت فيه: عشاء يوم الجمعة الأولى بعد أن عاد عمر – رضي الله عنه – ومن معه من الحج سنة ثلاث وعشرين من الهجرة.

٧- كيفيّة إلقاء الخطبة: ألقيت الخطبة من على منبر رسول الله (ﷺ) بعد أن سكت المؤذن وحضر الناس للصلاة، وتهيأوا لها.

٨- معطيات أخرى:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الإيداع الجامعي

- إنّ عمر علم بهذا السبب في مكة أثناء الحج فغضب، وأراد أن يقول هذه الخطبة هناك، فعدل عن المكان والزمان بناءً على نصيحة لأحد الصحابة الذين كان يستشيرهم عمر، وهو عبد الرحمن بن عوف، جاء فيها: "يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإنّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنّهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيِّرها عنك كل مطيّر، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها؛ فأمهل حتى تقدّم المدينة، فإنّها دار الهجرة والسنّة، فتخلصُ بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها"، فقال عمر: "أمّا والله، إن شاء الله، لأقومن بذلك أوّل مقام أقومه بالمدينة".

وإذا اتجهنا للنص (الخطبة) نجد أنّ عمر – رضي الله عنه – يأخذ بنصيحة ناصحه ليس في مكان الإلقاء وزمنه فحسب، بل في الاحتياط من عدم وعيها، وتحريفها عن مواضعها، فيلجأ إلى أكثر الأساليب مباشرة، ويصرح لمتلقي خطبته بأنّه يريد منهم أن يحفظوا ويعوا ما يقول، وإلا فلا يرووا عنه، وهذا في قوله: "أمّا بعد فإنّي قائل لكم مقالة قد قدّر لي أن أقولها – لعلها بين يدي أجلي – فمن عقلها ووعاها فليحدِّث بها حيث انتهت به راحلته ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ".

فهذه المقدّمة ليست مقصودة لذاتها، كما أنّها ليست جزءاً من الخطبة – في ظروفها العاديّة – ولكنّها وسيلة مرتبطة كلياً بالأهميّة القصوى للموضوع المطروح فيها، وهو الخلافة وبيعتها؛ لذلك فقد انسجمت هذه المقدّمة مع موضوع الخطبة والحرص الشديد على التواصل الكامل بين عمر ومتلقي خطبته.

ولقد تجلى هذا الحرص الشديد على التواصل الكامل، بالإضافة إلى الحض على وعي المقالة وحفظها، في ذكر قرب أجل عمر وتحذيره من الكذب عليه.

وإذا علمنا أنّ الخلافة وبيعتها هي الموضوع الرئيسي للخطبة فإنّنا نستغرب أن يدع عمر الحديث عن هذا الموضوع ويبدأ الخطبة بقوله: "إنّ الله بعث محمداً (ﷺ) بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها؛ رجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة، أو كان الحبل أو الاعتراف".

وينتقل بعد الحديث عن الرجم مباشرة إلى موضوع آخر فيقول:

"ثمّ إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم أو إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم؛ ألا وإن رسول الله (ﷺ) قال: لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله، ولاستبعاد هذا الاستغراب، ومعرفة تحقق الانسجام بين الموضوع الرئيسي وهذا الحديث الذي سبقه نجد أنّ صاحب فتح الباري يقول[١]: "النكتة في إيراد عمر هذه القصة هنا أنّه خشي عليهم، يعني خشي على من لا قوّة له في الفهم أن يظن بشخص استحقاقه الخلافة، فيقوم في ذلك مع أنّ المذكور لا يستحق، فيطريه بما ليس فيه، فيدخل في النهي، ويحتمل أن تكون المناسبة أن الذي وقع منه في مدح أبي بكر ليس من الإطراء المنهي عنه"، ومن ثمّ قال: "وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر"، ومناسبة إيراد عمر قصة الرجم والزجر عن الرغبة عن الآباء للقصة التي خطب بسببها، وهي قول القائل: لو قد مات عمر لبايعت فلاناً، أنّه أشار بقصة الرجم إلى زجر من يقول: لا أعمل في الأحكام الشرعيّة إلا بما وجدته في القرآن، وليس في القرآن تصريح باشتراط التشاور إذا مات الخليفة، بل إنّما يؤخذ ذلك من جهة السنّة كما أن الرجم ليس فيما يتلى من القرآن، وهو مأخوذ من طريق السنّة، وأمّا

(١) فتح الباري، ج١٢، ص١٢٠-١٢١.

الزجر عن الرغبة عن الآباء فكأنّه أشار إلى أنّ الخليفة يتنزل للرعيّة منزلة الأب فلا يجوز لهم أن يرغبوا إلى غيره بل يجب عليهم طاعته بشرطها كما يجب طاعة الأب".

والناظر إلى هذا التوضيح يجد فيه شاهداً على حسن الانسجام بين ما جاء في هذا التقديم والموضوع الرئيس في الخطبة، وهو الخلافة وبيعتها، لما بينهما من علاقات ارتباط في المنطلقات والأصول التي تستند إليها كل من الخلافة والرجم والانتساب إلى الأب.

أمّا إطراء النبي بشكل مبالغ فيه، فهذا من المحاذير التي خشي عمر ألا توضع مواضعها، إذ إنّه بحديثه عن الرجم وما جاء من النبي دون أن يرد في القرآن أشار إلى المكانة العليا للنبي (ﷺ)، وخشي أن تفهم هذه المكانة بشكل يتعدّى ما أريد لها، فيأخذ الناس بتقديس النبي (ﷺ) وتعظيمه إلى حدٍ يصل بهم إلى أن يجعلوه كما جعل النصارى عيسى ابن مريم فيضلوا بذلك ويكفروا، فأراد أن يقيّد مقالته، ويغلق أبواب التأويل فيها؛ وهذا ينسجم مع قوله: "...ومن خشي ألا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ...".

وبعد هذه الأسس التي وضعها نجده ينتقل إلى موضوعه الرئيسي، فيعرض المعطيات الماثلة لديه ويفندها فيقول: "ثمّ إنّه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً؛ فلا يغترّنَّ امرؤ أن يقول: إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت له، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكنّ الله وقى شرّها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر".

فهو في هذا يوضّح أن ما بلغه من قول إنّما هو متصل بحادثة البيعة التي تمّت لأبي بكر، ويريد أن يبيّن أن ما ينتاب بعض الناس من شك في أن بيعة أبي بكر كانت حادثة سريعة – لم تكن لتكون لولا طيّها سريعاً – ليس له أساس، وأن الخطأ الذي يُظن بوقوعها ليس خطأً وإنّما الخطأ كان سيكون لو لم تكن، ويعلل ذلك بأفضليّة أبي بكر.

ويطلق بعد ذلك تحذيراً هو عماد الخطبة والغاية الأولى فيها؛ وهو قوله: "من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرَّةً(*) أن يقتلا".

وفي هذا التحذير يجعل ممن يبايع رجلاً دون مشورة من المسلمين مستحقاً للقتل، ويجعل ممن يقبل هذه البيعة – مع علمه بعدم استشارة المسلمين مستحقاً للقتل أيضاً، فيواجه بذلك إشكاليّة البيعة لأبي بكر، فيريد أن يقتنع كل متلقٍ – بأنّها كانت على الوجه الصحيح – تمام الاقتناع، فيأخذ برواية قصة بيعة أبي بكر، ويأتي على كل تفاصيلها حتى لا يعاد النظر في

(*) تغرَّةً: أي حذراً من القتل، والمعنى أن من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضها للقتل.

أمرها، ولا يبقى شك لشاكٍ فيها، وبذلك نفهم العلاقة بين حديثه عن بيعة أبي بكر قبل أن يطلق تحذيره هذا الذي ذكره.

ولكن قبل أن نمضي في بيان الانسجام نقرأ من هذا ما يلي:

١- أنّ عمر واجه شكاً في أحقيّة أبي بكر في الخلافة لدى جمهرة من المتلقين.

٢- أنّ عمر يواجه إشكاليّة أصوليّة في إقناع المتلقين بأنّ الطريقة التي بويع فيها أبو بكر كانت هي الطريقة المثلى.

٣- أنّ عمر عرف أنْ سيربط بين طريقة بيعة أبي بكر وأحقيّته في الخلافة.

٤- أنّ عمر يخاف من أن يأخذ كل امرئ في نفسه أن له الحق في مبايعة من يشاء، ويرى أن هذا يفتح أبواباً من الفتنة لا تغلق أبداً.

ولذلك فقد أراد عمر – رضي الله عنه – أن يأتي على قصة بيعة أبي بكر كاملة ويوضّح أنّها كانت على الوجه الصحيح، ولها في سرعة عقدها ما يبرّرها، ولكنّه – مع إصراره على أحقيّة أبي بكر في الخلافة، وسلامة بيعته – يعرف أنّ ما يراه لا يقرّه الجميع، فيعلل ذلك بأنّ أبا بكر كان – بلا شك – أفضل من وُجد أثناء البيعة، فيقول معلقاً على القصة التي سردها: "وإنّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر؛ خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة، أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى؛ وإمّا نخالفهم فيكون فساد".

ونحن هنا لا نريد أن نخوض في تفاصيل القصّة وما ذكره فيها، ولكن بحث الانسجام فيها يؤدّي بنا إلى أن قبولها من قِبل المتلقي يكون على درجات متفاوتة، لما يغيب منها من اعتماد على أصول ثابتة يتفق عليها الجميع، وهذا لا يعني أنّها غير منسجمة أو أن جزءاً فيها لا ينسجم مع آخر، بل على العكس من هذا تماماً، فالبداية التحذيريّة تنسجم مع ذكر آية الرجم وعدم الانتساب للأب والشك المقروء في الناس من بيعة أبي بكر وارتباط هذه البيعة بما يكون بعد خلافة عمر من بيعات، وقد عبّر عمر نفسه عن ذلك بما أورده من ملفوظات تدور حول هذا المحور، وقد توّجها في النهاية بقوله الذي أورده في منتصف الخطبة فقال: "فمن تابع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو، ولا الذي بايعه تغرَّةً أن يقتلا".

ومن اللافت للنظر أنّ الخطب العمريّة في مجملها منسجمة فيما بينها، وأنّها تتوحّد في مجموعها لتشكّل الخطاب الكلي لعمر بن الخطاب كونه خليفة للمسلمين، وقدوة لهم.

وإنّ البحث فيها مجتمعة يفضي إلى توحّدها حول عدّة محاور، يبرز من خلالها ثلاثة هي:

المحور الأوّل: خلافة عمر وشخصيّــه، والخلافة عامّة.

وقد احتل هذا المحور مساحة واسعة من خطبه – رضي الله عنه –، وجاء الحديث عنه موزّعاً في عدّة خطب، بحيث عالج في بعضها صفاته الشخصيّة من غلظة وشدّة، وفي بعضها الآخر كونه خليفة:

- "أيّها الناس، إنّي داع فأمنوا اللهم إنّي غليظ فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق..."(١).
- "أيّها الناس، إنّي علمت أنّكم كنتم تؤنسون منّي شدّة وغلظة، ..."(٢).
- "...فقد ابتليت بكم وابتليتم بي، ..."(٣).
- "أيّها الناس، إنّي قد وُليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيراً لكم، وأقواكم عليكم، وأشدّكم استضلاعاً بما ينوب من لهمِّ أموركم، ما توليت ذلك منكم، ..."(٤).
- "إنّ الله عز وجل، قد ولاني أمركم، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم، وإنّي أسأل الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده، ...، ولئن يغيّر الذي وُليّت من خلافتكم من خلقي شيئاً، إن شاء الله، إنّما العظمة لله عز وجل"(٥).
- "إنّي قد علمت أن قد كرهتم قيامي عليكم..."(٦).
- "...من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو، ولا الذي بايعه تغرَّةً أن يقتلا"(٧).
- "...وكذلك يحق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر، ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس، وكانوا فيه تبعاً لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم فيه ما رأوا لهم، ورضوا به لهم..."(٨).

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٢٥.
(٢) نفسه، ص٢٦.
(٣) نفسه، ص٢٨.
(٤) نفسه، ص٣٣.
(٥) نفسه، ص٣٤.
(٦) نفسه، ص٣٨.
(٧) نفسه، ص٤٨.
(٨) نفسه، ص٦١.

- "...إنّي والله ما أنا بملك فاستعبدكم، وإنّما أنا عبد الله عُرض عليّ الأمانة..."(١).

- "...ألا إنّي قد وليت عليكم وقضيت الذي عليّ في الذي ولاني الله من أمركم، إن شاء الله، ..."(٢).

- "...ألا وإنّي وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث: أداء الأمانة، والأخذ بالقوّة، والحكم بما أنزل الله..."(٣).

- "...أنشدُ الله، لا يعلم رجل منّي عيباً إلا عابه"(٤).

- "...وإنّ الله عز وجل لم يكن لضيع دينه وخلافته التي بعث بها نبيّه (ﷺ)؛ وإن يعجّل بي أمر فإنّ الشورى في هؤلاء الستة الذين مات النبي (ﷺ) وهو عنهم راضٍ..."(٥).

وممّا يلاحظ في هذا المحور أنّ التركيز على عمر خليفة كان في المراحل الأولى من خلافته قبل أن يتضح منهجه فيها، ولكنّه تحوّل بعد ذلك إلى مناقشة مسألة الخلافة بشكل عام.

المحور الثاني: محور العدل بين الناس وتطبيق أحكام الله.

ولعل هذا المحور يمثل أهم بنية نصيّة في مجمل الخطاب العمري، إذا كان التركيز عليه في جميع مراحل الحم، قبل أن يتضح منهجه، وبعد أن اتضح، وفيما يلي بعض المقتطفات التي يتوحّد حولها:

- "...وإنّي بعد شدّتي تلك واضع خدّي بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم، وإنّي لا آبى – إن كان بيني وبين أحد منكم شيء من أحكامكم – أن أمشي معه إلى من أحببتم منكم، فلينظر فيما بيني وبينه أحد منكم..."(٦).

- "...ما من الناس أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو مُنِعَه، وما أحد بأحق من أحد إلا عبد مملوك، وما أنا فيه إلا كأحدكم، ولكنّا على منازلنا من كتاب الله، وقسْمنا من رسول الله (ﷺ)..."(٧).

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٦٢.
(٢) نفسه، ص٦٦.
(٣) نفسه، ص٨٥.
(٤) نفسه، ص٨٨.
(٥) نفسه، ص١٠٦.
(٦) نفسه، ص٢٦-٢٧.
(٧) نفسه، ص٢٨.

- "أيّها الناس، إنّي نظرت إلى الإيمان فوجدته يقوم على أربع خصال: تقوى الله في جمع المال من أبواب حله، فإذا جمعته عففت عنه، وإذا عففت عنه وضعته في مواضعه، حتى لا يبقى عندي منه دينار ولا درهم، ولا عند آل عمر خاصّة..."(١).

- "...ولكفى عمر مهما محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها، ووضعها أين أضعها، وبالسير فيكم كيف أسير،..."(٢).

- "...وإنّي أسأل الله أن يعينني عليه، ...، وأن يلهمني العدل في قسمتكم كالذي أمر به، ... فأيّما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة، أو عتب علينا في خلق، فليؤذنّي، فإنّما أنا رجل منكم، ..."(٣).

- "أيّها الناس، إنّي لوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا عليّ، وإنّي لأرجو إن عمّرت فيكم، يسيراً أو كثيراً، أن أعمل بالحق فيكم، إن شاء الله، ..."(٤).

- "...إنّي آخذكم بالحق غير معتدٍ به، وأعطيكم الحق غير قاصر عنه: كتاب الله وسنّة نبيه (ﷺ) بيني وبينكم..."(٥).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- "...وإنّما علينا أن نأمركم بما أمركم الله، عز وجل، في قريب الناس، وبعيدهم، ولا نبالي على من مال الحق..."(٦).

- "...أمّا بعد، فإنّ هذا الفيء أفاء الله عليكم: الرفيع والوضيع بمنزلة ليس أحد أحق من أحد..."(٧).

- "...وإنّ للعدل أمارات وتباشير، فأمّا الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين، وأمّا التباشير فالرحمة، ...فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد..."(٨).

- "...ألا وإنّي ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث: أن يؤخذ من حق، ويعطى في حق، ويمنع من باطل، ألا وإنّما أنا في مالكم كوالي اليتيم..."(٩).

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٣٢.
(٢) نفسه، ص٣٣.
(٣) نفسه، ص٣٤.
(٤) نفسه، ص٣٦.
(٥) نفسه، ص٣٨.
(٦) نفسه، ص٥٢.
(٧) نفسه، ص٥٦.
(٨) نفسه، ص٦٢.
(٩) نفسه، ص٨٥.

- "إنّ أخوف ما أخاف عليكم أن يؤخذ الرجل المسلم البريء عند الله فيدسر[*] كما يدسر الجزور، ويشاط لحمه كما يشاط لجم الجزور، ويقال: عاص، وليس بعاص"[١].

- "...إنّي تركت فيكم اثنين لن تبرحوا بخير ما لزمتموهما: العدل في الحكم، والعدل في القسم، ..."[٢].

المحور الثالث: تنفيذ أحكام الله وحدوده وفرائضه والتنبيه على ما قد يشكل منها:

ولقد جاء الحديث عن هذا المحور موزّعاً على عدّة خطب، وهذه هي بعض المقتطفات التي عالجته:

- "...فأذكّركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعلتم له، وقسرتم أنفسكم على طاعته... هذا لله عليّ من أمركم ونهيكم واجب"[٣].

- "...فعليكم بتقوى الله في سرّكم وعلانيتكم، وحرماتكم، وأعراضكم..."[٤].

- "...أيّها الناس أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القباطيَّ فإنّه إن لم يشف يصف..."[٥].

- "أيّها الناس، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فيأت معاذ بن جبل، ..."[٦].

- "...وإيّاكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة، فقلما كفر قوم بنعمة، ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزّهم، وسلط عليهم عدوّهم..."[٧].

- "...تعلموا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، ..."[٨].

- "...رجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا بعده، فاخشى إن طال زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية

(*) يدسر: يدفع ويكب للقتل كما يُفعل بالجزور.
(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٨٦.
(٢) نفسه، ص٩١.
(٣) نفسه، ص٣١.
(٤) نفسه، ص٣٤.
(٥) نفسه، ص٣٥.
(٦) نفسه، ص٤١.
(٧) نفسه، ص٤٢.
(٨) نفسه، ص٤٤.

الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ..."[١].

- "... لا تخدعنّ عنه، فإنّه حد من حدود الله، ألا إن رسول الله (ﷺ) قد رجم، ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائلون: زاد عمر في كتاب الله ما ليس منه لكتبت في ناحية المصحف: شهد عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وفلان وفلان، أنّ رسول الله (ﷺ) قد رجم ورجمنا بعد، ألا وإنّه سيكون بعدكم قوم يكذبون بالرجم..."[٢].

- "...وإنّ أحق ما تعاهد به الراعي من رعيّته أن يتعاهدهم بما لله عليه من وظائف دينهم الذي هداهم الله له، وإنّما علينا أن نأمركم بما أمركم الله من طاعته، وننهاكم عمّا نهاكم الله من معصيته، وأن نقيم أمر الله عز وجل، ...وإنّ للصلاة وقتاً اشترطه الله فلا تصلح إلا به، ...وإنّ الجهاد في سبيل الله مجاهدة العدو واجتناب الحرام، ...واعلموا أنّ الصوم إحرام يُجتنب فيه أذى المسلمين، كما يمنع الرجل من لذته من الطعام والشراب والنساء، ...وإيتاء الزكاة التي فرض رسول الله (ﷺ) ..."[٣].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- "...يا أيّها الناس، إنّه يكون مني مَذيٌ، وإن كلّ فحل يمذي؛ يُغتسل من المنيّ ويُتوضأ من المذي"[٤].

- "...أمّا بعد فإنّ هذا الشهر شهر كتب الله عليكم صيامه ولم يكتب عليكم قيامه، من استطاع منكم أن يقوم فإنّها من نوافل الخير التي أمر الله عز وجل بها... ألا لا يتقدّم الشهر منكم أحد – ثلاث مرّات – ألا لا تصوموه حتى تروه، ..."[٥].

- "يا أيّها الناس، إنّ رسول الله (ﷺ) نهى عن صيام هذين اليومين، أمّا أحدهما فيوم فطركم من صيامكم وعيدكم، وأمّا الآخر فيوم تأكلون فيه من نسككم"[٦].

- "إنّ الله عز وجل رخّص لنبيه (ﷺ) ما شاء، وإن نبي الله (ﷺ) قد مضى لسبيله، فأتمّوا الحج والعمرة كما أمركم الله عز وجل، وحصّنوا فروج هذه النساء[*]...."[٧].

- "...إنّ القرآن هو القرآن، وإنّ رسول الله (ﷺ) هو الرسول، وإنّهما كانتا متعتين على عهد

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ٤٧.
(٢) نفسه، ص٩٩.
(٣) نفسه، ص٥٣-٥٤.
(٤) نفسه، ص٦٩.
(٥) نفسه، ص٧٤.
(٦) نفسه، ص٧٥.
(*) يريد بـــ"حصنوا فروج هذه النساء": النهي عن نكاح المتعة.
(٧) نفسه، ص٧٦.

رسول الله (ﷺ): إحداهما متعة الحج، والأخرى متعة النساء"[١].

- "...إنّ زيد بن ثابت قد قال في الجدّ قولاً وقد أمضيته..."[٢].

- "...أقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فإنّها طلّعة، وإنّ لم تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية، ...وترك الخطية خير من معالجة التوبة، ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً"[٣].

- "...وإنّي لم أدع شيئاً هو أهم عندي من أمر الكلالة[*]، وأيم الله ما أغلظ لي نبي الله (ﷺ) في شيء منذ صحبته أشدَّ ممّا أغلظ لي في شأن الكلالة..."[٤].

- "إنّه قد نزل تحريم الخمر، وهي خمسة أشياء: العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل؛ والخمر ما خامر العقل؛ وثلاث وددت أن رسول الله (ﷺ) لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجدّ، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا"[٥].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

هذا، وإذا نظرنا في هذه المحاور الثلاثة وجدناها تشكّل مجمل العلاقات الداخليّة المكوّنة لخطب عمر بن الخطاب؛ ووجدناها تضم مجموع محدّدات الفضاء النصّي العمري؛ وما يختلف منها إنّما يختلف لاختلاف سياق الإبلاغ النصّي؛ وقدرة هذا الفضاء على الجمع بين الناص والمتلقين والنص المنتج هي التي تجعل من الخطبة الواحدة والخطب عامّة منسجمة فيما بين مكوّناتها الدلاليّة ومصاحباتها المقاميّة.

وقد مثلت هذه المحاور الثلاثة مظاهر الانسجام الأبرز في الخطب كونها أهم العوامل الثقافيّة الماثلة في الحياة العمريّة والبيئة التي يعيش فيها هو والمتلقون، وبذلك تجعل استجابة المتلقين لها والتفاعل معها سهلاً وسريعاً.

ولا يقتصر دور هذه المحاور على كونها "بنية الجاذبيّة"[٦] التي يركّز عليها الخطاب العمري، وإنّما يتجاوزها إلى التخطيط للمعنى وإنتاج الدلالة المتفرّعة عن كل نص وقابليتها في الوعي الإدراكي للمتلقين.

---

(١) عاشور، **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، ص٧٧.
(٢) نفسه، ص٧٩.
(٣) نفسه، ص٨٧.
(*) الكلالة: الميّت الذي لا والد له ولا ولد.
(٤) نفسه، ص١٠٦.
(٥) نفسه، ص١٠٥.
(٦) هولبت، مصطلح "بنية الجاذبيّة" لفولفانج إيزر، انظر: هولب، **نظريّة التلقي**، ص١٩٩-٢٠٢.

الفصل الثالث

نحو النص والوصايا العمريّة

- الدائرة النصيّة: معالمها ونحو النص:
  - البنية الكليّة للنص.
  - البنية الكليّة للنص.
  - البنى النصيّة الكبرى.
- الوحدة النصيّة العامّة ونحو النص:
  - قائله.
  - موضوعه.
  - لماذا قيل.
  - لمن قيل.
  - أين قيل.
  - متى قيل.
  - كيف ألقى النص.
  - إحالات النص إلى خارجه.
- نحو النص والمعطيات اللغويّة:
  - وسائل الاتساق الإحاليّة:

١- الإحالة الضميريّة.

٢- التطابق الإحالي.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٣- الإحالة الإشاريّة.

- **الاستبدال.**
- **الحذف.**
- **العطف.**
- **الاتساق المعجمي.**

أوّلاً: التكرار.

ثانياً: المصاحبة المعجميّة.

ثالثاً: الألفاظ المعبّرة عن علاقات التضمّن.

- **علاقات السببيّة.**

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثالث

نحو النص والوصايا العمريّة

تفترق الوصايا عن الخطب في أنّها توجّه من شخص إلى غيره عندما يشعر أنّه سيفارقهم أو سيفارقونه، وهي تستعمل عادة مرتبطة بإرادة الخير، والتوجيه نحو ما هو حسن من فضائل النفس والسلوك، "وقد كان العربي إذا توقع الخطر، وضرّ به أمر، يحتمل أن يؤدّي به إلى الموت سارع إلى وصيّة أهله"[١] حتى يُكسب من يعينه أمرهم ثمارَ خبرته في الحياة، ويقدّم لهم نتائج تجربته فيها.

ومع أنّ الوصيّة اقترنت بالموت في كثير من استعمالاتها[٢]، إلا أنّها لم تقتصر على مشهد الموت وحده، فقد يوصي صاحب الخبرة والتجربة ومن يؤخذ برأيه ويعتد بعقله، عند غيابه في سفر، أو مغادرة من يوصيهم له، أو عند التأهب لخوض معركة، أو الدخول في حلف، أو التحوّل من موقع إلى آخر.

وهذا يعني أنّ تجمع الوصيّة في ثناياها عدداً من محاور الحديث، وألا يشترط فيها وحدة الموضوع الذي غالباً ما يكون لازماً في الخطبة، وإنّما تكون الوحدة النفسيّة هي الجامع الأقوى لأطراف الكلام المبثوث فيها؛ وهو ما يعبّر عن تجارب عامّة، ورؤى مختلفة، وخبرات متنوّعة عاشها صاحبها.

فقد تكون الوصيّة مركبة من مكوّنات لغويّة يستقل كل واحد منها بمعناه، ويرتبط مع تاليه بواو العطف أو أيٍّ من أساليب الربط الأخرى، وقد يتم الانتقال من غرض إلى آخر دون تمهيد، لتصبح هذه المكوّنات مجتمعة دليلاً يسترشد به، ومبادئ يُسار عليها.

وبما أنّ خطاب الوصيّة وأسلوبها مغاير لخطاب الخطبة وأسلوبها، كما أنّ الغاية منهما قد تتباين، فبحث كل منهما، بمعزل عن الأخرى، أمر لازم ومشروع، ولا سيّما إذا كان هذا البحث على ضوء منهج واحد بخطوات ثابتة حتى يتم الكشف عن العلاقة بين كل منهما ومكوّناتها اللغويّة، ومعطياتها الخارجيّة.

ولذلك فقد رأى البحث أن يلتزم في معالجة الوصايا العمريّة بالخطوات الإجرائيّة التي تمّت بها معالجة الخطب العمريّة، والسير معها خطوة خطوة لعلها تكشف عن الضوابط التي

---

(١) الفريح، سهام، (١٩٨٨). **الوصايا في الأدب القديم**. (ط١). الكويت: مكتبة المعلا، ص١٦.
(٢) نفسه، ص١٥.

تحيط بنص الوصيّة، وعن المعايير التي تحكم هذا الجنس النثري؛ ولا سيّما أن قائلهما واحد والبنية الثقافيّة التي قالها فيها واحدة. وهذه الوصيّة جاءت كما يلي:

أوصاه فقال:

"**أوصيك بتقوى الله لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً؛ أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً؛ فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً؛ فإنّهم ردء الإسلام، وجباة الأموال والفيء، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم، وأوصيك بأهال البادية خيراً؛ فإنّهم أصل العرب، ومادّة الإسلام: أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم فتردَّ على فقرائهم، وأوصيك بأهل الذمة خيراً؛ أن تقاتل من ورائهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم؛ إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً، أو عن يدٍ وهم صاغرون، وأوصيك بتقوى الله، وشدّة الحذر منه، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة، وأوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعيّة، والتفرّغ لحوائجهم، وثغورهم، ولا تؤثر غنيّهم على فقيرهم، فإنّ ذلك – بإذن الله – سلامة لقلبك، وحط لوزرك، وخير في عاقبة أمرك، حتى تفضي من ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك. وآمرك أن تشتدّ في أمر الله، وفي حدوده، ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثمّ لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرمه، واجعل الناس سواء عندك لا تبالي على من وجب الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم، وإيّاك والأثرة، والمحاباة فيما ولاك الله ممّا أفاء على المؤمنين، فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة عمّا بسط الله لك اقترفت إيماناً ورضواناً، وإن غلبك عليه الهوى، ومالت بك شهوة اقترفت به سخط الله، ومعاصيه، وأوصيك ألا ترخّص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحت لك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي، فإن عملت بالذي وعظتك، وانتهت إلى الذي أمرتك، أخذت به نصيباً وافراً، وإن لم تقبل ذلك، ولم يهمّك، ولم تنزل معاظم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك، يكن ذلك بك انتقاصاً، ورأيك فيه مدخولاً؛ لأنّ الأهواء مشتركة، ورأس كل خطيئة والداعي إلى كل هلكة إبليس، وقد أخبل القرون السالفة من قبلك، فأوردهم النار، وبئس الورد المرود، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ مولاةً لعدو الله والداعي إلى معاصيه. ثمّ اركب الحق وخض إليه الغمرات، وكن واعظاً لنفسك.**

وأنشدك الله لما ترحّمت على جماعة المسلمين، فأجللتَ كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقرت عاملهم، ولا تضربهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلهم فتفقرهم، ولا تجمّرهم في البعوث فتقطع نسلهم، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويّهم ضعيفهم. هذه وصيتي إيّاك، وأشهد الله عليك، وأقرأ عليك السلام".

أمّا اختيار هذه الوصيّة التي يجرى التطبيق عليها، فقد وقع على وصيّة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – للخليفة من بعده؛ وما ذلك الاختيار إلا لأنّ هذه الوصية تمثل ثمرة تجربة عمر مع الخلافة وسياسة أمر المسلمين؛ ولأنّها تمثل ما وقر في نفسه من أركان الدستور الذي سار عليه وارتضاه لنفسه؛ كما أنّنا من خلالها نستطيع أن نتعرّف على رؤية عمر – الذي اشتهر بالعدل وعُرف به – إلى المنهج الذي يتناسب مع طبيعة المجتمع الإسلامي الذي صار ممتداً ومتعدّد الأجناس ومختلف العادات.

جميع الحقوق محفوظة

فهذه الوصيّة – مع ما ذكرناه – تمتاز عن وصايا عمر الأخرى بشموليتها وإحاطتها بمختلف نواحي الحياة التي تهم المسلمين ومَنْ تحت حكمهم، من نواح دينيّة وسياسيّة وعسكريّة واجتماعيّة واقتصاديّة، وتفسح مجالاً للبحث أن يوازن بين أوّل نص لعمر أثناء خلافته وآخر نص له وهو هذه الوصيّة، من أجل ملاحظة مدى التحوّل الذي طرأ على الفكر العمري بعد هذه التجربة، وكيف أثرت هذه التجربة على تقنيات التكوين النصي عنده.

ولما كانت هذه الوصيّة مستمدّة من مجموع أفكار عمر ومبادئه التي آمن به وتقنياته التي تمثلها، فقد يكون بحثها كافياً لإعطاء صورة واضحة عن الخطاب العمري في وصاياه، ولذلك فالبحث يقتصر عليها ليس إهمالاً لغيرها، ولكن إيماناً منه بأنّ المقصود بدراسة الوصايا العمريّة هنا هو ملاحظة اختلاف مقوّمات النص عند عمر من جنس نثري إلى آخر ومن مرحلة إلى أخرى، وليس تغيّر أو تطوّر الوصايا عند عمر؛ فالخطاب العمري يكون كلاً متكاملاً وبحثه على ضوء نحو النص لا يدع مجالاً للنظر في كل نص وما يحيط به من دقائق إلا بالقدر الذي يخدم الدراسة، ولذلك يكتفي بهذه الوصيّة مع الإشارة إلى أنّ معالجتها لا تتم إلا بعد الاطلاع على الوصايا العمريّة كافة والنظر فيها.

نحو النص والوصايا العمريّة

الدائرة النصيّة: معالمها ونحو النص:

إنّ لأثر الدائرة النصيّة في تشكيل نحو النص معالم؛ تظهر ما يمتلكه النص من قدرة على تنظيم المكوّنات الداخليّة، واتساق هذه المكوّنات، وانسجامها مع المعارف المحيطة به؛ فيبدو من خلال ذلك أنّ النحو النصي العام جعل "النص يراقب نفسه حتى لا يتبعثر بصفة نهائيّة"(١)، بحيث يتمظهر النص المُنتَج على أنّه مولود لمخاض "نشاطٍ واع خلاق يضم استراتيجيّات معيّنة للحدث واختيار الوسائل المناسبة لتحقيقها؛ ونشاط قصدي؛ دائماً ينجزه متكلم ما، وفق الشروط التي يُنتج في ضوئها نص ما"(٢)، وهذا ما يجعلنا نبحث في الوحدة الخطابيّة – المؤطرة لنحو النص – من حيث "انبثاقها المتآني أو المتعاقب، واختلافها وافتراقها، بل وتناقضها إن اقتضى الحال"(٣) حتى نتحقق من كون النص منسجماً ومتماسكاً من الناحيتين: المظهريّة والدفينة، ونستطيع توظيف فاعليّة التوليف، وانتقاء العناصر الفاعلة من المنهجيّات الملائمة، فتكون محكّاً لاختبار مقولات النقد النصي والنتاجات النقديّة المعاصرة، وإظهار جدواها في إبراز فضاء شمولي تكاملي أشدّ إيغالاً في عمق النص(٤)، واستخراج الأعمال القوليّة المتضمَّنة في الأقوال في حدّ ذاتها – وهي التي سمّيت بالمحتويات القضويّة – ومعرفة القواعد التحضيريّة والجوهريّة ذوات الصلة بمقام التواصل(٥).

وإنّ لتحديد الموضوع المبحوث نصيّاً، وتحديد مكوّناته، وعناصره وأجناسه وأنواعه وأنماطه وشكل العلامات التي يتخذها (لفظيّة أو غير لفظيّة)، وطبيعة الثقافة التي ينتمي إليها، الأثرَ الأوسعَ في معرفة الدلالات التي تنتمي إليه، والقيم التي يحملها، والعلامات اللسانيّة التي يتحقق بها، والوقوف على ما يمكن أن تجسدّه نصيّة النص؛ وإظهار موقعه من القضايا والإشكالات التي يثيرها(٦)، وبلورة تلاقيها، وتضافرها، وتلاؤمها، وتصاحبها، وتشاكلها؛ ممّا

---

(١) مفتاح، **المفاهيم معالم (نحو تأويل واقعي)**، ص١٨٩.
(٢) هانيه مان، فولفجانج، وفيهفيجر ديتر، (٢٠٠٢). النص: إنتاجه وتفسيره. (ترجمة: سعيد بحيري)، **مجلة نوافذ**، ٢٠، ١٨.
(٣) فوكو، ميشال، (١٩٨٧). **حفريات المعرفة**. (ترجمة: سالم يفوت)، ط٢، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٣٥.
(٤) انظر: صالح، بشرى، (٢٠٠١). **نظريّة التلقي (أصول... وتطبيقات)**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٢٧-٢٨.
(٥) انظر: روبول، وموشلار، **التداوليّة اليوم**، ص٣٣-٣٤.
(٦) انظر: يقطين، سعيد، (١٩٩٧). **الكلام والخبر (مقدّمة للسرد العربي)**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٤٩-٥٢.

يجعل من فكرة تنظير النص وتقنين الكتابة أمرين مرفوضين[١]، لا سيّما إذا انطلق هذا النموذج أو المعيار من خلال مُتحَدٍ أحادي اللسان؛ تتواصل إعادة تنظيمه باستمرار، ويحافظ مداره اللساني على مَتحَدٍ خطابي يدين بتماسكه إلى تواتر التفاعل الاجتماعي وكثافته في النص[٢].

وإذا كانت فاعليّة الانسجام النصي تحتاج إلى تَيقظٍ للدقيق من أبعاد النص، وخفاياه، واكتناه أسرار الكلام، وتراتيب الخطاب، يُلبّي طموحات النظريّة، ويتوخّى اعتماد معطياتها في التطبيق، فإنّ إمكانيّة تحققها واقعاً يظل نسبيّاً، ومتعلقاً بمقدرة الباحث على معالجة النص بوصفه الشمولي، ومقدار تأثره بالنص.

ولمّا كانت نظريّات الاتصال تتسع لتشمل الحركات، والإشارات، والأصوات، والرموز، والصور، وكل ما أعطى معنى؛ وتجعل من اللغة أقوى أدوات الاتصال، فإنّها قد عدّت النص حدثاً اتصالياً يُنظر إليه بوصفه وحدةً واحدة، متركّب من جوانب متعدّدة، ممتزج بعضها ببعض، تنصهر فيه متماهية ولا تبدو إلا كلاً موحّداً[٣].

جميع الحقوق محفوظة

فالبحث في الدائرة النصيّة محاولة للوقوف على طبقات العلاقات بين الوحدات النصيّة التي تحكم جميع أنظمة النص المختلفة، بما فيها المضمون الدلالي للوحدات اللسانيّة، ومستوى التحقق اللساني، ونظام العالم النصي الذي يسوس العلاقات النصيّة بما فيها العلاقات المتبادلة بين تراكيب الوحدة النصيّة وطريقة إنشاء المعنى والسلوك النحوي لأجزاء الخطاب[٤].

وبما أنّ العلاقات النصيّة تجمع بين اللغة والعالم، والإحالة اللغويّة إلى العالم الخارجي تتزيّا بزيّ التداوليّة؛ أي العلاقة بين المخاطب وسياق التخاطب[٥]، فإنّ وضع حدود فاصلة بين معالم الدائرة النصيّة يظل أمراً قابلاً للأخذ والرد، لا سيّما إذا كانت المعالجة النصيّة المتكاملة

---

(١) ينظر: مرتاض، عبد الملك، (١٩٩٧). **قراءة النص: بين محدوديّة الاستعمال ولانهائيّة التأويل. سلسلة كتاب الرياض**، ٤٦، ١٠-١٣، وزيما، بيير، (١٩٩٦). **التفكيكيّة: دراسة نقديّة**. (ط١). (تعريب: أسامة الحاج)، بيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ص١١-١٩.

(٢) لا يعني هذا بالضرورة أن يشكّل مجموع المتكلمين في منظومة لسانيّة، أو لون من منظومة، مُتحَداً خطابياً واحداً، كما أن مستويات المتحدات الخطابيّة الإبلاغيّة قد لا تتساوى، إلا أنها تحافظ في ذاتها على قدر من الائتلاف، وتستقل عن غيرها بشيء من الاختلاف. (انظر: غارمادي، جولييت، (١٩٩٠). **اللسانة الاجتماعيّة**. (ط١)، (عرّبه: خليل أحمد خليل)، بيروت: دار الطليعة، ص٤٢-٤٩).

(٣) هانيه من، فولفجانج، وفيهفيجر، ديتر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ص٥٥-٥٨.

(٤) انظر: ديكور – جان، أوزوالد وسشايفر، جان ماري، (٢٠٠٣). **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان**. (ترجمة: منذر عياشي)، ط١، البحرين: منشورات جامعة البحرين، ص٨٢٤-٨٢٤، وبحث: قريرة، **التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي**، ص١٨٥.

(٥) الغانمي، سعيد، (١٩٩٣). **اللغة والخطاب الأدبي**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص١٠٥.

تحتاج لمعايشة النص واقعياً، وهذا ما لا يتوفر في حالتنا هذه، ولكن وجود إطار عام للدراسة يبقى مُسعفاً رافداً لبواعث التبصّر والاستكشاف.

البنية الكليّة للنص:

إنّ البنية الكليّة في الأساس دلاليّة، وهي ترتبط بالجنس النصي والإطار الإنجازي، ولكي نتحدث عنها ينبغي أن نؤكّد على ما يصنع وحدة النص، باعتباره كلاً وليس مجرّد متتالية من الجمل[١]، وهي هنا الغرض العام من هذا النص – الوصيّة – والماثل في الفكرة الرئيسة في النص وهي رسم معالم الطريق لخليفة عمر ووضعه على طريق الجادّة والصواب، وفق ما يرتئيه عمر بعد تجربته الخاصّة في القيام بأمور الخلافة[*].

فالخليفة وإن كان مقيّداً بقيود الشرع، فليس له شريك في ولايته، ولا لغيره ولاية على المسلمين، إلا مستمدّة من مقام الخلافة، وبطريق الوكالة عن الخليفة[٢]، وهذا يجعل منه أهم قضيّة تستوجب النظر والعناية وتشغل بال الناس في دينهم ودنياهم، بمختلف طبقاتهم، ومواطنهم، وحتى أديانهم، ولذلك فلا غرو أن تتبوأ مسلكياته وشخصيّته جميع أركان الخطاب، وأن يتوحّد النص حول ذاته.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

والخلافة إمضاءٌ لأحكام الشرع، يتوقف عليها إظهار الشعائر الدينيّة، وصلاح الرعيّة، وهي محاطة بقوى عسكريّة تحميها، وتنفذ أوامرها – وإن لم تكن ظاهرة الوجود، محسوسة للعامّة، فهي موجودة حتماً، وعليها يستند تنفيذ الأحكام – حتى يستقيم أمر الأمّة، وتنتظم حياتهم، وتستطيع حماية كيانها ومن يعيش في كنفها من الناس؛ ولذلك فلا عجب أن يكون القائم على أمرها محل خوف وإشفاق عليه، وحرص على أن يكون قائماً بشؤونها على وجه الكمال والتمام؛ حتى لا يشقي الناس، وحتى يسعدهم في دنياهم، ويمكّن لهم العمل لآخرتهم؛ وحتى لا يشقى هو في آخرته.

ولو حُقِقَ النظر في النص مرّة أخرى لوجدنا أن بنيته الكليّة تنحو نحوَ الشمول والتفصيل في مختلف الجوانب الحياتيّة، وتنمّ عن معرفة واسعة بهذه الجوانب، ودراية بجزئياتها، وحرص على توثيقها، وجمع المبادئ الرئيسة التي ينبغي على خليفة عمر أن يسير

---

(١) قريرة، **التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي**، ص١٨٣.

(*) "الخلافة: هي حَمْلُ الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخرويّة والدنيويّة الراجعة إليها...، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به". ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، (ت: ٨٠٨هـ). **المقدّمة**. (تحقيق: خليل شحادة)، ط١، دار الفكر، بيروت، ص١٨٩.

(٢) عبد الرازق، علي، (١٩٧٨). **الإسلام وأصول الحكم**. (ط١). (نقد وتعليق: ممدوح حقي)، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص١٥.

عليها؛ وهي تشِف – من جانب آخر – عن طريقة عمر في الحكم، فهي وإن كان المقصود منها إرشاد الخليفة القادم، وتحذيره، وتنبيهه، فإنّها توثق لعمر نفسه ما كان يقوم به ويتمثله آنئذٍ.

فالنص إطار كلي تؤدي جميعُ مقتضياته – اللفظيّة والحاليّة – إلى حرص على أمرين: الأوّل؛ وهو توريث العلم الحاصل بالتجربة، والسير على النهج نفسه، والثاني: تبرئة ذمة عمر من كل ما للرعية من حقوق عليه حتى آخر لحظات حياته.

ولقد ظهر أثر هذه البنية في النظام الكلي لسيرورة النص من خلال خضوعها لبنية الخطاب وتبعيّة حضورها، ويظهر ذلك ليس فقط من خلال الدلالة والعلامات والتشكّل فحسب، وإنّما يشمل عناصر التضامن المشخّصة للنص، بحيث ظهرت منساقة لمخطط خفيّ مجرَّد يحدّد النظام الكلي للنص، ويُجري عليه عمليّة تشفير تضعه في نسق معيّن مكوّن من مجموع كتل الدوال التي يجمعها معاً فعْلُ الخطاب، بعد أن كانت قوى غائبة قد تظهر وتختفي عند إنتاج أي نسق من العلامات[١].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

البنى النصيّة الكبرى:

سبق الذكر أنّ البنية النصيّة الكبرى هي البنية العميقة الدلاليّة والمنطقيّة التي تظهر ملتحمة بشكل يميّزها عن غيرها من سائر مستويات النص؛ وأنّها بنية تجريديّة كامنة تمثل محيطاً ما من النص قد يمتدّ ليشمل النص كله، وقد يتقلص إلى جزء محدود منه، يجمع هذا المحيط منطقاً واحداً يبرزه عمق التماسك بين أجزائه.

ولمّا كان هذا النص موجّهاً إلى شخص غير معيّن، وإنّما إلى صاحب منصب معروف[٢]، وهو منصب الخلافة، فقد كان المتلقي إمّا مجهولاً أو مفترضاً، وفي كلا الحالتين فقد ألزم هذا الوضعُ قائلَ النص أن يجعله مكتوباً – وإن كنا لا نرجح أن يكون قد كتبه بنفسه – ممّا يعني أنّ زمناً إضافيّاً ما ذهب إلى التفكير فيه قبل كتابته وأثناءها وبعدها، وهذا جعل انسياب أفكاره تتوَحّد في بنى نصيّة أكثر انسجاماً وتماسكاً منه لو كان منطوقاً فجأة وبداهة، فجاءت بنيته

---

(١) يمكن تعريف الشفرة بأنها مجموع السنن أو الأعراف التي تخضع لها عمليّة إنتاج أو توصيلها، فهي نسق من العلامات يتحكّم في إنتاج رسائل يتحدّد مدلولها بالرجوع إلى النسق نفسه؛ ولمعرفة أثر التشفير في إنتاج النص وتلقيه، انظر: رافيندران، س. (S. Ravindran)، (٢٠٠٣). **الشفرات الخمس والمعنى في قصة سارازين دراسة (S/Z) وأبعاده**، (ترجمة: خالدة حامد)، مجلة نوافذ، ٢٥، ٨٥-٩٤، والغذامي، عبد الله محمد، (١٩٩١). **الخطيئة والتكفير**. (ط٢)، دون مكان نشر، ص٦٥-٦٦.

(٢) عندما وجّه عمر هذا النص لم يكن قد حدّد متلقيه بالاسم، وإن كان يعرف أنه أحد ستة، وإنما وجهه إلى مَن يتحمّل أعباء الخلافة كائناً مَن كان ذلك الرجل.

اللغويّة المكوّنة للبنية النصيّة مضغوطة[١]، وغابت المقدّمة التمهيديّة المتبعة في النص، والتي تكون حمداً وثناءً لله وصلاة وتسليماً على النبي (ﷺ)[٢].

وقد توزّعت البنى الكبرى – التي حدّدت الترتيب الكلي لأجزائه، وحكمت نظامه العام، على النحو التالي:

البنية الأولى: وهي وصيّته بتقوى الله والحرص عليه حرصاً شديداً، لأنّه القوّة الوحيدة التي يمكن لها أن تحول بين الحاكم وبين ظلم الناس، وعدم تطبيق أحكام الناس؛ ولذلك نجد عمر أفردها وحيدة موجزة تكفي عن الإطناب والتفصيل، بحيث لو لم يكن إلا هي لتضمّنت ما سواها من البنى، ولكن الاكتفاء بها – مع أنّه كافٍ – يحرم الموَصَّى – خليفة عمر – من ثمرات تجربة عمر وخبراته في الحكم، ويترك لذاك الخليفة عبء الاجتهاد في تحصيل المعرفة اللازمة لكل فئة من الفئات التي صنّفها عمر، وبذلك تمثل هذه البنية ما يمكن أن نطلق عليه البنية الدينيّة.

جميع الحقوق محفوظة

البنية الثانية: وهي بنية الإرشاد والتوعية، وقد تمثلت في تصنيف الناس، وذكر ما يناسب كل صنف، وما له وما عليه؛ تصنيفاً تراتبياً بحسب قربهم من الدين الذي تمّ تمثيله في البنية الأولى (تقوى الله لا شريك له)؛ فابتدأ في هذه البنية بالمهاجرين، أوّل مَن آمن بالدين ونصره ومهّد لإقامة هذه الدولة التي سيكون خلفيته رأسَها؛ وثنّى بالأنصار الذين نصروا الدين وأقاموا الدولة؛ وأردف بأهل الأمصار الذين يمثلون خطوط الدفاع الأولى والقوّة الاقتصاديّة للمسلمين، وأتبعهم بأهل البادية الذين يُعدّون أصل العرب؛ وختم بأهل الذمة كجزء من الدولة الإسلاميّة بعد أن دانوا لها، ورضوا بحكمها.

وإعادة النظر في هذه البنية توضّح مدى اهتمام عمر بالناحية الاجتماعيّة العامّة لمن هم تحت حكم المسلمين وسلطانهم، وتكشف عن سبر غور عمر لطبائع المكوّنات الاجتماعيّة، وارتباط هذه الطبائع باستقرار الناس وإنصافهم، إذ يتم التعامل مع كل فئة بحسب ما تستحق وما يلائمها.

---

(١) للمزيد حول استراتيجيّات النص المكتوب والمنطوق يُراجع: العبد، محمد، (١٩٩٠). **اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة "بحث في النظريّة"**. (ط١). القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع؛ وبحث: الوعر، مازن، (١٩٩٠). تقنيات الفك والربط في الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب، **مجلة المعرفة**، السنة (٢٩)، العددان (٣٢٤-٣٢٥)، ص١٦٣.

(٢) نرجح أن عمر قد مهّد بحمد الله والصلاة على نبيه ولو شيئاً بسيطاً، ولكن إهمالها جاء من قِبل الرواة، حيث رأوا أنها لم تكن مقصودة لذاتها، وعاملوها معاملة الزيادة التي لا يضر غيابها شيئاً من حيث المضمون، ولكن سنتعامل مع النص كما هو دون افتراضها، إذ إنها لا تؤثر في مسار النص المكتوب تلقياً كما تؤثر في متلقي النص المنطوق، إذ تهيئه نفسياً عند التلقي المباشر.

البنية الثالثة: وهي بنية وعظيّة تحذيريّة، عاد فيها عمر إلى خليفته واعظاً له، ومحذراً من غضب الله وعقابه، وتمثلت في "وأوصيك بتقوى الله، وشدّة الحذر منه، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة، وأوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله".

البنية الرابعة: بنية العدل، ومثلت هذه البنية البنية المركزيّة من بين البنى النصيّة الكبرى، إذ جاءت مركزاً للنص واحتلت المكان الأوسع فيه، وتمّ التفصيل فيها مع الإعادة والتكرار نظراً لأهميّتها؛ فبرزت عمادَ البنى النصيّة الأخرى، وعمودَها الفقري الذي لا يستقيم الجسم إلا به، وكأنّها نواة نصيّة يلتقي فيها أوّل النص بآخره، وتتجمّع حولها بنيات النص الأخرى، فتتضخم هذه النواة، ويظهر عليها طبقات ملونة بألوان متقاربة متآلفة منسجمة تشكّل في مجموعها النص الكلي، وتؤدّي وظيفته الإخباريّة في عمليّة الاتصال التي تجمع النظام اللغوي، وجاءت هذه البنية النواة في مراحل عدّة:

المرحلة الأولى: التوصية بالعدل، والتعريف بالسبل المؤدية إليه.

المرحلة الثانية: التعريف بالسبل المؤدية إليه، والسبيل التي يؤدّي بالخليفة إليها.

المرحلة الثالثة: الأمر بالعدل لله وبين الناس (الاشتداد في أمر الله وحدوده إنصاف لله، وتطبيقها بقدر متساوٍ على الناس عدل بين الناس).

المرحلة الرابعة: الحض على إنصاف النفس (نفس الخليفة) والتحذير من ظلمها بظلم الناس.

المرحلة الخامسة: التوصية بعدم إباحة ظلم أهل الذمة.

وقد مثّل العدلُ القاسمَ المشترك والرابط بين المراحل الخمس، وجمعت بين هذه المراحل خصائص اتصاليّة جعلت كلاً منها تتعلق بالأخرى بتماسك منطقي وانسجام دلالي، فوُسِمَت هذه البنيةُ بالاستمراريّة التراتبيّة والترابط بين البنى الأدائيّة والبنى المضمونيّة.

البنية الخامسة: بنية الوعظ بين الاستكمال والاستدراك.

وفي هذه البنية نجد أنّ الخطاب قد تحوّل عن خطاب الوصيّة المباشرة إلى خطاب الوعظ التذكيري، والإرشاد التحذيري، بحيث امتازت هذه البنية عن غيرها بأن عمر أقرّ فيها أن لا سلطان له على خليفته، وإنّما جاءت هذه الوصية استحقاقاً عليه للذي بعده بمقتضى استكمال الدّين الذي هو النصيحة، وقد صرّح بذلك في الجزء الأوّل من هذه البنية.. (ونصحت لك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة).

وأخذ بعد ذلك يقنع خليفته بأنّه أخلص له النصيحة، ووضعه مقام نفسه وولده، وهما ممّا لا يشك في إخلاص النصيحة لهما، ثمّ عاود الترغيب وأردفه بالترهيب، وأتبعهما بالاستعطاف.

أمّا الترغيب والترهيب فكانا يضمّان مجمل ما جاء في البنى النصيّة الأخرى، وأمّا الاستعطاف فقد خصَّ عمر به الجانب المتعلق بأركان الدولة وحماة الدين، وهم المسلمون؛ ولم يكن الاستعطاف إلا أبعد مراحل الطلب، وآخر أسلوب يستخدم للتأثير في المخاطب، وأخذه على ما ورد في الخطاب.

وبذلك يكون عمر قد استكمل كل الوسائل التي توصّل خليفته إلى السير على طريقته في الحكم كما وردت في البنى لأربع الأولى، واستدرك فيها ما قد يشك أنّه غاب عنه تفصيله في البنى الأخرى، ومن ثمَّ جعل هذه البنية تتضمّن بعض ما جاء في البنى الأخرى.

البنية السادسة: بنية الختام وإبراء الذمة.

وفي هذه البنية ختم عمر النص، واستكفى بما جاء فيه، إذ شعر أنّه كاف لمَن أراد السير عليه، وكافٍ لمحاججة خليفته به أمام الله، وتبرئة ساحة عمر أمام الله وأمام الناس، وقد امتازت هذه البنية بأنّها كسرت سيرورة الخطاب،وأوقفت جريان النص.

إنّ تحديد أشكال التماسك الكلي منحى لغوي ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه المعالج النصي على النص، والذي يختلف باختلاف درجات كفاءته؛ وتحديده للبنى الكبرى يكون تبعاً لذلك متعلقاً به وبمعارفه واهتماماته، وقدرته على الربط بين المقام والمقال، والقرائن والعلاقات التي تمكّنه من شرح كيفيّة قيام النص بوظائفه، وتوزّع البنى والوحدات الجزئيّة فيه.

وفي ضوء هذا فإنّ رؤيتنا لتوزيع البنى النصيّة الكبرى ناتجة عن افتراض التوازن الذي يفرضه النحو الكامن في أي نص بين مستويات النص المتعدّدة، من مستويات داخليّة وخارجيّة؛ إذ نفترض أن ثمّة توازناً ما يربط بين بنية النص الكليّة وبنية العالم الذي أنتج النص، وأن ثمّة علاقة بين تكوّن النص وشكله ومعناه، وتلك العلاقات الداخليّة، والمعاني الإحاليّة للنص.

فالأبنية الكبرى التي افترضنا أنّها محكومة بنحو النص ونظامه المفترض تمكّننا من التعرّف على أبنية أخرى محدّدة هي الأبنية الصغرى، وهذا بدوره يقودنا إلى تحديد النظام الداخلي والترتيب الكلي لأجزاء النص، ووصف علاقاته الداخليّة والخارجيّة وشرح مظاهرها المتعدّدة.

أمّا كيفيّة تحكّم نحو النص بالبنى النصيّة الكبرى في النص الذي بين أيدينا فيمكن تبيانها من خلال العلاقات الدلاليّة القائمة بين الأفكار والتصوّرات الوحدويّة المبثوثة في النص بشكل عام والبنى الكبرى بشكل خاص.

فالفكرة العامّة في النص هي إعطاء تصوّر ما من عمر حول الطريقة التي ينبغي أن يساس بها الناس، وبناءً على هذه الفكرة فقد توزّع شمولها على هيئة وقفات مع هذا التصوّر الشامل، فأخذ يوزّع في كل وقفة الأسس التي اعتمد عليها في تعامله مع كل منطلق ينطلق منه.

فجاءت وقفته الأولى مع المعيار الذي انطلق منه، ويريد لخليفته أن ينطلق منه، وهو تقوى الله، ثمّ انتقل إلى رؤية اجتماعيّة شموليّة، عدّد فيها تفاصيل هذه الرؤية ودوافعها، فوجد نفسه مدفوعاً إلى ربط هذه الرؤية بعلاقة خليفته أوّلاً مع الله، فتحوّل من ذلك إلى النموذج الموضوعي الذي يؤدّي إلى إرضاء الله، وهو العدل بين الناس، ورأى أنّ هذا النموذج لا يسهل على النفس إلا إذا قادها ترغيب وساقها ترهيب، فلما استمكن من انقياد النفس لذلك رجع للتوكيد مرّة أخرى، وختم بذلك النص.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

البنى النصيّة الصغرى:

ذكرنا أنّ البنية الكليّة للنص، وتوزيع البنى النصيّة الكبرى مرتبط بالموضوع الكلي، ومن ثمّ تعدُّد هذه الأبنية وتدرّجها في النص، وأنّها تتماسك كلياً بتصوّرات وعلاقات دلاليّة محققة انسجاماً قضوياً عامّاً.

وعلاقة كل بنية بما تسبقها وبما تليها، تشكّل في النص تماسكاً ذا طبيعة تركيبيّة دلاليّة يصل في ما بين البنى النصيّة الصغرى المكوّنة للبنى الكبرى ضمن السياق الكبير (Macro Context) للنص ذي العلاقات الترابطيّة فيما بين المكوّنات المتتابعة[١]، إذ إنّ محتويات النص المعرفيّة يخضعها تنظيم يفرضه التقاء الوحدات الدلاليّة والترتيب المنطقي الذي يحدّد نقاط الوصل بين وحدات النص المعرفيّة[٢].

---

(١) يُنظر حول السياق الكبير (Macro Context)، والسياق الصغير (Micro Context)، المسدي، عبد السلام، (١٩٨٢). **الأسلوبيّة والأسلوب**. (ط٢). تونس: الدار العربيّة للكتاب، ص١٧٥.

(٢) انظر: نيوبرت، ألبرت وغريغوري، شريف، (٢٠٠٢). **الترجمة وعلوم النص**. (ترجمة: محيي الدين حميدي)، ط١، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود، ص١٢٦، حيث يبيّن أن صفة البنية الترابطيّة سمة مشتركة لها وجود لغوي في النص.

ومن الضروري أنّ نميّز بين التنظيم المتأصل في النص والتنظيم الذي نتصوّره من جهتي العناصر التي تكوّن النص؛ والعالم المحيط بالنص[١]، فالوظيفة التواصليّة تتميّز عن الوظيفة الدلاليّة بالقصديّة التي تأخذ بعين الاعتبار العلامات العُرفيّة المتواضع عليها بين الناس[٢]، وتقلل من شأن "الفكرة التوليديّة التي يتخذها النص لنفسه"[٣].

فالتنظيم المتأصل في النص يعدّ فنّاً نسقيّاً تنمو قواعده البنائيّة بالنسبة لمختلف أنماط الخطاب بالقدر الذي تكون فيه الحجج المرسلة في ذلك النمط مرتبة في وعي بيئة الإنتاج النصي، فيصبح – عند ارتفاع هذا الوعي – التنظيم طبيعيّاً مناسباً لإثبات الفرضيّات وموافقاً للظروف الموضوعيّة المحققة للتأثير الذي أراده الناصّ[٤].

واتجاه عمر نحو استثمار التنظيم الاجتماعي في النص – الوصيّة – يبدو من خلال استعمال جملة من الأعراف المستقرة في ذهن الوعي الجماعي للمجتمع الإسلامي، ومن ضمنه الخليفة المتجه نحوه بالوصيّة، وهذا بدوره يجعل الترتيب الموجود في النص طبيعيّاً غير قابل للتغيير والتبديل، فهو يرى أنّ بهذا النموذج يمكن الحفاظ على الوحدة الداخليّة للجماعة والتصدّي للمخاطر الخارجيّة أو المحتملة، ودحض فكرة النواة المركزيّة المبنيّة على اعتقاد انفعالي في قدرات شخص ما بسبب قداسته أو جاذبيّته أو ميّزاته المثاليّة[٥]، ولو تمّ اختياره خليفة.

وعند تفكيك الوحدات الإدماجيّة التي شكّلت هذا النموذج ينتج لدينا البنى النصيّة التالية:

١- "أوصيك بتقوى الله لا شريك له".

يأخذ الارتباط النصي اللغوي مسارَ إعادة الشكلنة النصيّة عبر مرحلتي الهدم والبناء من أجل تأكيد الفهم وتوثيقه، وتمثل الوحدات التي تمثل كل بنية نصيّة صغرى وحدة توزيعيّة أساسيّة في البرنامج النصي السردي ككل، ولذلك فإنّ الوحدة التركيبيّة "أوصيك بتقوى الله لا شريك له" وحدة أساسيّة لا يمكن إسقاطها منه، باعتبارها تعكس مرجعيّة المتكلم المتعلقة في سلطويّة الأنا (أوصيك "أنا") على ضمير المخاطب (الكاف)، وتمهّد نفسيّاً وهي تأتي تقديماً لبنى

---

(١) انظر: كولنج، ن. ي.، (١٤٢١هـ). **الموسوعة اللغويّة**. (ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان)، ط١، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود، مج١، ص٢١٣-٢١٦.

(٢) إبراهيم، عبد الله والغانمي، سعيد وعلي، عوّاد، (١٩٩٠). **معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج النقديّة الحديثة)**. (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٨٥.

(٣) بارت، **لذة النص**، ص١٠٩.

(٤) انظر: بليت، **البلاغة والأسلوبيّة**، ص٤٤-٤٥.

(٥) انظر: العيادي، **ميشال فوكو: المعرفة والسلطة**، ص٤٥.

نصيّة لاحقة تترتب على البنية الأولى، وتحمل السمات التوزيعيّة نفسها التي تتعدّى وحداتها إلى الفعل والحدث.

وتعدُّ هذه الوحدة التوزيعيّة عنصراً جوهريّاً يؤدّي إسقاطه إلى اختلال المعنى وحدوث ثلمةٍ في بناء النحو النصي؛ ولو صُوِّر لنا أنّ الوصيّة جاءت دون هذه البنية، وبدأت بالتقسيم مباشرة لكان الإحساس عميقاً بأنّ ثمّة شرخ في المحور التراتبي الخاضع للانسجام والمتعلق بطبيعة البنية الثقافيّة المنتجة للخطاب، إذ يستجيب هذا الخطاب لها، ويتماشى مع مفاهيم الدين وملفوظاته، حيث تشكّل ملفوظات هذه البنية (تقوى الله) و(لا شريك له) تابعاً مفروضاً عليه ما عُهد من الألفاظ في معتقدات الدين ومجرياته في الاستعمال.

فتستمد هذه البنية حضورها من الخطاب الديني السائد في البنية الثقافيّة آنئذٍ، من أجل أن تحقق انسجاماً بينها وبين المحتوى الفكري اللاحق، وتجسّد تلك المعاني الذهنيّة التي يُراد التعبير عنها، لتأتي متآلفة متجانسة، تدعو الواحدة الأخرى وتبيِّن حسن توزيع القائل لها.

ومن اللافت للنظر أنّ هذه البنية جاءت فاتحة لمجموعة متكاملة من الجمل الفعليّة التي تلف البنى النصيّة من أوّلها إلى آخرها؛ ودلت على الحدث والحركة والفاعليّة؛ وطالبت بمواقف تستجيب لها وتتوافق معها؛ وفتحت باباً من النمطيّة التركيبيّة والمعجميّة لهذا النص؛ وأضفت عليه خصوصيّة بنيويّة وأسلوبيّة تتجه اتجاهاً دلالياً، تكشف عن المضمون الإبلاغي للعلامات اللغويّة الماثلة في النص بوصفه جنساً خاصّاً من النثر هو الوصيّة.

فشكّلت هذه البنية فرشاً تمهيديّاً لسائر النص جعل باقيه محكوماً بنحو نصي عام؛ تخضع اختيارات هذا النحو للنظام الخطابي الخاص – وصيّة عمر لخليفته – وما يقتضيه من ترتيب منطقي للأفعال ووظائفها من أجل تقوية المعنى وإرساليّته؛ ومن هذه الوظائف: الوظيفة المرجعيّة المتمركزة حول السياق؛ والوظيفة العقلانيّة المتمركزة حول عمر؛ والوظيفة الإفهاميّة المتمركزة حول خليفته؛ والوظيفة الانتباهيّة المحافظة على التواصل بين القائل والمتلقي[١].

٢- "وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً؛ أن تعرف لهم سابقتهم".

النص وحدة ديناميكيّة وعلامة ثمرتها تقطفُ من بناء فعل الاتصال؛ ووصف الاستراتيجيّات المعتمدة في بنائه يُعينُ على حسن تلقيه، ومعرفة القيود التي أحاطت بتكوينه؛ وظهرت آثارها في توزيع البنى النصيّة؛ فيظهر النص تبعاً لها – ولقواعد الخطاب – منسجماً أو غير منسجم.

---

(١) ينظر: تحريشي، محمد، (٢٠٠٠). **أدوات النص**. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص٢٨.

فاستراتيجيّة بناء النص التي اعتمدها عمر سعت لاستثمار التنظيم الاجتماعي المتأصل في البنية الثقافيّة انطلاقاً من مراحل تكوين المجتمع الإسلامي، ولذلك نجده بعد أن وضَّح مُنطلقَه في هذه الاستراتيجيّة – وهو (تقوى الله) الوارد في البنية الأولى – وضع هذا التنظيم موضع التنفيذ، فأخذ يأتي على أركانه ركناً تلو آخر، ويفصّل لبنات كل واحد لبنة لبنة.

فالخطاب الكلي مركّب له بنية مخصوصة مكوّنة من وحدات أدنى منه، وهذه البنية لا تختزل في الوحدات التي تكوّنها، ذلك أنّ هذه الأخيرة تنسجم في ما بينها وتشكّل معاً ذلك الخطاب.

فجاء الركن الأوّل (المهاجرون) ممثلاً في هذه البنية النصيّة التي جاءت مؤسسة على البنية الأولى ومتصلة بها اتصالاً وثيقاً، ومنسجمة معها انسجاماً خطابياً؛ فالمهاجرون أوّل مَن آمن بالدين وأوّل الناس مكابدةً حتى قامت الدولة، وكون هذا الركن أوَّل مَن وصّى بهم عمر خليفته ينسجم مع المنطق الديني الوارد في البنية الأولى، يتطابق مع العلة المصرَّح بها في قوله (أن تعرف لهم سابقتهم). ويمكن تقسيم هذه البنية إلى الوحدات اللغويّة التالية:

مركز ايداع الرسائل الجامعية

١- أوصيك.

٢- بالمهاجرين الأولين.

٣- خيراً.

٤- أن تعرف لهم سابقتهم.

وحوت الوحدة الأولى تحاوراً لفظياً يمثل المتكلم (فعل الأمر أوصي) وكاف المخاطب، يربط بينهما الفعل الطلبي، فقارب التركيب دلالته، وسار على النمطيّة اللغويّة والمعجميّة الواردة في البنية الأولى، فأسهم هذا الإتباع في تقوية القدرة الإيحائيّة، وزاد في أبعاد الخطاب التواصليّة من خلال التكرار المجسّم في هذه البنية.

أمّا الوحدة الثانية فتتماشى والنسق الوارد في البنية الأولى، ذلك أنّ الخواص التركيبيّة الواردة في البنية الأولى اقتضت أداة لغويّة (الباء) بعد الوحدة الأولى (أوصيك) وكذا الحال في هذه البنية، وفي هذا انسياق تلاؤمي للبنى العميقة وراء البنى السطحيّة المتمظهرة فونولوجياً ودلالياً مع السياق الكلي الداخلي للنص، لأنّ البنية اللغويّة وبنية الموضوع متصلان ومرتبطان في جميع البنى النصيّة ولا يمكن فصلهما إلا تعسفاً.

والوحدة الثالثة (خيراً) تعضد الوحدتين السابقتين وتصل بينهما، وتزيد من المقوّمات الدلاليّة التي أتت بها الوصيّة، فالمعروف أنّ الوصية لا تكون – غالباً – إلا بالخير، والمجيء بـــ(خيراً) إنّما جاء توكيداً لمعناها وزيادة في دلالته تحديداً أو تمييزاً.

وجاءت الوحدة الأخيرة (أن تعرف لهم سابقتهم) بداية للابتعاد عن المعلومات المضغوطة في البنى النصيّة الصغرى، واستبدالاً لهذا الأسلوب بشحذ كل بنية صغرى بمعلومات أكثر تبصُّراً وتفصيلاً، فبيّنت ما سوّغ مجيئها في الترتيب الأوّل، وشكّلت عنصراً انسجاميّاً آخر ناتجاً عن التلاقي بين زمن التلفظ السردي داخل البنى النصيّة والزمن المرجعي الذي ضبطت في ضوئه العلاقات الترتيبيّة بين المضامين المشكّلة لهذه البنى.

إنّ هذه البنية في كليّتها درجة في سلم النسيج الحكائي النصي في التسلسل الفعلي لتنامي الأحداث التي تتجمّع حول بؤرة القضايا المطروحة في الوصيّة.

٣- "وأوصيك بالأنصار خيراً؛ فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم".

تمثل هذه البنية الركن الثاني المؤسَّس على البنية الأولى، إذ تتصل بها وتنسجم مع ذلك الأساس، وتلتحم بالبنية الثانية التحاماً، إذ كل منهما يقترن بالآخر ويذكر معه في كل السياقات التي يذكر فيها تأسس الدولة الإسلاميّة وإرساء دعائم الدين، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان**﴾[١].

وفي هذا استجابة من عمر مع ملفوظات القرآن ودعوة صريحة أخرى لخليفته بالاستجابة لذلك والانضواء تحت مرجعيّتها؛ والمحافظة على سيرورتها في المعاملة، وأن يعكس حضورهما وتواجدهما مقترنين في شبكة الممارسات السياسيّة والاجتماعيّة.

والاستجابة تعمّق الانسجام بين عالم الخطاب والمكوّنات الداخليّة للنص الناتج عن هذا العالم، وتزيد من قوّة السبك البَيْنيّة بين هذه المكوّنات[٢].

---

(١) سورة التوبة، من آية (١٠٠).

(٢) إن تنظيم هؤلاء الأركان وفقاً لسابقهم في الإسلام ربط بسيرة النبي (ﷺ) وبناء الدولة، ويلحظ أن هذا المعيار ظل منهجاً لمؤلفي التراجم العربيّة الذين ترجموا للصحابة والتابعين، فحافظوا على تقديم المهاجرين على الأنصار وتقديم الأنصار على غيرهم، (انظر حديث ابن سعد في طبقاته حول "بدر" و"أحد")، وقد قال بعض المحدَثين عن الاحتكام إلى معيار أساسه القبيلة والمكان: إنّه معياراً أساسه القبيلة والمكان"، وقال: "ومن الطريف أن معيار القبيلة هو الآخر كانت له أهميّة كبيرة، ففي تراجم الصحابة يأتي المهاجرون قبل الأنصار". (بحث: القاضي، وداد، (٢٠٠٣). **معاجم التراجم: تنظيمها الداخلي وأهميّتها الثقافيّة**، في: جورج عطيّة (محرر)، **الكتاب في العالم الإسلامي**. (ط١). (ترجمة: عبد الستار الحلوجي). الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ٢٩٧، ٨٧، و٩٠ على الترتيب).

غير أنّ هذه البنية تمتاز من سابقتها في كونها زادت في تحديد الدلالة العامّة للوصيّة ووضعت قيوداً حول الممارسة الفعليّة لهذه الوصاية، إذ بينما كانت البنية السابقة تعتمد في تحديدها على التذكير والتلميح، واكتفت بمعرفة المتلقي لسابقة المهاجرين، وتركت له حريّة التصرّف وفق ذلك الفهم، عَمَدَت هذه البنية للتصريح بالرؤية، وحدّدت نهجاً واحداً في التعامل مع الأنصار، وهو القبول من المحسن والتجاوز عن المسيء، ولم تترك له حريّة الفهم أو التصرّف؛ بل باشرته بفعلي الأمر (اقبل) و(وتجاوز) مشفوعين بالفاء التي تطوي الأحداث، وتدل على المسارعة في القبول من محسن الأنصار، والواو التي عطفت التجاوز على القبول؛ فهو بهذه الفاء يحسم المسألة ويلزم خليفته برؤيته.

٤- "وأوصيك بأهل الأمصار خيراً؛ فإنّهم ردء الإسلام، وجباة الأموال والفيء، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم".

تشكّل هذه البنية الركن الثالث المؤسَّس على البنية الأولى، وحلقة وصل في سلسلة البنى التي تشكّل النص؛ وهي سلسلة أوسع من سابقاتها، إذ ضمّت محمولات موضوعيّة ودلاليّة عديدة ومتنوّعة، فهي تعبّر عن مجموعات كبيرة من الناس ولم تختص بفئة يمكن تعيينها.

وقد شكّل هذه البنية ثلاثة أجزاء:

الأوّل: وأوصيك بأهل الأمصار خيراً.

الثاني: فإنّهم ردء الإسلام وجباة الأموال والفيء.

الثالث: لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم.

أمّا الجزء الأوّل فقد شاكل ما قبله من حيث الاستهلال والصياغة والمحمولات، وحافظ على التكافؤ الماثل بين البنى النصيّة المتعاقبة، ولكنّه اختلف بعموميّة من شملهم، فأهل الأمصار ليسوا مجموعة من الناس تحديدهم أو الوقوف على عددهم – بخلاف المهاجرين والأنصار – وإنّما تشمل كل الذين يسكنون خارج المدينة من الحضر.

وجاء الجزء الثاني جديداً في البنى النصيّة ومنسجماً مع الجزء الأوّل الذي بُني عليه، ولمّا كان الجزء الأوّل جزءاً عامّاً احتاج إلى معرفة وتحريض على أهميّته، فجيء بالجزء الثاني الذي أشار إلى أهميّة الركن الثالث (أهل الأمصار) العسكريّة والاقتصاديّة، فهؤلاء هم الغطاء الذي يحمي الإسلام، وهم المصدر التمويلي للدولة، وبذلك فإنّهم يمثلون أهم أساسين من أسس السلطة وهما القوّة العسكريّة والقوّة الماديّة.

وتتراتب الأجزاء تراتباً متنامياً تتضح أدراجه عندما يستمر تعالق الجزء الثالث بالثاني، فلمّا كان أهل الأمصار القوّة العسكريّة والماديّة التي تحمي المسلمين وترابط في ثغورهم، فإنّهم بحاجة إلى محافظة على بقائهم كذلك، ولذلك فلا بدّ أن يكون ما يؤخذ منهم من مال عن طيب خاطر، وعن رضى منهم، وألا تثقل كواهلهم بالأعباء الماديّة التي تشغلهم عن حماية المسلمين، فكان توجيه أمر مباشر للخليفة بذلك منسجماً مع طبيعتهم ومحذراً من تناسي ذلك طمعاً في المال الذي يأتي منهم.

٥- "وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنّهم أهل العرب، ومادّة الإسلام: أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم".

إنّ هذه البنية تشاكل التي سبقتها في:

١- اشتمالها على ثلاثة أجزاء: جزء أساسي توزيعي، وجزء تعريفي، وجزء تصريفي.

٢- أنّها عبرت عن الركن الرابع بتعبير إضافي عام (أهل البادية).

٣- عرّفت بهذا الركن ونبهت على أهميّته.

٤- راعت حالتهم الاجتماعيّة والنفسيّة وطبيعة حياتهم.

٥- مثلت حلقة وصل مكافئه للحلقات الأخرى.

وامتازت من سابقها في:

١- أنّها أشارت إلى مطمح قومي وربطت بينه وبين الدين (أساس الدولة وكيانها).

٢- وضَّحت أنّ التدخّل في شؤونهم لا يهدف إلا لإقامة العدل – ولا سيّما الاجتماعي – فيما بينهم؛ فالوصيّة كانت تركّز على مباشرة هذا التدخّل، وجاءت تركيبتها متصلة بذلك أشد الاتصال، بخلاف سابقتها التي قطع ما بين الوصيّة والجزء التعريفي؛ ولو نظرنا لتركيبة سابقتها لوجدنا أنّ الجزء التعريض حال بين الجزء الأساسي والتعريفي قال: أوصيك.. (فإنّهم ردء...)، لا تحمل فيئهم.

بينما في هذه البينة لم يَحُلْ بينهما شيء – وإنّ جاء الجزء التعريفي معترضاً – وإنّما جاءت الوصيّة بأخذ الأموال من أغنيائهم وإعادة توزيعها على فقرائهم مباشراً متصلاً، والذي وثق عُرى هذا الاتصال هو المجيء بالمصدر المؤول على هذا الشكل:

أوصيك... (فإنّهم أصل العرب) أن تأخذ...

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فكأن الوصاية في السابقة انقطعت بـــ(خيراً) أمّا في هذه البنية فإنّها لم تنقطع وإنّما جاءت تفصيلاً لـــ(خيراً).

ولو قلنا في السابقة: (أوصيك، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم) لوجدنا أنّ (أوصيك) منقطعة عن (لا تحمل...)، وهي مقصودة لذاتها.

بينما لو قلنا في هذه: "أوصيك أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم..." لوجدنا أنّها متصلة بـــ(أن تأخذ...)؛ و(وأن تأخذ من...) جزء أساسي من (أوصيك).

وهي – هذه البنية – تشبه في هذا البنية الثانية المتعلقة بالمهاجرين.

فهذه البنية تتصل بسابقتها كونها حلقة ضمن سلسلة من المتوالية النصيّة ومكافئة لسابقتها ولاحقتها، وهي متماسكة في عناصر الربط الرصفي الداخلة في تكوينها.

٦- "وأوصيك بأهل الذمة خيراً: أن تقاتل من ورائهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم؛ إذا أدّوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً، أو عن يدوهم صاغرون".

إنّ هذه البنية هي الركن الخامس والأخير ممّا أسس على البنية الأولى، وبذلك فإنّها تختم تقسيمات التنظيم الاجتماعي المتأصل في البنية الثقافيّة للدولة الإسلاميّة، ولكن وضعها ضمن مجمل الأركان الموصى لهم جاء مشروطاً بالمسمّى المتعارف عليه.

فأهل الذمة من اليهود والنصارى ركن من أركان الدولة ما داموا يرغبون في ولائهم لها أو قهروا فجُبروا على الرضى بهذا الولاء، وأمارة هذا الرضى أو القهر هو تأديتهم للجزية، فإذا أدّوها فلهم الحماية وألا يجبروا على شيء فوق طاقتهم.

وحرصت هذه البنية على أن تكون بياناً للخير الذي يُراد بأهل الذمة، فوضحته وفصلته واشترطت لبقائه فيهم؛ ويظهر هذا من خلال المصدر المؤول في البيان، وأداة الشرط في الإقرار بسيادة الدولة.

ولقد جاءت هذه البنية منسجمة مع سابقاتها ومتصلة بها، ومحافظة على النسق الخطابي الماثل فيها، بحيث يمكن تمثيل الاتصال فيما بينها بالشكل التالي:

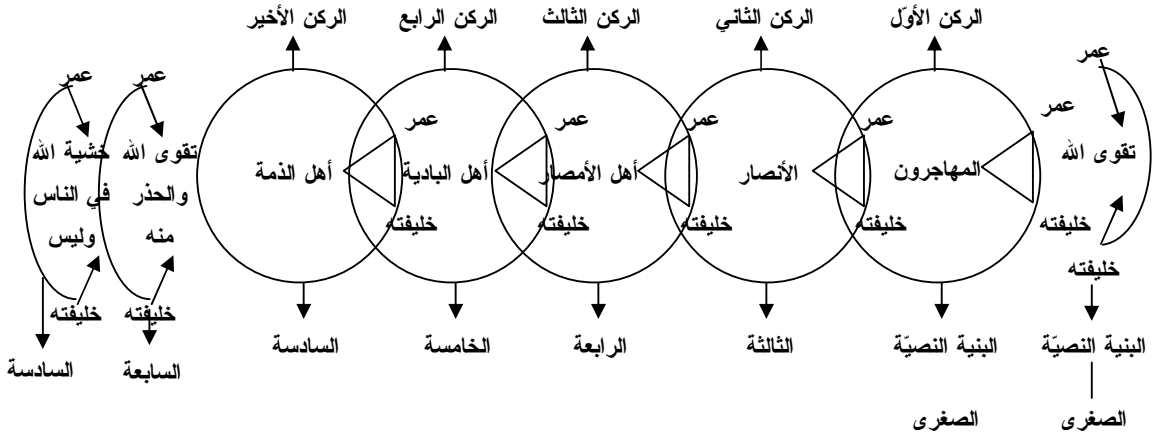

٧- "وأوصيك بتقوى الله، وشدّة الحذر منه، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة".

يقول أبو هلال العسكري: "واعلم أنّ المعاني التي تنشأ فيها الكتب من الأمر والنهي سبيلها أن تؤكّد غاية التوكيد..."(١)، وهذا ما يفسِّر لنا إعادة هذه البنية بنية جديدة؛ فهذا النص ملؤه الأمر والنهي والتوضيح، وهذا يحتاج – بالإضافة إلى التوكيد – إلى دوافع نفسيّة، وبواعث إيمانيّة؛ فتقوى الله والحذر والخوف منه تأخذ المرء على أن يلتزم بما أمر ويمتثل لتعاليم دينه، وطالما أنّ الأساس الذي وُزِّعت عليه البنى النصيّة ديني فإنّ التذكير بهذا الأساس بين حين وآخر يقوّي التماسك الكلي للخطاب، ويربط البنى النصيّة بعضها ببعض، وهذا ما قامت به هذه البنية والبنية اللاحقة.

٨- "وأوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله".

هذه البنية وحدة لغويّة توزيعيّة تبيّن كيف يكون تقوى الله، وهي في الوقت ذاته منتقاة بما يوافق البنية التي تليها؛ فتهيءُ لتلقيها، وتقوم بدور حلقة تسلسليّة وظيفيّة محفزة لتطوّر الخطاب وامتداده، فخشية الله في الناس تقتضي أن يأخذ كل واحد حقه، وعدم المبالاة بأحد من الناس توجب أن يكون العدل والبُعد عن الظلم بين الناس.

٩- "وأوصيك بالعدل في الرعيّة، والتفرّع لحوائجهم، وثغورهم، ولا تؤثر غنيَّهم على فقيرهم؛ فإنّ ذلك – بإذن الله – سلامة لقلبك، وحط لوزرك، وخير في عاقبة أمرك، حتى تفضي من ذلك إلى سريرتك ويحول بينك وبين قلبك".

---

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (ت: ٣٩٥هـ). **كتاب الصناعتين: الكتاب والشعر**. (ط١). (تحقيق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢، ص١٦١-١٦٢.

إنّ هذه البنية تمثل البنية المركزيّة في مجموع البنى النصيّة الصغرى، وهي الأكثر قراراً وتوزيعاً في البرنامج النصي السردي الكلي، وتعدّ نقطة الارتكاز الأوسع أثراً في النص، فقد عادت وأجملت وظيفة الخليفة هدفاً وكيفيّة، فالهدف هو إقامة العدل بين الناس؛ والكيفيّة هي التفرّغ لهذه الوظيفة، وعدم التمييز بين أفراد الرعيّة تبعاً لطبقاتهم الاجتماعيّة؛ والمقابل لذلك أن يأجر الله الخليفة.

في هذه البنية بدأ عمر يربط أمر الرعيّة ومصلحتها بمصلحة خليفته الشخصيّة بالترغيب له في السلامة من عقاب الله عن طريق التذكير والتعريض، وليس عن طريق النصح المباشر، وهذا في قوله: "...فإنّ ذلك – بإذن الله – سلامة لقلبك، وحط...".

والمتبصر في البنية السابقة يجدها تشكّل تشاكلاً بنيويّاً وتناسباً دلاليّاً مع البنى السابقة، وأساس هذا التشاكل التكويني هو التركيز على فعل الأمر (أوصيك) وإتباعه بالباء واسم معرف، أمّا التناسب الدلالي فقائم على تجميع تراكيب متناسبة دلالياً تنتسب معظمها إلى حقل معجمي واحد بسبب ظروف الاختيار المرتبطة بإنشاء النص والغاية منه، إذ لا بدّ أن يظهر لذلك أثر في البنى النصيّة والمكوّنات المعجميّة المؤثرة في المكوّنات التركيبيّة والمتأثرة بها.

وقد ظهر في هذه البنية تفصيلات لم تكن في سابقاتها قد هيّأت لظهور توسّع في البيان والتوضيح في البنى اللاحقة، وهذا ينسجم مع موضوع النص (الوصيّة)، فهي قائمة على الأمر والنهي، وصاحبها خليفة، ومتلقيها خليفته، والمطروح فيها قضايا إداريّة عامّة وشاملة، وهذه الحال تقتضي الإطالة والتكرير[١].

١٠- "وآمرك أن تشتدّ في أمر الله، وفي حدوده، ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثمّ لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه ما انتهك من حرمه".

يتغيّر خطاب عمر – في هذه البنية – من أسلوب الوصيّة المشفوع بالطلب تارةً وبالتعريف وبالتذكير وبالتعريض تارةً أخرى إلى الأمر المباشر بالصيغة المباشرة (آمرك)، وفي هذا الانكسار الحاد والانحراف المباشر دلالة كبرى على أهميّة قصوى لمحمول الأمر، ولا غرو، بالمحمول الدلالي متعلق بأوامر خالق الخلق صاحب السلطان الأكبر منزّل الدين، والمستخلف لمتلقي الخطاب، وعمر من قبله.

إنّ هذا الخطاب الحاد وهذه النبرة الشديدة بما يحملانه من تأويل شبه متناهٍ نحو الحسم والإلزام يحسمان الدعاوى المستترة وراء الرحمة المصطنعة للافتئات على شرع الله، كما أن

(١) انظر: العسكري، **كتاب الصناعتين**، ص١٦٠-١٦٥.

تقديم (قريب الناس) على (بعيدهم) إصرار على عدم التهاون أو المماطلة أو المحاباة في تنفيذ حكم الله[١]، وعاد وأكّد المعنى باللجوء إلى التكرار في قوله: "ثمّ لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرمه".

١١- "واجعل الناس سواء عندك لا تبالي على مَن وجب الحق لا تأخذك في الله لومة لائم".

هذه البنية وحدة لغويّة إدماجيّة، توضّح كيف يكون العدل، وهي منتقاة بما يوافق البنية التاسعة، إذ تزيد من حضور القصديّة (Intentionality) والإفادة أو الإعلاميّة (Informatively) في النص، كما جعلت تتالي النص الخاضع لقصد المتكلم متناميّاً، وجعلت العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصيّة متضائلاً، كما أنّ فيها تناصاً مع بعض أحاديث الرسول (ﷺ)، وبذلك فإنّها تساهم في ترسيخ نصيّة النص. يضاف إلى ذلك أنّ هذه البنية بعودتها إلى الدوران حول المحمولات الموضوعيّة الواردة في البنية التاسعة تشدّ من أواصر النص، وتقوّي من ترابطه.

جميع الحقوق محفوظة

١٢- "وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله ممّا أفاء على المؤمنين، فتجور وتظلم وتحرَم من ذلك ما قد وسعه الله عليك؛ وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة؛ فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة عمّا بسط الله لك اقترفت إيماناً ورضواناً، وإن غلبك عليه الهوى ومالت بك شهوة اقترفت به سخط الله ومعاصيه".

تعدّ هذه البنية أولى البنى التي نهجت نهجاً ملفوظياً صريحاً إلى التحذير، وقد هيأ لها امتداد الخيط النفسي للبنى النصيّة السابقة، والوحدة الموضوعيّة التي تجمعها بها، فالحالة النفسيّة التي أنتجتها محاطة بالأوامر والنواهي والتحذير – وإن لم يكن التحذير مباشراً – التي جعلت توكيد المعنى بطرق مختلفة زيادة في الحرص وفضلاً في التحوّط، والموضوع الذي يسيطر عليها وعلى سابقاتها هو أخذ خليفة عمر على القيام بشؤون الرعيّة خير قيام دون أن يحيد عن شريعة الله ودستور المسلمين قيد أنملة.

ويمكن تقسيم هذه البنية إلى الوحدات اللغويّة التالية:

---

(١) ممّا يجدر ذكره أن أمر عمر بالحسم والشدّة في حدود الله يتناص مع القرآن الكريم، ويتناسب مع دلالاته، فالله سبحانه يقول:﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما...**﴾ و ﴿**والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾، ففي هاتين الآيتين نجد أن النص ملتهب، ومشحون بالغضب والتهديد من الناحية الدلاليّة، وأن الفاء اقترنت في الأولى بقطع الأيدي، وفي الثانية بالجلد لتنفخ فيهما من روح الجدّ والمسارعة في إقامة حدود الله، وتأكيد الالتزام به وعدم المراوغة فيه، ما يقطع كل سبيل إلى دعوى الشفقة (المماطلة)، والممالأة في التطبيق؛ ألا ترى كيف أعقب ذلك الحسم ووجوب المسارعة قوله: ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة...**﴾.

١- وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله ممّا أفاء على المؤمنين.

٢- فتجورَ وتظلمَ وتحرمَ من ذلك ما قد وسّعه الله عليك.

٣- وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة.

٤- فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة – عمّا بسط الله لك – اقترفت إيماناً ورضواناً، وإن عليك عليه الهوى غلبك عليه الهوى ومالت بك شهوة اقترفت به سخط الله ومعاصيه.

فالوحدة اللغويّة الأولى قطعت سرد المتكلم وعملت على تطويل مدّته، وهي تحيل على فعل لاحق ومسبّب، وفيها نهي بصيغة التحذير عن مسببات الجور والظلم؛ أمّا الوحدة الثانية ففيها بيان لدوافع التحذير من الوحدة الأولى، وتجمعها علاقة السببيّة التي تمتد من الوحدة الأولى إلى الثانية، وتتغلغل في الثانية، فالأثرة والمحاباة سبب للجور والظلم، والجور والظلم سبب للحرمان ممّا وسّعه الله، وهكذا تكون العلائق الاقتضائيّة هي التي حكمت جريان النسق السردي وتنضيده، وتكون بذلك وطّدت انسجامه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والوحدة الثالثة تذكير تحذيري جديد بالقوّة الكبرى والقاهر الأعظم، يعضدها التهديد الوارد في الوحدة الرابعة، فهذه البنية وإن جاءت بصيغة الشرط فإن معناها الدلالي – بحكم سياقها التداولي – يفيد التحذير وليس الإخبار فقط، فالمقابلة بين اقتراف العدل والعفة مع غلبة الهوى ربط كل قسم من المتقابلين بنتيجة مغايرة تماماً للأخرى يثري الترغيب في جانب والتنفير من جانب.

١٣- "وأوصيك ألا ترخّص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة".

كلما سرنا مع البنى نتبيّن أنّ هذا النص يلفه التماسك، وأنّه يؤدّي وظيفة إبلاغيّة، يحرص على تمامها والإحاطة بمقتضياتها حرصاً يجعله يزخر بوسائل الإلحاح المعجمي والتركيبي والدلالي والسيميائي، فنجده يعود لتكرار الحديث عن قضيّة ما بطرق شتى، من أجل تمكّن الفكرة من نفس المتلقي.

وبهذه البنية يختم مرحلة الحديث عن العدل؛ فبعد أن طوّل في تبيان ممهدات العدل، وظواهره ومقتضياته بين المسلمين رجع ليذكّر بالركن الخامس من أركان البنية الاجتماعيّة، لرعية الدولة، فذكّر بأنّ ما يجري من العدل على المسلمين يجب أن يجري على أهل الذمة، ولا ينبغي التساهل في ظلمهم كونهم لا يدينون بدين الدولة.

وفي هذه العودة إلى (أهل الذمة) إحالة مباشرة إلى البنية السادسة، وتوضيح بأنّ انشغال عمر بقضيّة العدل والتركيز عليها لم يكن ليشغله عن توزيع هذه القضيّة على جميع عناصر النظام القضوي، وهذا يؤكّد أنّ السياق الكلامي الداخلي يتلاءم مع المنطق الكلي للنص، ممّا يوثق الترابط النصي الناشئ عن المكوّنات الملفوظيّة بالتكافل مع أنماط الفعل التي تنجزها.

١٤- "وقد أوصيتك وحضضتك ونصحت لك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي، فإن عملت بالذي وعظتك، وانتهيت إلى الذي... معاصيه".

إنّ سيطرة المرجعيّات الملفوظيّة وتركيزها على العناصر الأساسيّة المكوّنة للسياق التواصلي (المتحدّث والمخاطب) جعلت الحديث عن عمليّة التبادل الخطابي نفسها جزءاً من البنى النصيّة، فبرزت ذات المتكلم وذات المخاطب في كل بنية، وكانت علاقة المخاطبة التي بناها المتكلم على منطق الإقناع بمختلف السبل موجّهاً أساسيّاً لحركة الخطاب.

وفي هذه البنية نجد عمر كثف حضوره – عن طريق اللجوء إلى توصيف فعله في البنى السابقة وتعليله لهذا الفعل بابتغاء وجه الله والدار الآخرة – وضبَط العلاقات بينه وبين خليفته بأسلوب يوحي بانتهاء التناسل القولي، ويؤذن بختم النص، إلا أنّه يفاجئ المتلقي بأنّه اتبع هذا النهج إمعاناً في التوكيد للمخاطب على أن ما قدّمه عمر من أوامر ونواهٍ وعظات هو أفضل ما يقدر عليه وأقصى ما يمكن أن يتقرّب به لله، واستشفع للإقناع بذلك بعلاقة الوالد بولده وإخلاصه له.

وتشكّل هذه البنية وحدة أساسيّة ترتيبيّة تضاف إلى الوحدات الأساسيّة سابقة الذكر والتي تشكّل في مجموعها البنية النصيّة الكبرى، وقد جاءت ضمن ترتيب منطقي مبني على علاقة السببيّة، بعيداً عن نمط المراوغة، أو الإكثار من الانزحات الأسلوبيّة التي تشوّه الانسجام على مستوى الترتيب الفعلي.

وتعدّ هذه البنية معلماً دالاً على تنامي النص وديناميته، إذ نجد أنّها تعبّر عن علاقات تفاعل تضافريّة يحرص المتكلم على تقويتها ورفدها بمقوّمات الصلابة، من أجل الوقوف في وجه الهواجس الداخليّة التي تخلق في نفسه صراعاً داخلياً شديداً، لا يلبث أن يقاومه ويتغلب عليه فيعود ليطفو على السطح مرّة أخرى فيربكه، ومن ثمّ يعود لمقاومته ومحاصرته بالعديد من القيود، فيكرّر التوضيح والتذكير والتهديد والترهيب والترغيب والتنفير.

ويمكن تقسيم المكوّنات التركيبيّة لهذه البنية على النحو التالي:

١- وقد أوصيتك وحضضتك ونصحت لك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة.

٢- واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي.

٣- فإن عملت بالذي وعظتك، وانتهيت إلى الذي أمرتك، أخذت به نصيباً وافراً.

٤- وإن لم تقبل ذلك ولم يهمّك، ولم تنزل معاظم الأمور عند الذي رضى الله به عنك، يكون ذلك بك انتقاصاً ورأيك مدخولاً.

٥- لأن الأهواء مشتركة، ورأس كل خطيئة والداعي إلى كل هلكة إبليس.

٦- وقد أضل القرون السالفة من قبلك، فأوردهم النار.

٧- ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لعدو الله والداعي إلى معاصيه.

فالوحدة الأولى تشف عن حرص عمر على مصلحة الرعيّة ومصلحة خليفته معاً، والثانية إلحاح منه على إدخال اليقين إلى قلب خليفته بأن يتمثل ما جاء في الوصيّة، والثالثة ترغيب، والرابعة تحذير، والخامسة بيان لسبب الأخطاء وتحذير من عدو (إبليس)، والسادسة فضح لمساوئ ذلك العدو وكشف لقدراته، وتعريف بنهاية مَن لا يحذره، والسابعة ذم لما يمكن أن يكون سبباً في معصيّة الله.

١٥- "ثمّ اركب الحق وخُض إليه الغمرات وكن واعظاً لنفسك".

تبدأ هذه البنية بـــ"ثمّ" وهي "أداة ربط رقيقة، تسوس الألفاظ برفق، وتشدّ عُراها في أناة، وتجمع أباعدها ومتنافرها في يسر ولين"[(١)]، بعد أن توالت الأوامر والنواهي في النص تباعاً، بشدّة وعنف، لتخفف الوطء على المخاطب، وتهدئ من روعه، وتعيد الاستقرار إلى نفسه التي وَصل فيها الاضطراب حدَّ الغليان.

وهي في هذا توائم بين الغاية من العودة إلى المحمول الدلالي ذاته (إرادة التوكيد والإفهام) والحالة النفسيّة لمتلقي النص، وما افتنان عمر في فنون الكلام، وخروجه من الشيء إلى آخر، ومن ثمّ عودته له مرّة أخرى إلا لهذه الغاية[(٢)].

---

(١) انظر: الخضري، محمد الأمين، (١٩٩٣). **من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم: (الفاء وثمّ)**. (ط١). القاهرة: مكتبة وهبة، ص١٥٣.

(٢) يقول ابن قتيبة عن مذاهب العرب في الكلام: "ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام، ...، لأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلى شيء، أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد. وقد يقول القائل في كلامه: "والله لا أفعله، ثمّ والله لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع من أن يفعله"=

فهو يسعى في تعبيره المجازي (اركب الحق) ومخالفة أصل الوضع اللغوي للركوب (الذي يختص بشيء مادي يركب كالدابة والسفينة) إلى تجديد علاقات التوزيع المتبادلة بين وحدات اللغة –بفعل عدوله عن النمط المعهود في التركيب – من أجل إحداث نظام جديد في تصنيف الموجودات للغاية نفسها.

وما قوله (اركب الحق وخض إليه الغمرات وكن واعظاً لنفسك) إلا ختاماً لمرحلة الوعظ العام، واختصاراً لها، فمن اتبع الحق لم يحتج إلى غيره وكان مرشد نفسه.

١٦- "وأنشدك الله لما ترحّمت على جماعة المسلمين، فأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقرت عالمهم. ولا تضربهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلهم فتفقرهم، ولا تجمرهم في البعوث فتقطع نسلهم، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم".

بعد أن أخذ عمر في إعادة الاستقرار النفسي للنص وجعل من المخاطب مستقلاً بنفسه – بركوبه الحق وتنصيبه مراقباً لنفسه – عاد لتوكيد المعاني السابقة بأسلوب طلبي رقيق ملؤه العطف والشفقة، فناشد – والمناشِد يكون ضعيفاً – خليفته الترحم على المسلمين، وأخذ يفصّل له مظاهر هذا الترحم؛ ثمّ رجع ينهاه عمّا يسيء لهم، ذاكراً سبب كل عنصر من عناصر الإساءة، فمزج بين الترابطات العرضيّة القائمة بين تلك العناصر المتآلفة، والترابطات السببيّة المتسلسلة.

١٧- "هذه وصيتي إياك، وأشهد الله عليك، وأقرأ عليك السلام".

هذه البنية خاتمة النص وآخر البنى النصيّة، وقد حافظت على النسق الخطابي الذي يجعل من النص سلسلتين من المتوازيات إذ يمثل رأس كل منهما أحد المتخاطبين (عمر وخليفته)، ويبدو هذا من استعماله لضمير المخاطب المنفصل (إياك)، مع أن استقامة البنية تظل متحققة لو لم يذكره، وكذلك من استشهاد الله على المخاطب، ومن قوله: "اقرأ عليك السلام" مع أنّه كان بالإمكان أن يقول: والسلام.

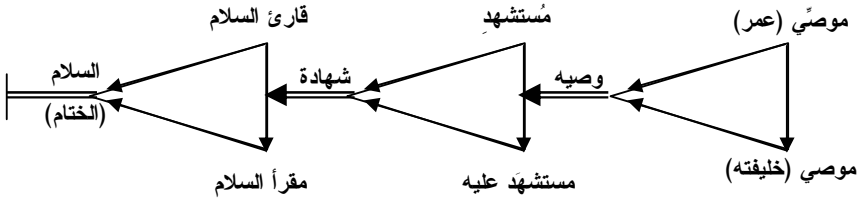

=(ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ). **تأويل مشكل القرآن**. (ط١). (نشره وحققه وعلق عليه: السيّد أحمد صقر)، دار إحياء التراث، القاهرة، ١٩٥٤، ص٢٣٥).

وجملة الأمر أنّ للنص استراتيجيّات إنتاج وتلق، نستدل عليها بالنظر إلى السياق الداخلي وعلاقة كل وحدة لغويّة بمجموع الوحدات اللغويّة التي تؤلف كامل النص؛ والنظر إلى "السياق الداخلي يُلزم دارس النص بأن ينظر إلى كل وحدة بانية للنص... من جميع جوانب علاقاتها القائمة مع الوحدات الأخرى"[١].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(١) لحمداني، **القراءة وتوليد الدلالة**، ص١١٧.

الوحدة النصيّة العامّة ونحو النص:

إنّ نصيّة النص تعود إلى كونه وحدةً اتصاليّة، فهو وحدة إنجازيّة ووحدة مضمونيّة تحدّد بعلامات تنظيميّة سياقيّة[١]؛ أمّا العلامات فتدرس من ناحيتين: الأولى: ماهيّة العلامة أي وجودها وطبيعتها وعلاقتها بالموجودات الأخرى التي تشبهها والتي تختلف عنها؛ والثانية: فاعليّة العلامة وتوظيفها في الممارسة العمليّة[٢]، وأمّا السياق الذي يُعدّ "النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة التمثيل اللغوي لبيئته الخارجيّة"[٣] فيدرس المكوّنات القواعديّة والنحويّة والدلالات الداخليّة التي تؤثر في المكوّنات اللغويّة[٤]، والظروف الخارجيّة عن اللغة التي يرد فيها الكلام، فتتناهى حدود دراسته في الصغر إلى الصوت المفرد، وتبلغ في الكبر ما وراء النص، متدرجة من النظم اللفظي للكلمة إلى البيئة المحيطة بالنص[٥]، وتمتد إلى جملة المعطيات التي تحضر القارئ وهو يتلقى النص بموجب مخزونه الثقافي والاجتماعي[٦].

فمشاهدة القرائن، ومعاينة الأحوال، من إشارات ورموز وحركات وسوابق، ولواحق، وظروف أداء...، وجملة العناصر المحيطة بإنتاج النص وتلقيه، تثري النص وتعضد الفهم، وتقود إلى المعرفة التامّة به، والإحاطة بموقفه التبليغي.

والموقف التبليغي ليس حالة ممكنة من حالات العالم فحسب، ولكنه متوالية من الحالات والأحداث التي تضم: قائل النص، وموضوعه، والمكان، والزمان، والنشاطات المشتركة المصاحبة لتلك الأحداث[٧]؛ ولذلك لا بدّ من دراسة العناصر المحيطة بالنص على قدر ما تتيحه المعطيات، وفق نموذج معيّن يشمل مجموعة معروفة من العناصر التي سنفصلها فصلاً إجرائياً فقط، دون أن يغيب أن هذه العناصر تشكّل معاً وحدة متكاملة كل منها يقوم بدور سياقي، ويستند بعضها إلى بعض.

---

(١) جمعة، **نظريّة النص (بين النظريّة والتطبيق)**، ص٥٢٥.
(٢) غزول، فريال جبوري، (١٩٨٦). **علم العلامات (السيميوطيقا): مدخل استهلالي**. في: سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد (محرران)، مدخل إلى السيميوطيقا، ط١، القاهرة: دار الياس العصريّة، ص١٩.
(٣) عوض، يوسف نور، (١٤١٠هـ). **علم النص ونظريّة الترجمة**، (ط١). مكة المكرمة: دار الثقة للنشر والتوزيع، ص٢٩.
(٤) انظر: بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٩١.
(٥) انظر: الطلحي، ردة الله، (١٤٢٤هـ). **دلالة السياق**. (ط١). مكة المكرمة: منشورات جامعة أم القرى، ص١٦٨-١٦٩.
(٦) المسدي، **الأسلوبيّة والأسلوب**، ص١٧٥.
(٧) انظر: العبد، **اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة**، ص٧٠.

١- قائل النص:

وهو العنصر الأوّل من مكوّنات الكلام (التي حدّدها أرسطو)[١] الذي "تتعلق به وظيفة اللغة التعبيريّة؛ ذلك النزوع لإنشاء النص، أو الشروع في الكلام، إنّما يكون من المتكلم، ويخضع بالدرجة الأولى لغرضه ومراده"[٢]، فهو الذي يمدّه بالمعنى ويعينه على تحقيق نصيّته المستمدة من الذات الجماعيّة والفرديّة، وفي ضوء شخصيّته يفهم الكلام، وتعرَف آليّات إنتاجه وبثه.

وإلى أبعد من ذلك ذهب بعض الدارسين إلى الربط بين النص وجنس قائله فعدّوا كلام الرجال مختلفاً في طبيعته ونظامه عن كلام النساء، وما هذا إلا لارتباط النص الشديد بقائله[٣]، ولا غرو، فالنص مُنتَجُ الثقافة الخاصّة للمتكلم، ومعجمه يخضع للمستوى الثقافي والاجتماعي له، ووظيفته التي يشغلها، والحالة النفسيّة التي يحياها.

وما دام قائل النص عندنا واحداً فإنّ دراسة أثره في الوحدة النصيّة سيكون متعلقاً بالحالة النفسيّة المصاحبة للنص والظرف الخاص المرتبط بموقعه الذي يشغله، وصفاته الخاصّة وتأثيره البارز لسمة من سماته.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولا شك أنّ ترتيب المعاني في نفس عمر بن الخطاب عندما أنشأ هذا النص قد أخضع نظام النص إلى الترتيب ذاته[٤]، فجاء على هذه الشاكلة التي بين أيدينا، ولا يمكن تصوّر مجيء هذا الترتيب، ورسم هذه الدقة، وإجلاء هذا التفطن دون أن يكون قائله قد نظمها في ممارساته، وبرمجها في حياته، فالمتكلم هو الذي يحدّد معاني كلامه وفقاً لقصديته[٥].

وإذا عرفنا أن عمر قد امتاز أثناء خلافته "بسياسته ويقظته، وحذره، وتحفظه، ودينه، وصرامته وشهامته، وقيامه في صغير أمر وكبيره بنفسه، مع قريحة صافية، وعقل وافر، ولسان عضب، وقلب شديد، وطوية مأمونة، وعزيمة مأمومة، وصدر منشرح، ... وسر طاهر، وتوفيق حاضر ورأي مصيب، وأمر عجيب، وشأن غريب... دعم الدين وشيّد بنيانه وأحكم

---

(١) انظر: أرسطوطاليس، **الخطابة**، ص١٦.
(٢) الطلحي، **دلالة السياق**، ص٦٠١.
(٣) نفسه، ص٦٠٢.
(٤) ينظر حول ترتب المعاني في النفس: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٥٦.
(٥) لحمداني، **القراءة وتوليد الدلالة**، ص١٠٧.

أساسه، ورفع أركانه، وأوضح حجته، وأنار برهانه، مَلِكٌ في زي مسكين..."[١] أدركنا أنّ شخصيّته المنظمة قد انعكست على هذا النص.

ومن آثار شخصيّة عمر على بناء هذا النص أنّه جعل من المبادئ التي سار عليها وطبّقها في حياته وخلافته نموذجاً يصلح أن يحتذى ويُسار عليه، ولذلك قد أفاد من مجمل تجربته الطويلة في الحكم وأعاد صياغة هذه التجربة في هذا النص الذي يمثل عصارة هذه التجربة[٢].

ولذلك نجد أنّ قائل النص يمثل محوراً هامّاً من محاور التعالق والانسجام النصي، لما فيه من توحّد بين تجربة الذات القائلة والمحتوى المضموني لهذا النص يساهم في نضج النص، واكتمال تشكيله.

٢- موضوع النص:

يدخل الموضوع العام والموضوع الخاص المطروح في النص ضمن مجموعة العوامل التي تؤثر في النظام النصي، فإذا كان موضوع النص شأناً عامّاً يمس جميع الناس يكون نظامه النصي مختلفاً عمّا إذا كان موضوعه خاصاً، وكذلك الأمر عندما يكون الموضوع متعلقاً بأمر بمستوى رسمي أو بمستوى شخصي.

ولكل موضوع حقله الدلالي الذي يلائمه ويفرض على الناص أن يتقيّد به، وأن تصب معانيه فيه، وهذا يدخل موضوع النص في الدائرة التي تشكّل التعالق بين أركان النص والانسجام مع العوالم المشكلة للنص.

---

(١) الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت: ٦٢٦هـ). **معجم الأدباء**. (ط١). (تحقيق: أحمد فريد الرفاعي)، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٦م، ج١٦، ص٩٥-٩٦.

(٢) راجع: خطبة لعمر بن الخطاب، يوضّح فيها خطته التي رآها تصلح نموذجاً يسير عليه، في: التوحيدي، علي بن محمد، (ت: ٤٠٠هـ). **البصائر والذخائر**. (ط١). (تحقيق: إبراهيم الكيلاني)، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء، ١٩٦٤م، حيث يقول: "يا أيها الناس، إنّي نظرت إلى الإيمان فوجدته يقوم على أربع خصال: تقوى الله في جمع المال من أبواب حله، فإذا جمعته عففت عنه، وإذا عففت عنه وضعته في مواضعه، حتى لا يبقى عندي منه دينار ولا درهم، ولا عند آل عمر خاصّة. والثانية: أعرف للمهاجرين حقهم وأقربهم على منازلهم. والثالثة: الأنصار الذين آووا ونصروا، وأحفظ وصيّة رسول الله (ﷺ) فأقبل من محسنهم وأتجاوز عن مسيئهم، وأكون أبا عيالهم حتى ينصرفوا إلى منازلهم. والرابعة: أهل الذمة أفي لهم بعدهم، وأقاتل من ورائهم، ولا أكلفهم إلا طاقتهم؛ إذ فعلت ذلك كنت معترفاً عند الله – جل اسمه – بالذنوب". وراجع: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، (ت: ٢٤١هـ). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (ط١)، (تحقيق: محمد أحمد عاشور)، مطابع الأهرام التجاريّة، ١٩٧٤م، ج٢، ص١٦٧-١٦٨، حيث ورد في إحدى خطبه قوله لبعض ولاته: "...ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمرهم فتنفوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم...".

هذا، وإنّ موضوع هذا النص هو الأسس العامّة التي ينبغي لخليفة عمر السير عليها، وهي تتصل بمحورين:

المحور الأوّل: حق الله في إقامة دينه على الوجه الذي أمر.

والمحور الآخر: وهو علاقات الناس فيما بينهم.

والناظر للنص يجد أنّه لم يغادر هذين المحورين، وظل ينتقل من أحدهما للآخر، فبدأ بتقوى الله وثنى بتقسيمات الناس وضبط علاقاتهم فيما بينهم وبين الخليفة، وانتقل مرة أخرى لتقوى الله وحشيته ثمّ رجع للحديث عن العدل بين الناس، فتنفيذ أوامر الله وتطبيق حدوده، والتسوية بين الناس، وإعطاء كل ذي حق حقه، ومراعاة الأحوال العامّة لكل فريق منهم.

فكان بناء النص وفق هذا الموضوع عاملاً قويّاً في جعله على هذا النحو، وتشكيل علاقاته الداخليّة، والمحافظة على استقامة هذه العلاقات مع ما ترتبط به خارج النص، فجاء حَسَن التقسيم، متصل الأركان، متداعي الأفكار، ومتحدّ الدلالات.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٣- لماذا قيل النص:

ذكرنا أنّ عمر – رضي الله عنه – كان حريصاً على المسلمين حرصاً جعله يقضي كثيراً من لياليه طائفاً في أحياء المدينة لعله يقع على أمر يسوء المسلمين فيصلحه، ولذلك لا يستغرب أن يكون حريصاً على أن يستمر هذا النهج.

ويبدو أن عمر رأى أنّ هذه الوصيّة آخر ما يمكن أن يقدّمه للمسلمين من خير، وهي في الوقت ذاته صك براءة ذمة لعمر أمام الله، كما أنّه يسترجع في هذه الوصيّة رؤيته – التي عبّر عنها في إحدى خطبه – لحال الأمّة مع أميرها، حيث يرى أنّ صلاحها مربوط بصلاح أميرها، وفساده يقود إلى فسادها[١]؛ وفي هذا تعالق بين النص وبين الغاية منه ممّا يوحي بأنّ الغاية من النص كانت ماثلة في نفس قائله فأخذ يعدّه ليكون موافقاً لهذه الغاية.

٤- لمَن قيل النص:

إنّ حضور المتلقي في ذهن القائل ينطوي على حرص شديد من القائل على موافقة النص للحال التي عليها المتلقي، فيكثر من الحيل الإعداديّة وإجالة النظر في الأفكار، ومَن ثمّ يعمل على بناء نصّه وتركيب عباراته بما يحقق له ذلك.

---

(١) ورد عن عمر قوله: "إنما مثل العرب مثل جمل آنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده"، وبذلك فإنه يحمّل المسؤوليّة لقائد الأمّة. (انظر: بدوي، إسماعيل، (٢٠٠٠). **السياسة الشرعيّة**. (ط١). الكويت: مكتبة المنار، ص١٦٠).

فالتفكير في كيفيّة تشكيل النص يأتي مرحلة وسطى بين مثول المتلقي والشروع في خضم الإفضاء النصي، وهذا يفرض على القائل كثيراً من التنبه والحيطة والحذر، "والفطن الحاذق يختار للأوقات ما شاكلها وينظر في أحوال الخاطبين"(١)، فيلجأ للصنعة والتحذق فيها، ويحتال في بث النشاط في نفس المتلقي لقبوله والمحافظة على قيادة المتلقي والسير به مع النص جزءاً جزءاً فلا يخرج منه إلا منقاداً له راضياً به متقيّداً بما جاء فيه.

فالمتلقي هدف في أي عمليّة اتصاليّة لغويّة، وتتعلق به الوظيفة الإفهاميّة، ويتدخّل وجوده وصفته في بنية النص، فيكثف النص وفقاً لحالته النفسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، ولا بدّ أن هذا يؤثر في القدرة على تماسك النص على مستوى البنية اللغويّة وعلى مستوى المفاهيم، فيأتي النص متلاحماً مترابطاً ومنسقاً بطريقة تجذب الانتباه لبعض الأجزاء فيه ممّا يعدّها القائل أكثر أهميّة من سواها؛ ولكن هذا لا يعني أن له تدخّلاً مباشراً في مسألة اختيار الألفاظ وإضفاء المعنى عليها(٢).

جميع الحقوق محفوظة

فاختيار شكل المضمون وتنظيم الأدوات النحويّة يخضع لعمليّات تفاوض ضمنيّة على المعنى بين منتج النص ومتلقيه المفترض(٣)، تقوم هذه العمليّات على جدليّة التفاعل بينهما في ضوء استراتيجيّات عدّة(٤)، تختلف من أحدهما للآخر، فالمتكلم يتحرى أن يضمِّن النص المعايير والقيم الاجتماعيّة التي استدخلها، فيجعل التشكيل المسبق للمعنى يؤدّي وظيفته في تأمين عمليّة التلقي وطبع النص في ذهن المتلقي؛ والمتلقي يتباين بتباين الصلة بينه وبين المتكلم.

وقد كانت هذه المعطيات ماثلة في نفس عمر بن الخطاب في غير موطن من مواطن الإلقاء، وقد ذكر هو ذلك وصرّح به حيث قال: "...أردت أن أتكلم، وكنت زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقولها..."(٥)، وهذا إنّما يشير إلى أنّ المتلقي في هذا النص كان مفترضاً في نفس عمر عندما أنشأه.

---

(١) ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، (ت: ٤٥٦هـ). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**. (ط١). (تحقيق: محمد قزقزان)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٩٥.

(٢) لحمداني، **القراءة وتوليد الدلالة**، ص١٠٧.

(٣) حاتم، باسل وميسون، إيان، (١٩٩٨). **الخطاب والمترجم**. (ط١)، (ترجمة: عمر فايز عطاري)، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود، ص٣٠٣.

(٤) إسماعيل، سامي، (٢٠٠٣). **جماليّات التلقي**. (ط١). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص١١١.

(٥) راجع: ابن الجوزي، **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، ص٧٠، وقد وردت هذه المقولة في رواية عمر لبيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة. وراجع هذه المقولة في: هارون، عبد السلام محمد، (د.ت). **تهذيب سيرة ابن هشام**. (ط١). الكويت: مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلميّة، ص٣٩٣.

وما ذكرنا لهذا الافتراض إلا نابع من معرفتنا أن عمر لم يعهد بالخلافة إلى أحد، ولذلك فقد جاءت الوصيّة عامّة تصلح لأنّ يتلقاها كائن من كان من الستة الذين أوصى عمر أن يكون الخليفة واحداً منهم.

فهؤلاء الستة كلهم صحابة بدريون توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راضٍ، وكلهم يصلحون لتولي الأمر[١]، ولذلك فإنّ توصيتهم تكون متمثلة لتاريخهم وأشخاصهم وبنياتهم الاجتماعيّة، ومستحضرة للأساليب المؤثرة فيهم، والبناء النصي الملائم لهم عموماً ولكل واحد منهم خصوصاً.

هذا، ونرجّح ترجيحاً أن اتباع عمر لاستراتيجيّة التعميم دون أن يخصّ أحد الستة في تلقي الوصيّة نابع من كرهه لتحمّل المسؤوليّة عن تحديد شخص الموصى، والذي تكون توصيته – تخصيصاً – تصريحاً بالوصية له بالخلافة، ودليل ذلك ما رواه ابن الجوزي عن آخر لحظات عمر حيث قال: "...فلما خرجوا – أي بعض الصحابة عن عمر – من عنده، قال: إن يولوها الأجلخ يسلك بهم الطريق. فقال له ابنه: ما يمنعك يا أمير المؤمنين؟ قال: أكره أن أحملها حياً وميّتاً"[٢].

جميع حقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولعمري إن افتراض المتلقي من بين هؤلاء ومجيء النص بهذا العموم، بحيث يصلح لأي رجل وإن لم يكن من هؤلاء الستة، يكشف حالة الانسجام بين الوحدة العامّة للنص والبنية الكليّة له من جانب، وبين البنى الكبرى والبنى الصغرى من الجانب الآخر، فلا تجد محوراً يشذ عن البنية الخطابيّة ولا يقع بصرك على بنية تخل بالبناء النصي، ولا تتعثر بعبارة تفسد هذا الاتساق.

---

(١) الستة هم: علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله؛ وتذكر بعض المصادر أنه ترك سعيد بن زيد بن نفيل مع كونه من المبشرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلته بني عدّي. (راجع: ابن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**. ط١، دار الريان، القاهرة، ١٩٨٨، ج٧، ص١٤٢).

(٢) ابن الجوزي، **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، ص٢٦٥؛ وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت: ٨٥٢هـ). **فتح الباري**. ط٢، المطبعة السلفيّة، ١٤٠١هـ، ج٧، ص٨٤، وتذكر بعض المصادر والمراجع أن عمر قال بعد أن طُعن: "ادعوا لي علياً وعثمان وعبد الرحمن وسعداً والزبير، ...فقال: يا علي، لعل هؤلاء القوم يعلمون لك حقك وقرابتك من رسول الله...، وصهرك وما آتاك الله من الفقه والعلم فإن وليت هذا الأمر فاتق الله فيه، ثمّ دعا عثمان فقال له: ...فأولوك هذا الأمر فاتق الله فيه ولا تحملن بني أبي معيط على رقاب الناس". وهذا لا يتعارض مع النص الذي نعالجه، فيكون هو النص الرسمي ومثل هذه الرواية من باب العلم والفراسة التي امتاز بها عمر؛ وبذلك يكون الانسجام متحققاً بين هذا النص والمتلقي المفترض، وما هذا التخصيص لكل منهما إلا امتداداً لما جاء في النص الذي نعالجه (راجع: اليحيى، **الخلافة الراشدة والدولة الأمويّة من فتح الباري (جمعاً وتوثيقاً)**، ص٣٧٥-٣٧٧).

٥- أين قيل النص:

يعدُّ المكان الذي قيل فيه النص ضابطاً نصياً يستعان به لتحديد هويّة النصية من اللانصية وهو من الضوابط التي تتعاضد في تكوين المعالم النصيّة، لما له من دلالات إيحائيّة عند قائل النص ومتلقيه على حدٍ سواء، وأثره قد يتسع أحياناً ويضيق أحياناً، وقد يظهر في النص، وقد يكون كامناً مكتفياً بالتأثير على قائله وارتباطه الفكري بالمكان.

وفي نصّنا هذا لا تقف على أثر واضح للمكان فيه؛ إلا أنّه صدر وتلقيَ في المدينة المنورة عاصمة الخلافة، ومعقل كبراء صحابة رسول الله (ﷺ)، ومحط أنظار الناس جميعاً، وكفى بهذا دلالة وإيحاءً.

٦- متى قيل النص:

لقد ورد هذا النص في مجموعة من المصادر[١]، ولقد أشارت جميعها إلى أنّ عمر أوصى به قبل وفاته، ولكنّها لا تبيّن بالتحديد زمن إنشاء هذا النص، وكيفيّة إلقائه، وهل كان مكتوباً أم منطوقاً. وإن كان منطوقاً فلمَن وجِّه؟[٢] وإن كان مكتوباً، فلمن سُلم قبل أن يَقرّ أمر الشورى على خليفة؟!

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولكن ما يعنينا من العلاقة بين توقيت النص وانسجامه هو أن هذا النص قد تلاءم في محتواه القضوي مع إيذان عمر بالتخلي عن الخلافة، وتسليمها لآخر بعده، فقد انسجم بغايته وترتيبه وتسلسله مع هذا، ويظهر هذا أوّل ما يظهر في الدلالة اللغويّة للفظة "أوصيك" وتكرارها، ويتتابع مع الخيط النفسي الذي ينتظم النص جميعه.

وكون هذا النص وصية من عمر لخليفته فهو أمر محقق للانسجام بحدّ ذاته، لأنّه ينسجم مع البيئة الثقافيّة والفكريّة التي أنتجته، فالثقافة المحيطة تقتضي من الخليفة أن يوصّي ما أمكنه ذلك وأسعفته الظروف، ولا سيّما إذا استرجعنا ملفوظات لغويّة استرجاعاً ماضوياً يبيّن أنّ عمر كان شديد الحرص على السير على خط الخليفة الذي سبقه وكان – رضي الله عنه – قد وصى لعمر ووصيته وظروفها معروفة مشهورة.

---

(١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٣، ص٣٣٩، والجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٢، ص٢٢-٢٣؛ وابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت: ٦٣٠هـ). **الكامل في التاريخ**. ط١، (تحقيق: علي شيري)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٩م، ج٢، ص٢١٠؛ وابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج٧، ص٧٤-٧٦، وأبو سعيد الآبي، منصور بن الحسين. **نثر الدر**. ط١، (تحقيق: محمد علي قرنة)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م، ج٢، ص٥٥-٥٧.

(٢) يُذكر هنا أن عهد استخلاف أبي بكر – رضي الله عنه – كان قد أملاه أبو بكر وكتبه عثمان، وقرئ هذا العهد على أهل المدينة وأهل الأمصار عن طريق أمراء الأجناد، (انظر: الصلابي، **فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب (شخصيّته وعصره)**، ص١٠٢).

٧- كيف تمّ إلقاء النص:

لم أجد ما يرشدني إلى الكيفيّة التي تمّ فيها إلقاء النص، ولا شك أنّ هذا يغيّب جانباً من الجوانب والعلامات الدالة المنتظمة في النص[١]، ولكن صياغة النص، وعدم وجود متلقٍ محدّد يرجح أن النص مكتوب.

فأهميّة معرفة كيفيّة التبليغ وقناة الاتصال تنبع من وجود فارق بين بناء النص المكتوب والنص الشفوي، فإنتاج النص المكتوب يمتاز من المنطوق بالإعداد، وعامل الوقت، وغياب المواجهة المباشرة، والاتسام بالمنطقيّة والعقليّة، بينما المنطوق يكون أكثر انفعاليّة ومواجهة[٢]، بحيث قد تؤثر هذه المواجهة في سير النص، وقد تحوّل الخطاب أثناء إلقاء النص من وجهة إلى أخرى.

وإذا قارنا بين هذا النص ورسائل عمر بن الخطاب إلى ولاته، ونحن نعرف أنّها يقيناً كانت تصلهم مكتوبة، وجدنا بينها تشابهاً كبيراً من حيث الصياغة والتراكيب والتعابير.

مركز إيداع الرسائل الجامعية
مكتبة الجامعة الاردنية

٨- إحالات النص إلى خارجه:

قبل الشروع في تفصيل إحالات هذا النص إلى خارجه، نلحّ على أنّ النص وحدة واحدة، تنصهر فيه معطيات داخليّة، وتمتزج فيه أبعاد خارجيّة، تتماهى خصوصيّاتها وينتج عنها مركب جديد يأخذ من مرجعيّات متباينة يماثلها من حيث الماهيّة ويفارقها رؤية ومبنى.

وثمّة أمر يجدر التنبّه له، وهو أنّ الجزء الأكبر من التركيب اللغوي يشكّل استجابة لحاجات الاستخدام وفقاً للموقف وحركة الفعل الاتصالي؛ فاستخدام المتكلم لمعجم لغوي غير مستدخل لدى المتلقي، أو اتباعه لطريقة ما خارج العُرف الجاري بينهما يضيّق من قنوات الاتصال، وكلما كانت المفاهيم في النص مشتركة بينهما، وشكل طريقة إنشائه موحّدة اتسعت هذه القنوات، وتلاقيا وتوحّدا على فهمه، وهذا لا يكون إلا إذا عرف كل منهما كل ما تحيل إليه مفاهيم النص وجميع جوانبه الأخرى[٣].

---

(١) إن كون هذه الوصيّة براءة من عمر إلى خليفته يجعل منها نوعاً نثرياً مركزاً، فهي "تمسك بإيقاع التاريخ وتمسك بحادثة حاسمة وطور خطير" ولذلك فهي تستخدم بنية لغويّة بشكل ما يواجه عالم الفعل الاجتماعي من ناحية وعالم الفكر الفردي من ناحية ثانية (انظر: فراي، نورثرب، (١٩٩١). **تشريح النقد: محاولات أربع**. (ترجمة: محمد عصفور)، ط١، عمّان: منشورات الجامعة الأردنيّة، ص٤٣٥-٤٣٦).

(٢) العبد، **اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة (بحث في النظريّة)**، ص١٢٨-١٢٩.

(٣) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص٣٦.

فالبحث عن المعنى الذي قصده المتكلم يتطلب معرفة تفاصيل عديدة إضافة إلى التفاصيل الموجودة في الوثيقة النصيّة[١]، من أجل معرفة النحو الذي انتحاه حتى جاء النص بهذه الكيفيّة، ومن تفاصيل هذا النص التي لا يمكن لمَن لا يعرفها أن يجد في النص انسجاماً واتساقاً ما يلي:

- المهاجرون: مفهوم يحيل إلى فئة من الناس أسلموا مع النبي (ﷺ) أوّل الدعوة، وأوذوا وعُذِّبوا فتركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم في مكة – موطنهم – من أجل الدين.
- الأنصار: أهل يثرب الذين آمنوا بالنبي (ﷺ) وآووه ونصروا دينه وشكّلوا دولته.
- أهل الأمصار: الناس الذين فتحت بلادهم بالإسلام فآمنوا به واتخذوه ديناً، وتشمل بلداناً عديدة، مثل البحرين وعُمان واليمن والعراق والشام و... .
- أهل البادية: وهم العرب الرحّل الذين آمنوا بالإسلام واتخذوه ديناً.
- أهل الذمة: وهم فئة من الناس كانوا يدينون بالنصرانيّة أو اليهوديّة ولما فتحت بلادهم اختاروا البقاء على دينهم مع دفع مبلغ من المال (الجزية) مقابل شروط معيّنة منها حمايتهم وحريّتهم الدينيّة.
- الرعيّة: وتشمل كل الناس التابعين للدولة الإسلاميّة.
- المؤمنين: وتشمل جميع الذين آمنوا بدعوة الإسلام والتزموا بها.
- الثغور: وهي الحدود المتاخمة لأرض العدو من الدولة الإسلاميّة.
- الفيء: وهي ما يغنمه المسلمون دون قتال.

هذا وإن لمعرفة هذه المفاهيم وما تحيل إليه من أشياء خارج النص كحكم كل فئة وحقوقها جانب كبير في الانسجام المعنوي والتماسك الدلالي للنص، ولا يمكن لمتلقي النص أن يعتمد على شكل النص ودور الأدوات اللغويّة في فهم الخطاب إلا إذا عرف علاقته بالمحمولات المضمونيّة داخل النص.

---

(١) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص١٣٤.

نحو النص والمعطيات اللغويّة:

(الاتساق وتحقيق الرؤى)

يستمدُّ الخطاب خصائصه من المقاصد التواصليّة للقائل ومن بنية النص ونظامه[١]، ويكون انسجامه تبعاً لاكتناه قواعد الخطاب وتقيّده بالحدّ الأدنى من قواعد التركيب، فالمظهر اللساني لبنية الخطاب الإجماليّة رائز رئيس لمعرفة مدى التماسك النصي.

وللمتكلم أن يختار التلفظ بهذه الوحدة المعجميّة أو تلك، وبهذه الجملة أو تلك، وفقاً لمقاصده التواصليّة[٢]؛ ولكنه ليس حراً في اختيار بنيته النصيّة، فنَظمُ الكلم صنعة يُعقَلُ بها نظم الألفاظ وترتيب المعاني[٣]؛ و"ترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس"[٤]، وليس "ضمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق"[٥] دون أن تكون قد "تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل"[٦].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

واقتضاء العقل هنا مفهوم ذو دلالة واسعة، يشمل كل ما يجعل من النص نصاً متكاملاً، مستقيماً وفق القوانين التداوليّة والدلاليّة والتركيبيّة التي تشكّل علاقات الانسجام بدلالاته الواسعة.

ومن هذه الدلالات نتوقف في هذا النص عند علاقات الاتساق والترابط الأفقيّة التي تتحقق على المستوى الداخلي للنص، وتربط بين أجزائه، وتنساب فيها معانيه، تتصف هذه العلاقات ضمن ما اصطلحنا عليه بـــ"وسائل الاتساق"، وقد بيّنا رؤيتنا لذلك في مواطن سابقة، ولذلك سيباشر التطبيق.

وسائل الاتساق الإحاليّة:

١- الإحالة الضميريّة:

أوّلاً: يحكم هذا النص تقابل ضميري بين ضمير المتكلم وضمير المخاطب، وقد سار هذا التقابل في النص من أوّله إلى آخره، بحكم نوع الخطاب المستخدم فيه، وطبيعة الموقف الخطابي، وفي هذا التوجّه من الاستعمال إبعاد للشوائب بين المتخاطبين وتقصير للمسافة بينهما، وتوسيع لمسارب الاتصال، وردم للفجوات، ونلاحظ أنّه سار على النحو التالي:

---

(١) روبول وموشلار، **التداوليّة اليوم**، ص٢٠٨.
(٢) نفسه، ص٢٠٨.
(٣) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٥١.
(٤) نفسه، ص٤٩.
(٥) نفسه، ص٤٩.
(٦) نفسه، ص٤٩-٥٠.

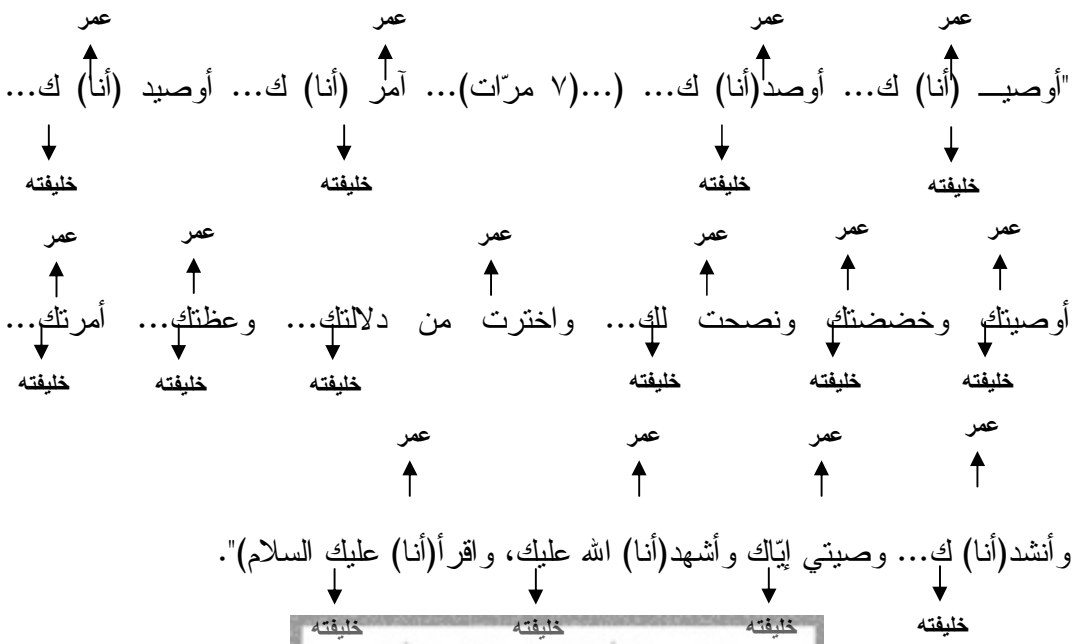

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

توضّح هذه السلسلة أنّ التوازي الضميري شامل يحافظ على علاقة تأسيسيّة أقامها المتكلم بينه وبين المتلقي، فأقامت هذه العلاقة إطاراً تنظيميّاً مهّد السبيل أمام تتابع الخطاب النصي وانسجام البنى النصيّة من واحدة لأخرى.

فإذا نظرنا إلى الضمير الوجودي (أنا) – وإن كان مستتراً – نجده يعيّن شيئاً في الكون وهو هنا المتكلم المفرد الذي يحيل إلى محتوى مفهومي ينطوي على كل ما يحيط بعمر من موقع (سياسي واجتماعي وديني) وصفات شخصيّة، وسجايا تدبيريّة، وبالتالي فإنّ وضع ضمير المخاطب مقابل المتكلم ينطوي على توقع أن يكون المخاطب موازيّاً له في نفس المحتوى المفهومي.

ثانياً: تحتل الأفعال المستندة إلى ضمير المخاطب الموقع المركزي في النص ويمثل ضمير المخاطب بأشكاله المختلفة مركز الدائرة النصيّة الذي يجمع بين جميع أقطارها وينتظمها، ولكن دور هذا المضير محيلاً رابطاً يبرز في داخل البنية النصيّة الواحدة بشكل أوضح منه فيما بين البنى مجتمعة حيث ظلت جملة (أوصيك) هي العنصر الأبرز في تملك الإحالة الضميريّة.

وإذا تتبعنا حركة الضمائر ولحظنا علاقتها بهذا الضمير نجدها على النحو التالي:

يعود الضمير المستتر في (أن تعرف لهم سابقهم) على ضمير المخاطب الكاف في (أوصيك) وهما يحيلان إلى خليفة عمر، ونجد هذا يتكرر في: (فاقبل) و(تجاوز) و(لا تحمل فيئهم) و(أن تأخذ) و(أن تقاتل) و(لا تكلفهم) و(أن يطلع) و(لا تؤثر) و(تفضي) و(تشتدّ) و(تنتهك) و(اجعل) و(تبالي) و(فتجور وتظلم وتحرم) و(أصبحت) و(اقترفت) و(ترخص) و(عملتَ) و(أخذتَ) و(تقبّل) و(تنزل) و(اركب) و(خض) و(كن) و(ترحّمتَ) و(أحللتَ) و(رحمتَ) و(وقرت) و(تضربهم) و(تستأثر) و(فتغضبهم) و(تحرمهم) و(فتفقرهم) و(تجمرّهم) و(فتقطع) و(تجعل) و(تغلق).

إنّ هذا الامتداد في الإحالة إلى الضمير نفسه في النص الواحد يجعل من النص حلقات في عقد يجمعها الخيط نفسه، فإذا قطع هذا الخيط انفطرت حبات العقد ولم يعد عقداً.

ويمكن تفصيل الإحالات الضميريّة في النص على الشكل التالي:

١- "أوصيك بتقوى الله لا شريك له".

- الضمير المستتر (أنا) يحيل إلى المتكلم (عمر).
- الكاف: يحيل إلى المتكلم خليفة عمر.
- الهاء: وتعود على لفظ الجلالة (الله).

٢- "وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً، أن تعرف لهم سابقتهم".

- هم (لهم، سابقتهم): يحيل على المهاجرين الأولين.

٣- "وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم".

- فاقبل (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- هم (محسنهم، ومسيئهم): يحيل إلى الأنصار.

٤- "وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنّهم ردء الإسلام، وجباة الأموال والفيء، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم".

- هم (فإنّهم، فيئهم، منهم): يحيل إلى أهل الأمصار.

٥- "وأوصيك بأهل البادية... فقرائهم".

- هم (فإنّهم، أغنيائهم، فقرائهم): يحيل إلى أهل البادية.

الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- تأخذ (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- فتردّ (هي): يحيل إلى حواشي أموال أغنيائهم.

٦- "وأوصيك بأهل الذمة... صاغرون".

- (أنت) (تقاتل، تكلفهم، طاقتهم، عليهم، هم): يحيل إلى أهل الذمة.
- هم (ورائهم، تكلفهم، طاقتهم، عليهم، هم): يحيل إلى أهل الذمة.
- الواو (أدوا): يحيل إلى أهل الذمة.

٧- "وأوصيك بتقوى الله... على ريبة".

- الهاء (منه، مقته): يحيل إلى لفظ الجلالة.
- يطلع (هو): يحيل إلى لفظ الجلالة.
- الكاف (منك): يحيل إلى خليفة عمر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٨- "وأوصيك أن تخشى... في الله".

- أن تخشى (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.

٩- "وأوصيك بالعدل... قلبك".

- هم (حوائجهم، ثغورهم، غنيّهم، فقيرهم): يحيل إلى الرعيّة.
- الكاف (أوصيك، لقلبك، لوزرك، أمرك، سريرتك، بينك، قلبك): يحيل إلى خليفة عمر.
- تفضي (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- يعرف (هو): يحيل إلى لفظ الجلالة.

١٠- "وآمرك... حرمه".

- الكاف (آمرك، تأخذك): يحيل إلى خليفة عمر.
- تشتد (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- الهاء (حدوده، معاصيه، حرمه): يحيل إلى لفظ الجلالة.
- هم (بعيدهم): يحيل إلى الناس.

- الهاء (منه): يحيل إلى أحد.

١١- "واجعل..".

- اجعل (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (عندك): يحيل إلى خليفة عمر.
- تبالي (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (ناصرك): يحيل إلى خليفة عمر.
- إيّاك: يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (ولاك): يحيل إلى خليفة عمر.
- فتجور (أنت) وتظلم (أنت) وكرم (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (نفسك): يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (عليك): يحيل إلى خليفة عمر.
- أصبحت (التاء): يحيل إلى خليفة عمر.
- اقترفت (التاء): يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (لدنياك): يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (لك): يحيل إلى خليفة عمر.
- اقترفت (التاء): يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (غلبك): يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (لك): يحيل إلى خليفة عمر.
- أفاء (هو): يحيل إلى لفظ الجلالة.
- الهاء (عليه): يحيل إلى لفظ الجلالة.
- الهاء (معاصيه): يحيل إلى لفظ الجلالة.

١٢- "وأوصيك ألا ترخص لنفسك في ظلم أهل الذمة".

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز الرسائل الجامعية

- الكاف (أوصيك، لنفسك): يحيل إلى خليفة عمر.
- ترخص (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.

١٣- "وقد أوصيتك... الآخرة".

- الكاف (أوصيتك، خضضتك، لك): يحيل إلى خليفة عمر.
- أبتغي (أنا): تحيل إلى عمر.

١٤- "واخترت... ولدي".

- الكاف (دلالتك): يحيل إلى خليفة عمر.
- التاء (اخترت، كنت): يحيل إلى عمر.
- الهاء (عليه): يحيل إلى (ما كنت...).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

١٥- "فإن عملت... معاصيه".

- التاء (عملت، أخذت، انتهيت): يحيل إلى خليفة عمر..
- الكاف (وعظتك، أمرتك، يهمك، عنك، بك، رأيك): يحيل إلى خليفة عمر.
- تقبل (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- تنزل (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- الهاء (به، فيه): يحيل إلى الذي يرضي الله.
- هم (فأوردهم): يحيل إلى القرون السالفة.
- الهاء (معاصيه): يحيل إلى لفظ الجلالة.

١٦- "ثمّ اركب... السلام".

- اركب (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- خض (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- كن (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- الكاف (نفسك، أنشدك، عليك، عليك): يحيل إلى خليفة عمر.

- التاء (ترحمت، أجللت، رحمت، ووقرت): يحيل إلى خليفة عمر.
- هم (كبيرهم، صغيرهم، عالمهم، تضربهم، فتغضبهم، تحرمهم، عطاياهم، محلهم فتفرهم، تجمرهم، نسلهم، منهم، دونهم، قويهم، ضعيفهم): يحيل إلى جماعة المسلمين.
- الواو (فيذلوا): يحيل إلى جماعة المسلمين.
- تستأثر (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- تغلق (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- فتقطع (أنت): يحيل إلى خليفة عمر.
- أشهد (أنا): يحيل إلى عمر.

٢- التطابق الإحالي:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

التطابق شرط من شروط الربط بين الجمل، ويكون في الشخص والعدد والنوع والتعيين والإعراب، أمّا في الإحالة فيتفاعل نسق الضمائر مع نسق التطابق، ولا يمكن دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر، وبينهما اشتراك لفظي يجعل من الأشكال الوظيفيّة نفسها علامات للتطابق وضمائر في الوقت ذاته، ففي قولنا: "جاؤوا" اتفاق بين النحويين على أنّ الواو ضمير متصل في محل رفع فاعل؛ ولا يذكرون أنّها علامة تطابق؛ في حين أنّهم يرون التاء في "جاءت" علامة تطابق، ويقدّرون الفاعل ضميراً مستتراً، وهذا ما جعل بعض النحاة يقفون عند علاقة الضمائر بالتطابق، ويضعون فرضيّات للتمييز بينهما[١].

ولكن ما يعنينا هنا هو أنّ نذكر أنّ المواطن التي يمكن أن نعدّها من مواطن التطابق في النص كثيرة؛ مثل تطابق الفعل مع الفاعل، والمحيل مع المحال إليه، والمضمر مع المضمر عنه وغيرها، وسنذكر منها:

---

(١) الفهري، عبد القادر الفاسي (١٩٩٠). **البناء الموازي: نظريّة في بناء الكلمة وبناء الجملة**. (ط١). الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ص٩٣ وما بعدها.

- وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فقد اقترفت لدنياك...

- أوصيك بـــالمهاجرين الأولين خيراً، أن تعرف لهم سابقتهم

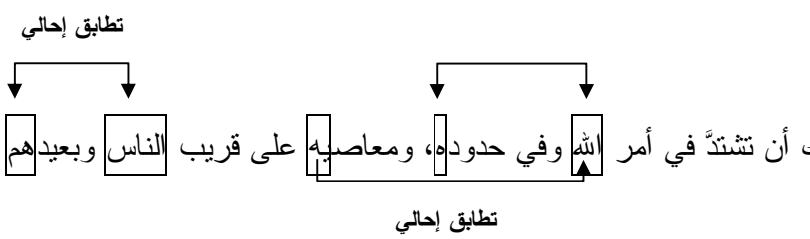

٣- الإحالة الإشاريّة:

إنّ بناء النص بناءً شموليا عمليّة تقتضي المحافظة على جميع السبل التي تمرّره إلى المتلقي دون أن يلحظ فيه ثقلاً في التلقي أو صعوبة في التواصل، وهذا يجعل الحرص على تنظيمه التعاقبي والتراتبي أمراً ملحاً؛ ففي خضمِّ تدافع المحتوى القضوي في النص لا بدّ له من أن تكون قوّة تشكيله المركزيّة قادرة على بث بعض العناصر التي تهذب أركانه، وتزيد من كثافته.

ومن هذه العناصر الإحالة الإشاريّة، إذ ترتبط عناصرها بالسياق الداخلي، وما يحيل إليه، وهي "ترتبط بالحقل الإشاري ارتباطاً آنياً محدوداً مباشراً، لا يتجاوز ملابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل، ويشمل العنصر الإشاري:

- لفظاً مفرداً دالاً على حدث أو ذات أو موقع ما في الزمان والمكان.

- جزءاً من ملفوظ أو الملفوظ كاملاً"[١].

وتجسِّد عناصر الإشارة محطات التحام واتساق واتصال في النص، تصل بعضه ببعض، وتدخل في تشكيل الترابطات والعلاقات الداخليّة التي تبني النص، ويتم فيها دمج مكوّناته الداخليّة والمعطيات المطروحة فيه.

---

(١) بحيري، **دراسات لغويّة تطبيقيّة في البنية والدلالة**، ص٨٥.

ولقد ظهر في هذا النص اثنان من العناصر الإشاريّة التي ساهمت في ترسيخ الوحدة النصيّة واتساق أجزائها، ولقد وردا كما يلي:

- "...وأوصيك بالعدل في الرعيّة، والتفرغ لحوائجهم، وثغورهم، ولا تؤثر غنيّهم على فقيرهم، فإنّ **ذلك** بإذن الله سلامة لقلبك، وحط لوزرك، وخير في عاقبة أمرك، حتى تفضي من **ذلك** إلى مَن يعرف سريرتك...".

وهنا نجد أن عنصراً إشاريّاً واحداً ظهر مرتين: الأولى، أحالت إلى (العدل في الرعيّة، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم، وعدم إيثار غنيهم على فقيرهم)، وقد جاءت حلقة وصل بين الأمر المباشر (أوصيك بالعدل...) وبيان ما يترتب على هذا الأمر من نتائج، فوصلت بين تَيْن المرحلتين ليظهرا نسيجاً متماسكاً؛ والثانية؛ وقد أحالت إلى مجمل الكلام السابق لها في السابق لها في النص، وهو جميع ما وصّى به عمر خليفته إلى أن وصل موقع اسم الإشارة (الثاني).

ولو فصّلنا الحديث في أركان الإشارة في هذين الموقعين لكان كما يلي:

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- ذلك (الأولى):
  - المشير: عمر.
  - المشار إليه: (العدل في الرعيّة، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم، وعدم إيثار غنيّهم على فقيرهم).
  - المشار به: ذلك.
  - عمل الإشارة:ربطت بين الوصيّة (المشار إليه) وفضائل اتباعها، وكان الغرض منها التعظيم، حيث أريد بها استحضار عظمة المشار إليه أمام قلب المشار له وعينه.
- ذلك (الثانية):
  - المشير: عمر.
  - المشار إليه: مجمل قوله (أوصيك بتقوى الله لا شريك له... وخير في عاقبة أمرك).
  - المشار له: خليفة عمر.
  - المشار به: ذلك.

- عمل الإشارة: أجملت الكلام السابق وطوت بعضه على بعض، وذكّرت المتلقي أن آخر الأمر معقود على أوّله، فجمعت بين الملفوظات وبُعدها الدلالي، وقد أفادت التعظيم(*) أيضاً، وأُريد بها استحضار عظمة (سلامة القلب وحظ الوزر وخير العاقبة).

- "... ولا تأخذك في الله لومة لائم، وإيّاك والأثرة، والمحاباة فيما ولاك الله ممّا أفاء على المؤمنين، فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسّعة الله عليك...":

- المشير: عمر.

- المشار إليه: (الأثرة والمحاباة فيما ولاك الله ممّا أفاء على المؤمنين).

- المشار له: خليفة عمر.

- المشار به: ذلك.

- عمل الإشارة: أحالت إلى المشار إليه، وقرّبت سبب الحرمان من سعة الله فأفادت تحقير السبب.

- "وقد أوصيتك وحضضتك ونصحت لك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة".

- المشير: عمر.

- المشار إليه: (الوصايا والحض والنصح).

- المشار له: خليفة عمر.

- المشار به: ذلك.

- عمل الإشارة: تأكيد المعنى وربط الفعل بسببه، والاستغناء عن إعادة الكلام بنصه، كما أفادت تعظيم المشار إليه وهو مجمل النصيحة.

- فإن عملت بالذي وعظتك، وانتهيت إلى الذي أمرتك، أخذت به نصيباً وافراً، وإن لم تقبل ذلك، ولم يهمّك...".

(*) انظر في أغراض الإشارة: السامرائي، **معاني النحو**، ج١، ص٨٢-٨٣.

- المشير: عمر.
- المشار إليه: (العمل بالذي وعظه، والانتهاء إلى الذي أمره) وهو متعلق بمجمل ما جاء في النص قبله.
- المشار له: خليفة عمر.
- عمل الإشارة: أغنت عن إعادة المشار إليه وأدّت دوره دون الحاجة إليه، وكذلك أفادت عظمة المشار إليه وزادت في التنبيه عليه.

- "هذه وصيتي إيّاك، ...السلام".

ونجد أنّ (هذه) قامت بالإحالة للوصيّة كاملة، وربطت بين الوصيّة وإشهاد الله على خليفة عمر، وآذنت بختام الوصيّة.

فإذا نظرنا إلى وسائل الاتساق الإحاليّة وجدنا لها أثراً بارزاً في اتساق النص، وأنّ هذا الاتساق يتطلب من المتلقي أن يسير مع النص موحَّداً فينظر داخله لمعرفة الشيء المحال عليه، والتعرّف على علاقات الترابط التي تنظم وحداته الداخليّة.

إنّ وفرة أسماء الإشارة التي تحيل إلى شيء داخلي في النص متأثرة بطبيعة النص؛ فهو مكتوب كتابة، والنص المكتوب يتميّز عن المنطوق عادة بوفرة أدوات التعليق بين وحداته، أو ما يسمّى بعلامات ما وراء اللغة مثل: ذلك أن، وحتى إن، وغيرها.

الاستبدال:

لمعرفة الاتساق يحتاج المعالج النصي أن ينظر في داخل النص ليكتشف تقنيات تنظيمه، وسلامة تركيب المظهر اللساني التي تضمن سلامة بناء الخطاب، وحينئذٍ يتأكد من كون التعابير اللسانيّة منسجمة، مع الإشارة إلى أن تحقق الاتساق لا يضمن انسجام النص(١).

والاستبدال معلم من معالم الاتساق، ومعالجته في اللسانيّات الحديثة تعتمد على "مجموع العلاقات التي تنشأ بين العنصر اللغوي والعناصر الأخرى التي يمكن أن يحل محلها في نفس السياق في التركيب"(٢)، فهو "مرتبط باتحاد السياق أو البيئة اللغويّة؛ فلا استبدال خارج السياق أو

(١) ينظر: روبول وموشلار، **التداوليّة اليوم**، ص٢١١.
(٢) عبد الله، **دور المنهج الاستبدالي في وصف العربيّة وتعقيدها**، ص٩.

البيئة اللغويّة التي يشغلها العنصر المستبدل به"[١]؛ وتكون العلاقات الاستبداليّة بين عناصر حاضرة وأخرى غائبة ولا يجمع بينهما[٢].

وفي محاولة لتلمس أثر الاستبدال في اتساق هذا النص ننظر كيف استبدل عمر الوحدات التركيبيّة استناداً إلى وظيفة الوحدة التركيبيّة في السياق والعلاقة التي تربط بينها وبين الوحدات التركيبيّة الأخرى[٣]، وهذه بعض الأمثلة:

- (أن تعرف) في: (أوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً، أن تعرف لهم سابقتهم)، حيث حل المصدر المؤول من (أن) والفعل المضارع (أن تعرف) محل المصدر الصريح (معرفتك) للتماثل الوظيفي بينهما، ولكن العدول عن المصدر الصريح إلى المصدر المؤهل يضفي معاني بلاغيّة أخرى، فـ(أن) للاستقبال، والمصدر المؤول يفيد الدلالة على الزمن، "ويستعمل للدلالة على المأمور به والمدعو له"[٤]، ولو جيء بالمصدر الصريح لربما يفهم منه مجرد المعرفة. فاستعمال هذه الصيغة جاء متناسقاً مع صيغة الأمر (أوصيك)، ومثلها (أن تأخذ) و(أن تقاتل).
- (طوعاً) في (إذا أدّوا ما عليهم طوعاً): فقد وقع المصدر (طوعاً) في موقع الاشتقاق (طائعين) في موضع الحال على خلاف الأصل[٥]، إذ البنية العميقة لهذا التركيب: إذا أدّوا ما عليهم طائعين، ولكن تماثلهما الوظيفي سمح باستبدالها، وهما غير متطابقتين في المعنى فالعدول إلى المصدر هنا يفيد التوسّع في المعنى ويؤدّي ثلاثة معانٍ في آن واحد، وهي الحالية أي طائعين، والمفعول لأجله أي للطاعة، والمفعوليّة المطلقة أي يطيعون طوعاً[٦]، وهذا يتسق مع التركيب اللاحق (عن يدوهم صاغرون)، ففيه – أي عن يد وهم صاغرون – الواو جاءت لما قد استقر وهو حالتهم التي صاروا فيها صاغرين – أي الواو – بمعنى (إذ)، وهذا يعني أنّ المقاتلة من ورائهم – أهل الذمة – تكون ما داموا خاضعين، ممّا يُتبيّن أنّ استبدال تركيب بتركيب كان لغاية تناسق التركيب مع المضمون والغاية المقصود تبليغها.

ومن الملاحظ أنّ عمر بن الخطاب لم يكن يستبدل فرعاً بأصل إلا لغاية، وقد أثبَتهُ

---

(١) عبد الله، **دور المنهج الاستبدالي في وصف العربيّة وتعقيدها**، ص٢٥.
(٢) نفسه، ص٢٦.
(٣) نفسه، ص١٢٣.
(٤) السامرائي، **معاني النحو**، مج٣، ص١٢٧.
(٥) انظر: السيوطي، جلال الدين، (ت: ٩١١هـ). **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في العربيّة**. (تحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم)، دار البحوث العلميّة، جامعة الكويت، ١٩٧٥م، ج٤، ص١٤-١٥.
(٦) انظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، المجلد (٢)، ص٢٥٠-٢٥١.

أحياناً، فجاء في (ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة) بما لو حذفه لقدِّر، وهو (مخافة) حرصاً منه على بيان علة تركيزه على تقوى الله، فلما أعاد الحض على تقوى الله اقتضت الإعادة أن يظهر ما كان يُحذف لو لم يكرر الوصية بتقوى الله[١].

- (..ولاك الله ممّا أفاك على المؤمنين) والأصل أن تكون (...ولاك الله في فيء المؤمنين) وقد جاءت بهذا الشكل لأن استعمال (ما) أكثر إبهاماً وتقع على كل شيء، ويحتمل أن المعنى من فيئكم، وبالذي تحصلونه من الفيء.

- (أبتغي) في (ونصحت لك أبتغي بذلك وجه الله...)، حيث استبدلت (أبتغي) بـــ(مبتغياً) إذ إنّ تقدير (أبتغي) مفعول لأجله لأنّه معلل لنصح عمر وحضه ووصيته، وقد عرّف النحاة المفعول لأجله بأنّه "مصدر فضلة معلل لحدث شاركه في الزمان والفاعل"[٢]، فكونه مصدراً هو الأصل وإنّما جاء به على صيغة الفعل لإفادة التجدّد والاستمراريّة وهو ما يتسق مع كون النص غاية وسيرورة يجري نحوهما.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أمّا علاقات الاستبدال المعجميّة التي تمّت في النص فيمكن تمثيلها كما يلي:

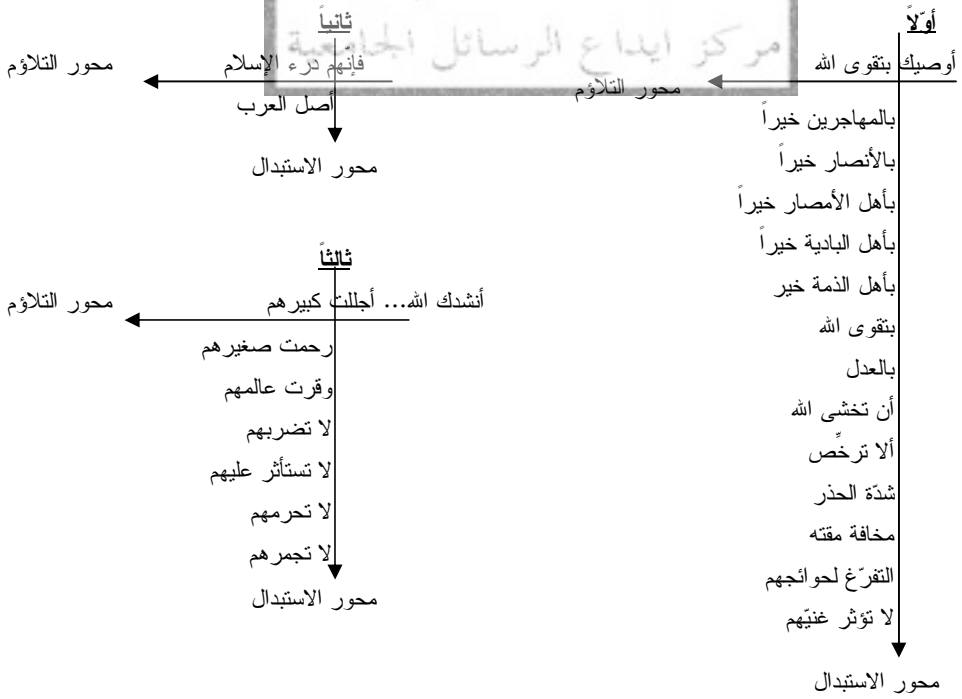

(١) في قوله تعالى: ﴿**يبيّن الله لكم أن تضلوا**﴾ (النساء: آية ١٧٦) يرى البصريون أن فيها تقدير محذوف نحو كراهة أو مخافة أو حذار، وما إلى ذلك ممّا يستقم به المعنى، ورأى الكوفيون أن التقدير يكون بمعنى (لئلا) ويكون التقدير لام محذوفة قبل (أن) و(لا) بعدها. (راجع تفصيل ذلك في: السامرائي، **معاني النحو**، مج٣، ص٢٩١-٢٩٤).

(٢) نفسه، مج٢، ص١٩٤.

الحذف:

فيما يلي جدول يبيّن الحذف في النص تقديراً للمحذوف، وبياناً للصلة بين المحذوف والقرينة الدالة عليه، وصلة الحذف بالمرجعيّة والتكرار:

تفسير المحذوف	الصلة بين المحذوف والقرينة الدالة عليه	صلة الحذف بالمرجعيّة
و(أوصيك) شدّة الحذر منه	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(أوصيك بـــ) مخافة مقته	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(أوصيك بـــ) التفرّغ لحوائجهم	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(بالتفرغ) لثغورهم	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(أن تشتدّ) في حدوده	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(إيّاك و) المحاباة	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(اقترفت لدنياك) عفة	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(اقترفت) رضواناً	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(اقترفت) معاصيه	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(أبتغي) الدار الآخرة	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(ما كنت دالاً عليه) ولدي	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
ولم يهمّك (ذلك)	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(يكن) رأيك فيه مدخولاً	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(يكن) رأيك فيه مدخولاً	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي
و(لبئس الثمن أن يكون حظ امرئ) الداعي إلى معاصيه	الاشتراك في المعنى والحكم	سياق داخلي

إذا نظرنا في هذا الجدول وجدنا الحذف راجع في معظمه إلى استخدام أسلوب العطف، فباشتراك المعطوف والمعطوف عليه في المعنى أو الحكم[١]، واتحاد السياق الداخلي للتراكيب، والاعتماد على القرائن اللفظيّة، ثمّ الاستغناء عن تلك المحذوفات، فاعترى الحذف مكوّنات النص من تراكيب ومفردات، وأهدي إليها وقدِّرت تقديراً.

ومع هذا الحذف فقد اتضحت معاني المكوّنات اللغويّة، وبلغ النص غايته في الإدلال، وحافظ على علاقاته الاتساقيّة؛ وظهر بمظهر جمالي زاده رصانة وترابطاً رصفياً، ولم يكن الحذف مُلبساً معمِّياً فقد كان النص واضحاً جلياً.

العطف:

(١) نستدل على أن ثمّة أشياء محذوفة قبل الشيء المعطوف من كون العامل في المعطوف هو الفعل المحذوف بعد العاطف، لأن الأصل في قولك جاء زيد وعمرو: جاء زيد وجاء عمرو، فحذف الفعل بعد الواو لدلالة الأوّل عليه، ولهذا يجوز إظهاره؛ وكما يكون الأوّل عاملاً في حال ظهوره يكون الثاني عاملاً في حال حذفه، ولو أنه محذوف لفظاً فهو مراد معنى، وبذلك نتعامل مع هذا النوع من العطف على أنه من باب الحذف، وليس من باب الاستبدال كما ذهب هاليداي ورقيّة حسن.

العطف أسلوب يربط بين أجزاء الكلام، ويصل معانيه بعضها ببعض، وبه تتآلف أركان القول، وتتوحّد مجرياته، وبه يتحصل الإيجاز، ويظهر أثره في ترابط النص، وبناء تنظيمه.

ومع أنّ العطف باب من الحذف إلا أنّ له خصوصيّة رابطيّة تجعله يتبوأ مكانة كبرى في الاتساق تجعله يستحق أن يكون مطلباً منفرداً من مطالب الاتساق؛ فلحروف العطف دور رئيسي في جمع شتات المكوّنات النصيّة وربطها ببعض، فهي تجمع بين المفردات الاسميّة، والمفردات الفعليّة، وكليهما، وتجمع بين الجمل، والفقرات، والبنى النصيّة.

إنّ أهميّة العطف وأثره البارز في الربط بين مكوّنات النص جعلت عبد القاهر الجرجاني يعدّه سراً من أسرار البلاغة وعلماً "لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد"(١)، فهو "فن من القول خاص دقيق"(٢).

ومعرفة أثر العطف في ترابط النص أمر دقيق، فـ"قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان"(٣)، ولا أدل على أثر العطف في اتساق النص من قول سيبويه في معرض تمييزه بين الواو والفاء: "والفاء وهي تضمّ الشيء إلى الشيء، كما فعلت الواو، غير أنّها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض"(٤).

وبما أنّ هذا النص مكتوب فإنّه يتسم بأن ثروته أكثر تشعباً واتساعاً منه لو كان شفهيّاً(٥)، وهو بذلك يحتاج عملاً أكبر في التركيز وتجميع الخطاب وإظهار العلاقات القائمة بين أفكاره، بشكل يضمن ربط هذه الأفكار وتوحيدها وجعلها تنساب في بنية لغويّة منسجمة ومتماسكة(٦)، ولا سيّما في ظل الغياب الكامل للتنغيم.

وإذا نظرنا إلى هذا النص وجدنا أنّ وحداته المعلوماتيّة الفكريّة جاءت على شكل سلسلة من البنى اللغويّة المتماسكة، وممّا رسّخ هذا التماسك وجود العديد من الأدوات الواصلة التي حكمت هذه السلسلة الفكريّة وجعلتها أكثر ربطاً وانسجاماً، ومن بين هذه الأدوات الواصلة حروف العطف، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٢٢٢.
(٢) نفسه، ص٢٤٤.
(٣) نفسه، ص٢٤٤.
(٤) سيبويه، **الكتاب**، ج٤، ص٢١٧.
(٥) العبد، **اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة "بحث في النظريّة"**، ص١٤١.
(٦) الوعر، **تقنيات الفك والربط في الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب**، ص١٦٧.

إنّ هذا النص يذكر بأسلوب سردي تتابعي مجموعة من الوصايا تتوحّد في مجموعها لتشكّل النص الكلي، فعلاقات التتابع والتشاكل فيما بين البنى النصيّة، ومشاركة كل واحدة منها في حكم ما قبلها، ودخولها في معناها جعل العطف بالواو حلقة تصل بين تلك البنى، وتلمّ شمل النص، وتؤكّد مكوّناته، وتؤلف دلالاته.

والناظر لهذا النص متتبّعاً حالات العطف يظن أنّه قد بُني على العطف وحده دون وسائل التركيب الأخرى، وذلك لسعة استخدام العطف، وتبوئه مكانة مركزيّة فيه؛ فقد حقق لعطف تناسقاً نصياً على مستويين:

أوّلاً: حقق العطف على مستوى البنى النصيّة الصغرى اتصالاً جمع بينها وربط بعضها ببعض، فبدا النص كقطار تجمع بين مركباته وصلة هي حرف العطف:

وفي هذا التتابع ربط لكل بنية بالأخرى وتعليق عليها، فالوصاية بالمهاجرين مبني على تقوى الله، والوصاية بالأنصار رديفة للوصاية بالمهاجرين، ثمّ يردف بهما أهل الأمصار ثمّ أهل البادية ثمّ أهل الذمّة، ممّا يجعل الواو تقوم مقام التجميع وتؤدّي دوراً ترتيبيّاً سوّى بينهما في الإجراء.

ثمّ يأتي حرف الواو (ثمّ) قبل الانتهاء من هذه المجموعة من الوصايا، وهي حرف يفيد التراخي، لتبيّن أنّ عمر بعد أن حشد مجموعة من الوصايا واطمأن أنّها أصبحت مركوزة في نفس المتلقي، وجد أنّ المقام أنسب لإعطائه قليلاً من الراحة النفسيّة قبل أن يعاود النصح المباشر ويلح عليه ويفصل فيه.

ثانياً: حقق العطف اتساقاً على المستوى الداخلي للبنى النصيّة، فوحّدها وأحالها شيئاً واحداً معلقاً بعضه على بعض؛ والرجوع إلى كل بنية منها يوضّح هذا ويجليه.

- في قوله: "فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم" دخلت الفاء بعد الوحدة "أوصيك بالأنصار خيراً" للدلالة على أن القبول من محسن الأنصار يعقب الوصاية بلا تراخٍ، وأتبع القبول من المحسن بالتجاوز عن المسيء مباشرةً أيضاً، فاندمجت هذه الوحدات الثلاث "أوصيك بالأنصار خيراً" و"اقبل من محسنهم" و"تجاوز عن مسيئهم" وشكّلت وحدة متماسكة من الداخل تمتاز من غيرها بنوع من الاستقلاليّة.

فكان حرف العطف (الفاء) الرابط الأساسي بين الوحدة الرئيسة (أوصيك بالأنصار خيراً) والوحدتين الفرعيتين المذكورتين، ولولا هذا الحرف لاستحال الربط بينهما بهذه الطريقة، أمّا (الواو) فقد كان الحلقة التي جمعت بين هاتين الوحدتين وجعلت منهما قطعة متكاملة.

- في قوله: "فإنّهم ردء الإسلام وجباة الأموال والفيء" عطفت الواو الأولى (جباة الأموال) على (ردء الإسلام) بعد أن تمّ استئناف الحديث عن أهل الأمصار بالفاء، ثمّ عطفت الواو الثانية (الفيء) على (جباة الأموال)، فربطت الواو الأولى بين الوصفين المطلقين على أهل الأمصار وهما: (ردء الإسلام) و(جباة الأموال)، وربطت الواو الثانية بين المضاف إليه (الأموال) و(الفيء) فوحّدت بين الوصفين، ومن ثمّ وحّدت بين الشيئين اللذين نسب إليهما الجباة وهما (الأموال) و(الفيء).

وبذلك تكون الواو قد ضغطت وحدة الوصف وجعلتها شيئاً واحداً بعد أن كانت ممتدّة على الشكل (...فإنّهم ردء الإسلام) و(إنّهم) جباة الأموال) و(إنّهم جباة) الفيء)؛ والشيء نفسه يمكن أن يقال عن دور الواو في قوله: (فإنّهم أصل العرب ومادّة الإسلام).

- في قوله: "أن تقاتل من ورائهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدّوا ما عليهم.. طوعاً أو عن يد وهم صاغرون".

نجد أنّ حرفي العطف والواو و(أو) طوّعت وحدات الكلام وجمعت بينها، فعلقت (الواو) (لا تكلفهم...) على (أن تقاتل...) واختصرت المسافة بينهما وقرنت بينها، كما قرنت (أو) بين الحالين (طوعاً) و(عن يد وهم صاغرون).

ونلاحظ في هذه البنية أنّ الواو قد جمعت بين جملتين (أن تقاتل...) و(لا تكلفهم...)، بينما ربطت (أو) بين كلمة (طوعاً) وتعبير (عن يد وهم صاغرون).

- في قوله: "أوصيك بتقوى الله، وشدّة الحذر منه، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة".

ضمَّت الواو الأولى (شدّة الحذر منه) إلى (تقوى الله) في لفظ الوصاية نفسه (أوصيك) وضمَّنت الواو الثانية معنى الوصاية في (مخافة) وعطفتها عليها أيضاً، وعملت كل منهما على إدخال معطوفها في حكم المعطوف عليه (بتقوى الله)، وأغنت كل منهما عن إعادة جملة (أوصيك) ومتبوعها حرف الجر (الباء)، فجعلت محصَّل ذلك وحدة واحدة متضامة متماسكة، وفي الوقت ذاته متناسقة ومنسجمة.

- في قوله: "أوصيك بالعدل في الرعيّة والتفرّغ لحوائجهم وثغورهم، ولا تؤثر غنيّهم على فقيرهم".

أدخلت الواو الأولى (التفرغ لحوائجهم) في عُرف الوصاية بالعدل، وأشركتها في حكمها، وقامت الواو الثالثة بإدخال (ثغورهم) في حكم (لحوائجهم) وعلقتها على (التفرغ)؛ بينما أدخلت الواو الثالثة (لا تؤثر غنيّهم...) في حكم الوصاية بعطف الجملة كاملة (ولا تؤثر غنيّهم...) على جملة (أوصيك) دون أن تكتفي بصيغة الاسميّة مثل (وعدم إيثار غنيّهم...).

- في قوله: "فإنّ ذلك – بإذن الله – سلامة لقلبك، وحط لوزرك، وخير في عاقبة أمرك...".

بما أنّ المخبر عنه واحد فإنّ معنى الجمع في الواو بدا أكثر قوّة وظهوراً، وجاء الأمر صريحاً[1]، وعُرف أثر الواو في ربط كل جملة بما قبلها، وبنائها عليها، فبدت هذه الجمل المتضامّة سبيكة متماسكة.

- في قوله: "...حتى تفضي من ذلك إلى ما يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك".

عطفت الواو – قبل يحول – جملة (يحول) على جملة (يعرف) وأدخلتها في دائرة صلة الموصول (مَنْ) وجعلتها متصلة لما لها بينهما من مناسبة، ثمّ عطفت الواو (بين قلبك) على بينك وأشركتها فيها، لتعلقهما ببعض ونزولهما منزل الشريكين أو النظيرين مشتبكي الأحوال.

وجملة الأمر أنّ العطف في هذا النص حقق اتساقاً بما أضفاه عليه جمع واستمراريّة واتصال، وإفادة الترتيب أحياناً، فالعطف في النص لم يكن بين المتعاطفات بلا مناسبة بينها ولا رابط، بل جاء الرابط إمّا باعتبار المسند إليه أو باعتبار المسند أو باعتبارهما معاً، ولم يأتِ عطف بنية نصيّة على أخرى، أو عطف جملة على أخرى، أو عطف لفظة على أخرى إلا أن تكونا مشتبكتي الأحوال وبينهما علاقة تسوِّغ الضمّ.

---

(١) يُنظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٢٢٦.

وإذا سرّحنا البصر في أشتات النص، ونظرنا إلى عمل العطف فيها وجدناه مستحوذاً عليها، جامعاً لها، محيطاً بها، سائراً معها؛ وللدلالة على ذلك يمكن أن نشير إلى علاقات العطف في النص بالشكل التالي:

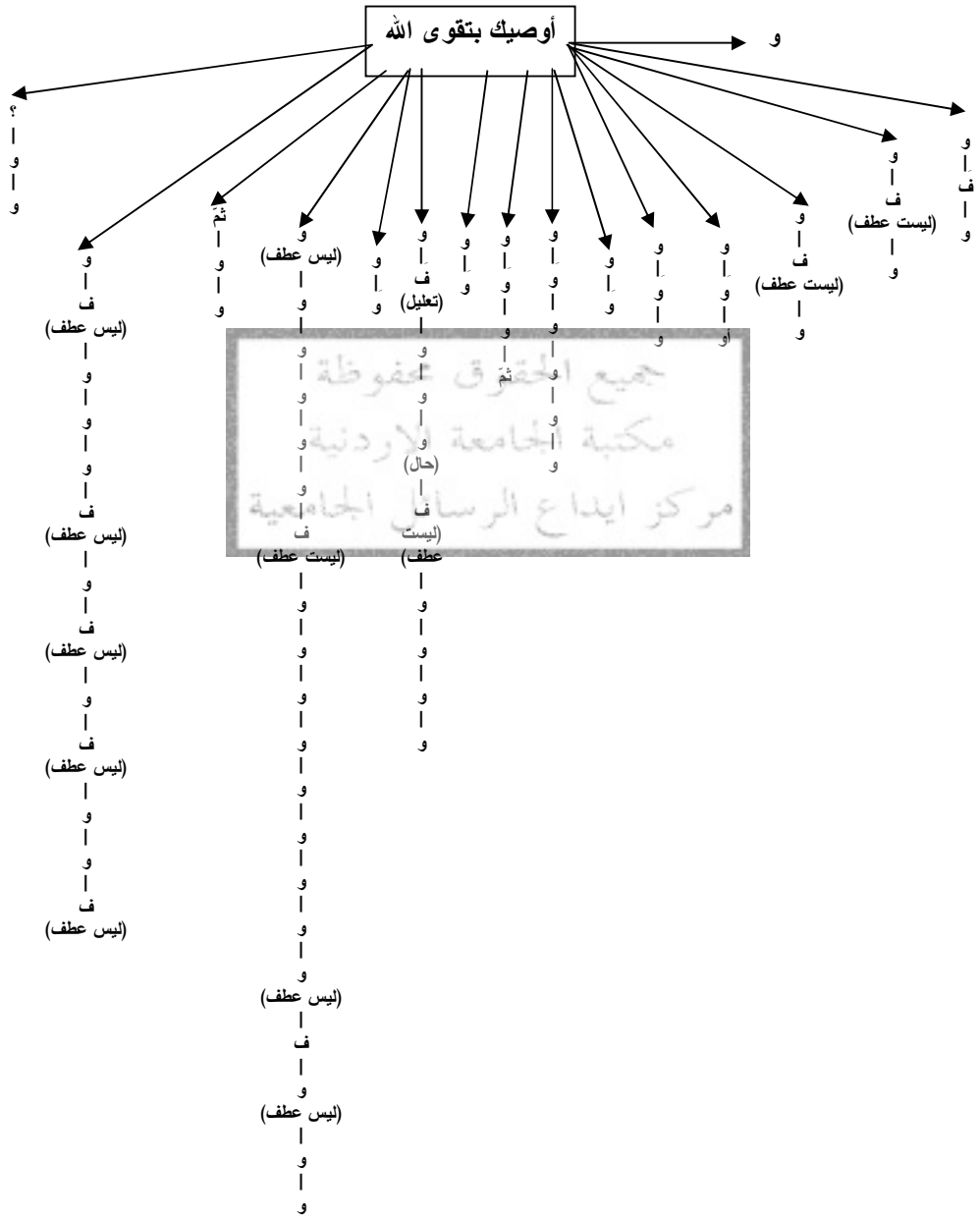

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الاتساق المعجمي:

ينطلق البحث في الاتساق المعجمي من كون النص وحدة لغويّة علاقاتها الداخليّة متماسكة ومترابطة تتابعيّاً، ومنتقاة ومنظمة وفق مخطط تنظيمي نابع من أسس منطقيّة محدّدة، "فالعلاقات التي توحّد بين الألفاظ يمكن أن تنمو على صعيدين يتلاءمان مع شكلين من أشكال النشاط الذهني، أوّلهما صعيد المركبات (السلسلة الكلاميّة)، حيث تستمد كل لفظة قيمتها من تعارضها مع سابقاتها ولاحقاتها، أمّا النشاط التحليلي الذي ينطبق على المركب فهو التقطيع. والصعيد الثاني هو صعيد تداعي الألفاظ وتجميعها خارج الخطاب"[١]، وهي تتضمّن الناحية الدلاليّة والمعجميّة والنحويّة والصوتيّة والصرفيّة بحسب ما يقتضيه السياق.

وفيما يلي مظاهر الاتساق المعجمي التي ندرس تأثيرها في العلاقات الدلاليّة للوحدات اللفظيّة لهذا النص:

جميع الحقوق محفوظة

أوّلاً: التكرار في النص:

نجد في هذا النص كثيراً من حالات التكرار، ولقد اتسقت اتساقاً حسناً شغل النفس عن كثرتها، وبدت من مكمّلات المعاني، متوائمة مع الموضوع، ملائمة للمقام، وجاء التكرار على القدر اللائق بالمتكلم.

فعمر – رضي الله عنه – يعرف قيمة الكلام ومزية التكرار، وأثره في نفس السامع وتمكّنه من قلبه، فتأخذه نشوة التأثر[٢]؛ ولذلك نجده يكرّر في النص ألفاظاً كثيرة، ومعاني عديدة، من أجل تأكيد ما أراد أن يقول وإقراره في نفسه المتلقي؛ وهذا ممّا يتناسب مع طبيعة المقام، فالأمر أمر خلافة المسلمين، وعمر راحل إلى غير رجعة، ولا يعرف مَن يكون خليفته تحديداً، ولا يدرى كيف سيصرّف أمور الرعيّة، وهذا كله ممّا يستدعي الشك في نفس عمر ويجعله يعمد إلى ما عمد إليه من التكرار.

---

(١) إبراهيم والغانمي وعلي، **معرفة الآخر**، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) ذكر الجاحظ أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لمّا أنشد شعراً لزهير وسمع قوله:

وإن الحـــــق مقطعُـــــه ثـــــلاثٌ يمـــــين أو نِفـــــارٌ أو جـــــلاءُ

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق، وتفصيله بينها، وإقامة أقسامها:

وإن الحـــــق مقطعُـــــه ثـــــلاثٌ يمـــــين أو نِفـــــارٌ أو جـــــلاءُ

يردّد البيت من التعجّب، ومثل هذا في مواقف أخرى، ممّا يدل على أنه كان يعرف أثر التكرار على النفس بما وقع في نفسه من نشوة التأثر التي جعلته يردّد ما يسمع. (راجع: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص١٣٥).

أمّا حالات التكرار التي وردت في النص بحسب أنواعها، فهي كما يلي:

١- حالات التكرار التام:

- أوصيك:

هذه اللفظة هي الكلمة الأولى في النص، وتكرّرت فيه عشر مرّات، وفي كل مرّة جاء موقعها بداية لبنية نصيّة، ومنها تمّ استئناف الحديث، وتصدّرت تسع بنى متوالية، فكانت جميعها "تتصف بغلبة الأنساق التأكيديّة"(١)، وأدّت دوراً بلاغياً أغنى المعنى العام ورفعه إلى مرتبة الأصالة(٢)، وتواءمت مع بعض قواعد التكرار الحديثة من مثل "أنّ اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام، وإلا كان لفظيّة متكلفة لا سبيل إلى قبولها"(٣).

فكلمة (أوصيك) لا ترتبط بالمعنى العام فحسب، بل هي المعنى كله وكل المعنى هي؛ فالنص وصيّة وجاءت هي تصرّح بذلك وتلحُّ عليه، فمثلت كنه النص وعماده ومركزه الذي يجذب إليه الألفاظ، ويستدعي إليه المعاني، وبه ينتظم النص في قالب معيّن.

ولقد جاءت في مواقعها العشرة في بداية أمور مهمّة، تعظم العناية بها، ويُخاف بتركها وقوع الغلط أو النسيان أو الاستهانة بقدرها فتظلم الرعيّة ويضل الخليفة، فيُهلك ويَهلك؛ فجعل يردّدها إمعاناً في التنبيه والتحذير.

ولما لها من ارتباط وثيق بالمعنى العام والغرض والغاية من النص، فقد أثرتْ في التخطيط النصي وشكّلت نسقاً معيّناً في تركيب البنى والمقاطع النصيّة، فأكسبت النص تناغماً إيقاعيّاً هيمن على البنية الكليّة للنص، وأصبغه بصبغة مميّزة، يمكن تمثيلها على النحو التالي:

أوصيك + بـــ + ...

أوصيك + بـــ + ... + خيراً + أن + ...

أوصيك + بـــ + ... + خيراً + فـــ + ...

أوصيك + بـــ + ... + خيراً + فـــ + ...

أوصيك + بـــ + ... + خيراً + فـــ + ...

---

(١) فراي، **تشريح النقد**، ص٤٣٥.

(٢) يطلق النقاد الغربيون على مثل هذه الحالة من التكرار مصطلح "أنافورا" وقد عرّبه بعض مترجمينا بالأنفرة، وبعضهم الآخر بتكرار الصدارة، "وهو – على كل حال – يصف نوعاً من تكرار الكلمات أو الجمل في أوائل الأبيات أو الفقرات لأغراض بلاغيّة". (فراي، **تشريح النقد**، ص٤٣٥).

(٣) الملائكة، نازك، (١٩٩٧). **قضايا الشعر المعاصر**. (ط١٠). بيروت: دار العلم للملايين، ص٢٦٤.

أوصيك + بـــ + ... + خيراً + أن + ...

أوصيك + بـــ + ... + أن + ...

أوصيك + أن + ...

أوصيك + بـــ + ... + فـــ + ...

أوصيك + ألا (أن لا) + ...

- خيراً:

تكرّرت هذه الكلمة خمس مرّات، ولقد جاءت تمييزاً للوصيّة عامّة ولكل فئة خاصّة، وكان الإلحاح عليها في كل مرّة معبّراً عن الغاية التي وُضعت من أجلها الوصيّة وهي إرادة الخير للناس، وكان موقعها من خمسة البنى التي جاءت فيها ثابتاً، وإيقاعها متساوٍ، ممّا جعل النص متناسقة أشكاله متماثلة، وأوضاعه متشابهة، يمتاز بنمطيّة تكراريّة تمازج بين ألوان التنبيه الفني المستمدّة من التوازي الإيقاعي للتركيب.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- الإسلام:

وردت هذه الكلمة في النص مرتين، وجاءت في سياقين داخليين منسجمين مع السياق الداخلي العام، ومتلائمين مع مكوّناتهما الداخليّة؛ فالسياق الداخلي العام يتحدّث عن أمّة الإسلام ودولتهم، ومصيرهم، وتسيير حياتهم، والسياق الداخلي الخاص يفصّل في أمر فئات المجتمع ويبيّن ميّزات كل فئة ما لها وما عليها، وأثرها في الإسلام ديناً ودولة، ولذلك لم يكن استخدامها في هذين الموقعين منفراً أو مصطنعاً مدخولاً.

- الله:

إنّ لفظ الجلالة محور رئيس من محاور جميع الخطابات الدينيّة أو الدنيويّة المستندة للدين، ولذلك فلا عجب من وروده في النص، أو من تكراره، ولكن نسبة وروده وتكراره هي التي تكون لافتة، بحيث تشف هذه النسبة عن اقتراب كل من القائل والمتلقي من حضور الله شرعاً وتحكيماً في نفسيهما أو بعدهما عنه؛ وهذه النسبة يستدل على الباعث النفسي الموجّه لهما.

وما دام رضى الله – في مقامنا هذا – محط الأنظار، والغاية التي تنشد، والهدف الذي يُسعى إليه، والخوف منه يَرُجُّ الأبدان ويزلزل النفوس، فإنّ تكراره (١٥) مرّة منسجم مع المقام

الحالي والمقام المقالي، لا يخرج عن الغرض العام، ولا يهلهل الهيكل العام، وإنّما يزيد في سبك النص، ويمتن حبكه ويضفي عليه صدقاً وجمالاً.

- الناس:

تكرّرت هذه الكلمة في النص أربع مرّات، وجاء استخدام هذه اللفظة في سياقاتها الأربعة منسجماً مع مدلولها المعجمي، فهي اسم جنس من المخلوقات كلهم يستوون في الصفات، وجيء بها هنا لتعبّر عن علاقة هذا الجنس بالخليفة واستوائهم أمامه، ولذلك فقد كان تكرارها بحسب الحاجة لاستقدام هذه العلاقة ووضعها أمام عيني الخليفة، وتبصيره بها.

- تقوى الله:

إنّ هذا التعبير يشبه أن يكون الثيمة العامّة للنص، والمحور الذي يدور حوله، والضابط الذي يستند إليه، والمقياس الذي توزن به الأمور، ولذلك فقد تكرّر في النص في موقعين أساسيين مَثلا بوابتين رئيسيتين في التقسيم التشكيلي للنص، فالأولى سبقت تصنيف فئات المجتمع الإسلامي، والثانية وقفت قبل تفصيل التعامل مع جميع هذه الفئات، وكانت كل منهما المركز الذي ينبغي المرور به حتى تكون أقطار الدائرة متساوية، وكان لتكراره في المرّة الثانية تجديداً لتذكير النفس وربطها به.

- المؤمنين:

تكرّرت هذه الكلمة في النص مرتين، وجاءت في سياقين داخليين متطابقين، وهما سياقان يتحدّثان عن المال الذي تناله الدولة من غير قتال، وفي ذلك توكيد على أحقيّتهم به، وأنّه مقصور عليهم، ولا يجوز أن يتصرّف الخليفة به إلا طبقاً لهم، ووفقاً لحالتهم.

- اقترفت:

جاءت هذه اللفظة في النص فعلاً للشرط وجواباً له، ولذلك فقد كان لتكرارها في المرّة الثانية وقعاً تأثيريّاً في النفس يفيد الترغيب، ويبصّر بحسن العاقبة، ويبيّن للمتلقي أنّ الجزاء يقترن بالعمل، فلمّا قال: (اقترفت) وجد من حسن التوضيح ما يريه أن ما يترتب عليها هو (اقترفت)، ولذلك فقد ربط الثانية بالأولى وجعل بينهما وثاقاً ينبئ عن ارتباط ما يؤلان إليه.

- معاصيه:

وردت هذه اللفظة في النص ثلاث مرات، وكان سياقها فيها جميعاً سياق تحذير وتنفير منها، فالأولى حذر فيها عمر من الازدواجيّة في التعامل مع مرتكبها، وفي الثانية والثالثة نفر

منها وحذر من الوقوع فيها، وهي بذلك تنسجم مع السياق الداخلي الذي وردت فيه، وتعضد معاني النهي الواردة في النص، وتقوّي وضوح ما يجب أن يبتعد عنه.

- نفسك:

وقد جاء ورودها في النص مرتين متساوقاً مع طبيعة الهيكل التنظيمي للنص، إذ إنّ بناء النص على التقابل الخطابي بين عمر وخليفته يحتاج لأن يكون حضور كل واحد منهما بارز فيه، وبروز تقابلهما لا بدّ أن يكون له علامات، وهي غالباً ما تعتمد على ضميري المتكلم والمخاطب، وهما في النص كثيران، ولكن بروزهما يتمثل في أوضح صوره في المقابلة المباشرة بينهما، وهي هنا معبَّر عنها بإضافة نفس إلى ضمير المخاطب، ولتكرارها إلحاح على إبراز حضور المتلقي واستحضاره في نفس القائل.

- أهل الذمّة:

ورد هذا التعبير في النص مرتين، الأولى: في مرحلة تصنيف فئات المجتمع الإسلامي، والثانية: جاءت لاحقة لمرحلة طال فيها النصح والإرشاد والتنبيه، ولذلك فقد دخل في نفس القائل من نسيان المتلقي لأهميّتها خشية وارتياب، فرأى ضرورة الإعادة والتأكيد على أهميّتها، وأراد أن ينبّه المتلقي على أنّها تدخل ضمن بنية العدل وأنّه لا يكتمل إلا إذا شملها وأحاط بها؛ وتكرارها مرّة ثانية جاء متسقاً مع سيرورة النص ومنسجماً مع الحديث عن قيام العدل واستوائه.

- الحق:

إنّ ورود (الحق) في نص يتحدّث عن مُثل عليا، ومعايير في التصرّف شيء طبيعي، فهو معيار يحتكم إليه ولذلك فقد جاء تكرارها منسجماً مع البنية الدلاليّة للنص، وربطت أجزاء النص بعضها ببعض ووطدت من تماسكه الدلالي.

- بئس:

جاءت هذه الكلمة في موضع ذم وتحقير، وكان تكرارها إمعاناً في التنفير من المآل إلى الشيء المذموم، فقد أدّت دوراً في عقد المقابلة بين الحسن المرغب به، والسيء المنفر منه، وهذا يجعلها متسقة مع هذه البنية التقابليّة.

هذا، وإذا نظرنا إلى التكرار التام في النص بشكل عام وجدناه يهدف إلى تفاعل النص وإثراء الدلالات المرتبطة بهذه الألفاظ وتقوية الارتباط بها، وعرفنا أنّ حالات التكرار هذه

ابتعدت عن إعادة تراكيب وألفاظ بعينها بالدلالات ذاتها، وإنّما جاء لغايات بلاغيّة وإبلاغيّة بعيداً عن الحشو والاسترسال اللذين يسودا في الخطاب المنطوق.

٢- التكرار الجزئي:

برز التكرار الجزئي في النص بروزاً يلفت النظر، اتكأ عليه اتكاءً كثيفاً، وتحكّم في إظهار المعاني وتسليط الضوء على نقطة حساسة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بالحرص على وضوح كل محور من محاور حديثة، ويضع بين أيدينا مفاتيح للأفكار المتسلطة على القائل، ويمثل جزءاً من الهندسة الشعوريّة التي بنى عليها نصّه دون أن يقصد أن يثير به نوعاً من الصدى اللفظي الخالي من قيمة دلاليّة، فالنص لم يُبن على الجناس وفي الوقت ذاته كان حريصاً على البُعد عن إثارة الملل والضجر في نفس المتلقي؛ وفيما يلي حالات التكرار الجزئي الواردة في النص:

(أغنيائهم – غنيّهم – الأغنياء)، (الفيء – فيئهم – أفاء – بالفيء)، (أموال – المال)، (الآخرة – الدار الآخرة)، (أمرك – أمر الله – الأمور)، (أوصيك – أوصيتك – وصيتي)، (فقرائهم – فقيرهم – فتفقرهم)، (بمنزلة – منازل – تنزل)، (لومة – لائم)، (دلالتك – دالاً)، (أمرتك – آمرك)، (فأوردهم – الورد – الموروذ)، (ترحّمت – رحمت)، (الأثرة – تستأثر – تؤثر)، (تحرم – تحرمهم)، (اجعل – تجعل)، (رضواناً – يرضى)، (الأهواء – الهوى)، (الإسلام – المسلمين).

٣- حالات تكرار المعنى باختلاف اللفظ:

لا شكّ أنّ هذا النص من الأمور المهمّة التي يحسن فيها التكرار، ويحتاج إليه، خشية وقوع النسيان أو الاستهانة أو الغلط، ولا يعد عيباً ما دام لحكمة تقرير المعنى في حاجة تعظم العناية بها، فالحاجة إلى الإطناب في مكانه كالحاجة إلى الإيجاز في مقامه.

ولمّا كان التكرار المعنوي عاضداً للتكرار اللفظي، وممّا يزيد في المعنى المقصود وضوحاً، فقد لجأ إليه عمر – رضي الله عنه، وعمل على تطويق معانيه بالمحدّدات اللفظيّة، ورفدها بما يقوّيها، والحدّ من إطلاق التأويلات؛ فجاء تكرار المعنى باختلاف اللفظ في الحالات التالية:

- (شدّة الحذر – مخافة... أن يطلع).

تجيش مشاعر الخوف والتوجس في نفس عمر ولذلك نجده يلح على هذا المعنى بإعادة ذكر الألفاظ بما يكافئها دلالياً، وتنتابه أحياناً صرعات تجعله يتخذ أقصى درجات التطرّف في التعبير من أجل فكرته، إذ كان يكفيه (الحذر) ولكنه لجأ إلى (شدّة الحذر) وتكرار المعنى في (مخافة) لهذا الغرض، وهذا ينسجم مع جلالة الخطب وعظمة المهمّة.

- (أوصيك بالعدل في الرعيّة، واجعل الناس سواء عندك).

وهاتان العبارتان يؤدّيان المعنى نفسه في سياقهما، فمقابل (عدل): (سواء)، ومقابل (أوصيك): (اجعل عندك) ومقابل (الرعيّة): (الناس).

- (تجور – تظلم).

الجور والظلم ينتميان إلى الحقل الدلالي نفسه ويؤدّيان المعنى ذاته، ولكن عطف إحداهما على الأخرى مع كون المُخبر واحداً يزيد في قوّة المعنى وظهوره، ويكون الأمر حينئذٍ صريحاً.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- (الهوى – شهوة).

الهوى اسم جنس لما ترغبه النفس وتطلبه، والشهوة حالة معيّنة تمرّ بالنفس تكون جامحة نحو شيء معيّن وذكرهما معاً في السياق ذاته هو تأكيد لمعنى ما يودّ المتكلم في زيادته لغرض بلاغي ما، وهو هنا أن يربطهما بالسلوك غير السوي البعيد عن عين الرشد والصواب.

- (المؤمنين – جماعة المسلمين).

جاء هذان التعبيران معبرين عن فئة من الناس، وهم مَن يدينون بالإسلام ويؤمنون بدينه، ولمّا كان كل منهما يؤدّي الغرض ذاته فقد عمد إلى المزاوجة بينهما بُعداً عن الإملال مع كونه لا يستغني عن إعادة أحدها.

- (أوصيتك – حضضتك – نصحت لك – وعظتك).

جاءت هذه الكلمات جميعاً في سياق داخلي واحد رَصَفها بشكل جعلها تؤدّي معنى حِرْص عمر على خليفته، حتى يرفد مجموعُ معانيها هذا المعنى، ويحدُّ من خواطر الشك، ويعطي الطمأنينة بقبول الأمر واتباعه بحذافيره، والسير عليه، وتتبع كل ما ورد صغيره وكبيره.

- (أجللت – وقرت).

وردت هاتان الكلمتان في سياق تفصيلي جعل من عمر لا يترك حيلة للإحاطة بما يريد إلا اتبعه، ولذلك أخذ بوضع كل وصف للصنف الذي يلائمه، بحيث لا يترك أحداً، ويميّز بين كل فريق والمعاملة والموائمة له، فللكبير الإجلال، وللصغير الرحمة، وللعالم التوقير، وهكذا...

- (ثغورهم – البعوث).

الثغور هي نقاط التماس مع العدو، والبعوث هي ما يصل تلك الثغور وغيرها من رجالات المسلمين للدفاع عن الدولة الإسلاميّة، وجاء تكرارهما بالمعنى العام الذي يؤدّيانه بحكم أنّهما نقطة حساسة في استقرار المسلمين ودولتهم.

٤- حالات التوازي:

إنّ الحديث عن حالات التوازي في النص، أي نص، ينبع من منهاجيّة متكاملة تتجاوز مقولات الجملة إلى الخطاب باعتباره "وحدات لغويّة طبيعيّة منضدة متسقة ومنسجمة"(١)، وتبيّن أبعاده الفكريّة والإيديولوجيّة عبر التعابير اللغويّة ومؤشراتها، وذلك من خلال "وصف ترابط الخطاب مهما كان جنسه، واسترساله، وعلائقه الدلاليّة ونمو موضوعاته وخصائصه"(٢)، وعلى ضوء هذا نفهم كيف "وظف هاريس مفهوم الفئات المتوازية التي تحدث في محيط تركيبي متعادل، بواسطة استعمال المتواليات المتكرّرة المتعادلة والمتطابقة نحويّاً"(٣)؛ و"نُجيِّر" هذا الفهم لمعرفة توازي المتشابهات في الشكل، وتسلسلها في الزمن، وتضادها أو ترادفها في المعنى.

ولقد جاءت حالات التوازي في هذا النص بوصفها عنصراً توليدياً تأسيسياً وتنظيميّاً يساهم في تنضيد النص وتنسيقه وانسجامه، وقد تشكّلت هذه الحالات على النحو التالي:

- (أوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً) مع (أوصيك بالأنصار خيراً) مع (أوصيك بأهل الأمصار خيراً) مع (أوصيك بأهل البادية خيراً) مع (أوصيك بأهل الذمة خيراً) مع (أوصيك بتقوى الله).

- (أوصيك بالمهاجرين... أن.. سابقتهم) مع (أوصيك بأهل الذمّة... أن... ورائهم).

- (أوصيك بأهل الأمصار... فإنّهم... منهم) مع (أوصيك بأهل البادية... أن... فقرائهم).

---

(١) مفتاح، محمد، (١٩٩٦). **التشابه والاختلاف (نحو منهاجيّة شموليّة)**. الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ص٣٥.
(٢) نفسه، ص٣٧-٣٨.
(٣) نفسه، ص٣٨.

- (أوصيك أن تخشى الله... في الله) مع (أوصيك ألا ترخص... الذمّة) مع (آمرك أن تشتدّ... وبعيدهم).

- (أوصيك بتقوى الله، وشدّة الحذر منه، ومخافة مقته) مع (أوصيك بالعدل في الرعيّة، والتفرّغ لحوائجهم، وثغورهم).

- (فإن اقترفت لدنياك عدلاً... ورضواناً) مع (وإن غلبك عليه... ومعاصيه) مع (فإن عملت بالذي وعظتك... وافراً) مع (وإن لم تقبل... مدخولاً).

- (فأجللت كبيرهم) مع (ورحمت صغيرهم) مع (ووقرت عالمهم).

- (لا تضربهم فيذلوا) مع (لا تستأثر... فتغضبهم) مع (لا تحرمهم... فتفقرهم) مع (لا تجمرهم... فتقطع نسلهم) مع (لا تغلق... ضعيفهم).

ثانياً: المصاحبة المعجميّة:

جميع الحقوق محفوظة

إنّ البحث في النص بحث متكامل؛ فوصفه شكلاً يقود إلى بحثه مضموناً، وبحثه مضموناً يؤدّي إلى وصفه شكلاً، لأن علاقاته الداخليّة والخارجيّة تنسج فضاءها باعتبارها حمولة معرفيّة تترابط وتتداخل أشدّ تداخلاً وأوثق اتصالاً[١]. وتعدّ علاقات الألفاظ المكوّنة للبنى الداخليّة ممّا تقوم عليه هذه "الحمولة المعرفيّة"، ذلك أنّ ألفاظ اللغة "لم توضع معانيها لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضمَّ بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما فوائد"[٢] اعتماداً على "البنية النظميّة وعلى المفردات المستعملة في رسالة لغويّة للتوصّل إلى فهم معيّن لها"[٣].

وبالنظر إلى هذه الألفاظ التي شكّلت البنية النظميّة لهذا النص، نجد أنّها ضمن الحقل الدلالي العام للنص، وأنها جاءت مضمّنة في الحقول التالية:

أ- ألفاظ دالة على دستور الحكم العام وفق ما يراه عمر ويرتضيه: تقوى الله، الحذر منه، مخافته، خشيته، عدم خشية الناس، العدل، التسوية بينهم، البُعد عن الظلم والجور والمحاباة والهوى والشهوات، الرحمة، الإجلال، التوقير، عدم الاستئثار، عدل، عفة.

ب- ألفاظ دالة على القصديّة المباشرة في الإخلاص: أوصيك، أوصيتك، حضضتك، اخترت، نصحت لك، وعظتك.

---

(١) ينظر: نور الدين، **حدود النص الأدبي: دراسة في التنظير والإبداع**، ص٢٧.
(٢) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٥٣٩.
(٣) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص٢٦٧.

ج- ألفاظ دالة على الترغيب والتحذير: سلامة لقلبك، حط لوزرك، خير في عاقبة أمرك، إيماناً ورضواناً، نصيباً وافراً، إيّاك، سخط الله، معاصيه.

د- ألفاظ دالة على خليفة عمر: منك، لقلبك، لوزرك، أمرك، سريرتك، بينك، عندك، لدنياك، بك، نفسك، لك، عنك، رأيك، قبلك، عليك.

وتشير العلاقات القائمة بين الألفاظ المعجميّة الناتجة بحكم مصاحبتها في النص إلى محورين من محاور التقابل، على النحو التالي:

الأوّل: تقابل التناقض والتغاير والتضاد: (محسنهم/ مسيئهم)، (تأخذ/ تردّ)، (طوعاً/ وهم صاغرون)، (أن تخشى/ لا تخشى)، (غنيّهم/ فقيرهم)، (قريب الناس/ بعيدهم)، (الدنيا/ الآخرة)، (العدل والعفة/ الهوى والشهوة)، (رضوان/ سخط)، (العدل/ الظلم)، (وافراً/ انتقاصاً)، (كبيرهم/ صغيرهم)، (قويّهم/ ضعيفهم).

الآخر: تقابل التشاكل والتكامل والمضاهاة والمماثلة: (أوصيك/ خيراً)، (حوائجهم/ ثغورهم)، (حدوده/ معاصيه)، (الأثرة/ المحاباة)، (تجور/ تظلم/ تحرم)، (عدل، عفة)، (إيماناً/ رضواناً)، (سخط الله/ معاصيه)، (الهوى/ الشهوة)، (أوصيتك/ حضضتك/ نصحت لك)، (لم تقبل/ لم يهمك)، (خطيئة/ هلكة)، (عدو الله/ الداعي إلى معاصيه)، (ترحمت/ رحمت)، (أجللت/ وقرت)، (تفقرهم/ تغضبهم)، (الأموال/ الفيء).

ثالثاً: الألفاظ المعبّرة عن علاقات التضمّن:

- تقوى الله: وتتضمّن جميع ما يمكن أن يتبع ويُعمل به، وما يتجنّب ويبتعد عنه ممّا يقرب إلى الله.
- المهاجرين: وتشمل طائفة من الناس تركوا ديارهم ولحقوا بالدولة الإسلاميّة لمناصرتها قبل مكّة.
- الأنصار: وتشمل أهل المدينة المنوّرة الذين نصروا الإسلام وأقاموا دولته.
- أهل الأمصار: وتشمل المسلمين الذين يقيمون في القرى والبلاد التابعة للدولة الإسلاميّة.
- أهل البادية: وتشمل مجموعة من العرب البدائيين الذين احتفظوا بطابع خاص عرفوا به وامتازوا به.
- أهل الذمة: وتشمل من بينه وبين المسلمين عهد من اليهود والنصارى.

- العدل: وتشمل كل ما يؤدّي إلى التسوية بين الناس، ومعاملتهم معاملة واحدة.
- المال: ويشمل كل ما تتحصّل عليه الدولة الإسلاميّة من أشياء عينيّة أو ماديّة بطريق السلم أو الحرب.
- الناس: وتتضمّن جميع من يشملهم حكم الدولة الإسلاميّة.
- معاصيه: وتتضمّن كل تصرّف خارج عن أوامر الله، ويؤدّي لغضبه.
- جماعة المسلمين: وتتضمّن كل مَن يتخذ من الإسلام ديناً بغضِّ النظر عمّا له من فضائل أو عليه من نواقص.
- وصيتي: وتتضمّن كل ما جاء في النص من أوامر أو نواهٍ أو إرشادات أو بيانات.

هذا، ويمكن بعد التدرّج في النص مع العلاقات المشكّلة للتكوين النصي، وبعد أن تجلى كيف تحكّم نحو النص في علائقته، وكيف مثلت آليّاته، وتكافلت مستوياته، وتنامت مراحله، أن نخرج بما يلي:

مكتبة الجامعة الاردنية

- إنّ النص مجموعة من الأنظمة التواصليّة تخضع لعلاقات التلقي والاستجابة، وهي ديناميّة معقدة تطابق بين بنية العالم وقواعد وقوانين لسانيّة متعدّدة ومتداخلة، وفي الوقت ذاته منظمة ومتسلسلة وفقاً لاستراتيجيّة إلزاميّة ترصد محصل معاني النص، وتضبط استراتيجيّات التلقي من أجل استصفاء دلالتها النفعيّة الممكنة، وهو وحدة وظيفيّة تنتمي إلى نظام تواصلي.
- إنّ دراسة التنظيم النصي تشمل دراسة العلاقات التي تحكم الوحدات النصيّة داخليّاً، وربطها السياق الداخلي الخاص والعام، ومدى مرجعيتها للنظام المنطقي المشاكل بين النسق التضميني ونسق اللغة.
- إنّ الغاية من إنشاء النص تتحكّم في قربه وبُعده من الالتزام بالقواعد النصيّة الملائمة لأنواع الخطابات المختلفة، وقدرته على سياسة علاقاته التي تجعل منه نصاً نصياً متماسكاً، ومكتفياً بمستوى التحقق اللساني.
- إنّ محاولة الفصل بين النص والمتصوّرات التي تحدّد عالمه إلغاء له، واستبدال شيء بشيء مختلف عنه؛ ومعالجة النص تتطلب دراية تتزامن مع سياقه، ومن ثمّ تندمج فيه ذاتاً محلله.

- إنّ البنية النصيّة العامّة توحِّد القضايا النصيّة وتصهر البنى النصيّة الكبرى والصغرى في المضمون الإجمالي للنص، وتحديد هذه البنى مُتَصَوَّرٌ نسبيٌ يُجرى لغايات دراسيّة ولا يظهر في العمليّات الإجرائيّة.

- إنّ التشكيلات النصيّة تخضع لصيرورة الخطاب وسيرورته، ومقيّدة بـــ"نحو" إجمالي للنص، يدخل في ضبطه وتوليفه طريقة الإلقاء ومكوِّنات التلقي التي تمثل البنى البلاغيّة للنص، من أصوات، وكلمات، وجمل، وعلاقات بين الجمل، وبنى صغرى، وبنى كبرى، وبنى عامّة، وما تدخل فيها من عوامل نفسيّة واجتماعيّة وتواصليّة تشكّل انسجامها.

- إنّ الانسجام والاتساق النصيين مختلفان، فالأوّل تفاعل دينامي يرتكز الخطاب في تشييده على مقوّمات سياقيّة؛ والآخر تنضيد ميكانيكي يجمع بين مستويات التعبير والمعجم والدلالة والنحو ويخضع في الوقت ذاته لعناصر الخطاب، وهما يختلفان في وجودهما وحضورهما من خطاب إلى خطاب.

جميع الحقوق محفوظة

- إنّ الخطابان المحكي والمكتوب متشاكلان متباينان، وعلاقات التشاكل نابعة من كون كليهما تواصل إنساني معبّر عنه باللغة، وتابع لأنظمة تواصليّة؛ وعلاقات التباين تفرضها ظروف الإلقاء وسياق التلقي ودرجة التواصل وسرعة التفاعل. فالكاتب قادر على النظر في ما كُتب والتأني في ترتيب ما يريد، دون أن يخضع لعامل الوقت أو يفاجأ بتدخّل خارجي. بينما يكون الحاكي تحت ضغط نفسي يلحُّ عليه في الاستمرار ويحذره من الخطأ، ويجبره على النظر الفوري في تأثر الآخرين به، ويكون الكاتب بحاجة لاستخدام استراتيجيّات لسانيّة محضة تعبّر عمّا في نفسه وتبلغ أقصى درجات التأثير في المتلقي، بينما يكون المتكلم مستغنياً عن ذلك بالإيماءات والإشارات المصاحبة.

- إنّ الخطاب المكتوب يقدّم نفسه بأدواته اللسانيّة فقط، ومن ثمّ يبلغ مبلغه أو يقصر دونها، بينما يقدِّمُ المتكلمُ الخطابَ المنطوق، ويقدّمُ الخطابُ المنطوقُ المتكلمَ، فإمّا أن يرفع الأوّل الآخر، وإمّا أن يرفع الآخر الأوّل، وإمّا أن يقصر الأوّل دون الآخر، وإمّا أن يقصر الآخرون الأوّل، وإمّا أن يرتفعا معاً أو يقصّرا معاً.

- الخطاب العُمَري خطاب تواصلي يعمد إلى استخدام المكوّنات اللغويّة الموائمة لمكوّنات الثقافة عند المتلقي، ويستخدم استراتيجيّات إجرائيّة تتوخّى الاستجابة المباشرة، ويعمد إلى تدعيم النص بآليّات إبلاغيّة متعدّدة ومتنوّعة محاولاً الإحاطة بالموقف التبليغي.

- يعمد عمر إلى استقراء ردّة فعل المتلقي والتكيّف معها، ويضع المتلقي موضع المتشكك والمتوجس والتردد ومقاومة الاستجابة، ويرتب أفكاره بحسب هذه المواضع ويداخلها في بعضها، ويلف آخرها بأولها أحياناً.
- يبني عمر خطاباته المحكيّة والمنطوقة على الحوار المباشر بينه وبين المتلقي ويسلط الضوء على نفسه ويعكسه مباشرة على المتلقي، ويجعل من نفسه مرآة للمتلقي، ويكثر من أدوات التخاطب، كضمائر المتكلم وضمائر المخاطب، والإحالة إلى كل منهما.
- يهيمن الوعي الديني على مكوّنات ثقافته الأخرى، ويوظف هذا الوعي في بناء المحمولات الفكريّة لنصوصه، ويستند إلى ذلك في تنفيذ ممارساته اللسانيّة وتحقيق الانسجام بينها.
- يستخدم عمر – رضي الله عنه – أدوات لغويّة دقيقة تبتعد عن التراكيب المعقدة، ويبتعد عن جُمَل الصلة في الخطاب المنطوق، ويكثف أدواته الشكليّة ويلجأ للصلة في خطابه المكتوب.
- الخطاب العمري خطاب متماسك دلالياً، مستقيم نحوياً، مستق تركيبياً، مرتبط عضوياً، متحد نفسياً، ويميل نحو التفصيل ما لم يكف العموم.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

علاقات السببيّة:

إنّ المعالجة النصيّة تنصب على النص كلاً موحّداً، ولكي تغدو هذه المعالجة مستوفية كاملة ينبغي لها أن تبحث مستوياته المختلفة؛ ولمّا كان هذا الشرط غير متحقق لاتساع مساحة البحث، وتعدّد مساراته، فإنّ إظهار العلاقات التي تربط بين وحدات النص الصغرى ممّا يمكّن من إعطاء صورة عن كيفيّة تكوّن النص وتحقق اتصاله.

ويعدّ الوصل السببي أحد المظاهر التي برزت في تشكيل هذا النص، وساهمت في استمراريّته واتصاله، والبحث فيه يمكّننا من إدراك العلاقة المنطقيّة بين جملتين أو أكثر، إذ تندرج ضمنه علاقات خاصّة كالنتيجة والسبب والشرط...[١]، وهي علاقات منطقيّة ذات علاقة وثيقة بسير المحمولات النصيّة وتعلق بعضها ببعض وتشكّل التتابع الخطي.

ولقد مثل هذا التتابع الخطي المقترن بالوصل السببي كما يلي:

١- حالات الوصل السببي المبنيّة على حرف مصدري أوقع الجملة الفعليّة موقع المفرد، وذلك في قوله: "أوصيك... فإنّهم أصل... أن تأخذ..." حيث أفاد دخول الفاء السببيّة على جملة

(١) خطابي، **لسانيات النص**، ص٢٣.

(إنّ) ذكراً لسبب الوصيّة، وأفاد دخول (أن) على الجملة الفعليّة صرف الفعل المضارع إلى الاستقبال، واجتمعتا معاً على تحقيق الاستمراريّة المقاليّة والدلاليّة.

٢- حالات الوصل السببي المبنيّة على فعل الشرط بقصد الاستمرار والتجدّد، في قوله: "أوصيك... أن تقاتل... إذا أدّوا...".

٣- حالات مبنيّة على الشرط والنتيجة، في حال افتراض حصول الحدث، بقصد الترغيب في الإكثار من الحسن والتحذير من السيء، وهذا في قوله: "فإن اقترفت لدنياك عدلاً... اقترفت رضواناً..." و"إن غلبك عليه الهوى... اقترفت به سخط الله..." و"إن لم تقبل... يكن ذلك بكل انتقاصاً... لأنّ الأهواء مشتركة...".

٤- حالات مبنيّة على النهي عن أمر وبيان علة هذا النهي، في قوله: "لا تضربهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم فتفقرهم، ولا تجمرهم في البعوث فتقطع نسلهم، ولا تغلق بابك... فيأكل قويّهم ضعيفهم".

وبالنظر إلى هذه الحالات، ندرك كيف حققت استمراريّة تماسك الوظائف النحويّة بين سلسلة التتابعات النصيّة المختلفة.

مركز إيداع الرسائل الجامعية

الفصل الرابع

الرسائل العمريّة ونحو النص

- الدائرة النصيّة معالمها ونحو النص:
  - البنية الكليّة للنص.
  - البنى النصيّة الكبرى.
  - البنى النصيّة الصغرى.
- الوحدة النصيّة العامّة ونحو النص.
- نحو النص والمعطيات اللغويّة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

  - رسائل الاتساق.
  - الإحالة بالضمائر.
  - الإحالة بألفاظ الإشارة.
  - الاستبدال.
  - الحذف.
  - العطف.
  - الاتساق المعجمي.

١- التكرار.

٢- المصاحبة المعجميّة.

- التعريف والتنكير.

الفصل الرابع

الرسائل العمريّة ونحو النص

بدأت المراسلات المكتوبة في الإسلام مع ظهور الدعوة الإسلاميّة العامّة، وكان النبي (ﷺ) يتخذ كتاباً لرسائله، ويرسلها مكتوبة إلى من يريد، وكانت الحاجة لها تزداد بازدياد الدواعي إليها، ولم تكن العناية بها إلا بقدر ما تهدف إليه من إفهام المرسَل إليهم مضمونها[١]، بل تملى بلغة سهلة، لا يوشيها شيء من عمل أو جمال غير فصاحة لغة الحديث عند العرب[٢].

ولم تحظ الرسائل في العهد الإسلامي الأوّل بالعناية التي حظيت بها الخطابة من تقاليد مرعية وقواعد أدبيّة، وظلت غاية الإفهام وتوصيل ما يريد المرسِل هي القصد الأوّل؛ ولذلك فقد كان عمر إمّا أن يكتبها، فقد كان يقرأ ويكتب[٣]، أو يمليها على كتابه، أو يوضّح لكتابه ما يريد ويترك له صياغتها، ويجيزه على مضمونها[٤].

ولقد تجلى هذا في الخبر الذي أورده الجهشياري بين فيه أنّ عمر عندما أراد أن يختار زياد بن أبيه كاتباً "دعا بزياد فقال له: ينبغي أن تكتب إلى خليفتك بما يجب أن يعمل به. فكتب إليه كتاباً، ودفعه إلى عمر. فنظر فيه، ثمّ قال: أعد. فكتب غيره، فقال له: أعِدْ، فكتب الثالث، فقال عمر: لقد بلغ ما أردت في الأول، ولكنّني ظننت أنّه قد رَوَّى فيه، ثمّ بلغ في الثاني ما أردتُ فكرهت أن علمه ذاك، وأردت أن أضع منه، لئلا يدخله العجب فيهلك"[٥].

نتبيّن من هذا الخبر أنّ رسائل عمر ليست بالضرورة أن تكون من صياغته، ولكنّه كان يدقق فيها، ويتعهدها بعنايته الشخصيّة، ولا يصدرها إلا إذا ارتضاها وبلغت ما في نفسه؛ ولكنّها مع ذلك – لكونها مكتوبة وليست منطوقة كالخطبة والوصيّة – تظل عاجزة عن كونها تمثيلاً حقيقياً أو متكاملاً لصاحبها.

ومع عجزها هذا، فقد وُجد أنّ شخصيّة عمر قد ظهرت فيها أصدق ظهور، فدلّ بعضها على "انفعال متدفق مطلق لا يكبحه زمام، ونفس شديدة مندفعة لا تخاف لومة لائم، ...، فتمثل

---

(١) نصّار، حسين، (١٩٩٦). **نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي**. (ط٢). القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة، ص٤١.
(٢) نفسه، ص٤٧.
(٣) الأدلة على أنّ عمر كاتباً وقارئاً كثيرة وثابتة، ولكن ليس يعرف كم كان يكتب من رسائله وما دواعي ذلك.
(٤) انظر: نفسه، ص٤٦-٥٠.
(٥) الوزراء والكتاب، الجهشياري، ص١٦ نقلاً عن نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي، حسين نصّار، ص٥٠.

شخصيته كأنه يتكلم بنفسه، فقارئ رسائله يتخيله أمامه. هذا إلى جانب شخصيته في الأفكار التي تجول في رسائله. ويتضح كل هذا تمام الوضوح في مراسلاته مع سعد بن أبي وقاص، وفي رسالته المشهورة في القضاء إلى أبي موسى الأشعري"(١).

ولقد بات معروفاً أنّ لغة الخطاب الشفوي المنطوق ومرتكزاته تختلف عن الخطاب المنطوق، فالخطاب المكتوب يلتزم باللغة المعياريّة ويراعي بعد المتلقي عنه واقتصاره من كل ما يحيط بالنص على ما يراه مكتوباً فقط، ومن خلال هذا المكتوب ومعرفة المتلقي للمرسل وظروف الإرسال تتحدّد محاور القراءة ويتقيّد مجال التأويل.

فاللغة المكتوبة كلام معدٌّ لمواقف تبليغيّة محدّدة سلفاً، ومقيّد بالنظام اللغوي وذلك الموقف التبليغي، وهي لا تعول كثيراً على السياقات غير اللغويّة كما هي الحال في الخطاب المنطوق.

ولذلك فدراسة الخطاب العمري المكتوب، والمتمثل في رسائله، على ضوء نحو النص، وبالخطوات الإجرائيّة التي عولج فيها خطابه المنطوق من خطب ووصايا، أمر ضروري حتى تستجلي الفوارق بين الخطاب المنطوق والمكتوب، وحتى تعرف وظيفة العلاقات الداخليّة والخارجيّة في كل منهما.

وعليه، فستتم معالجة الرسائل العمريّة ضمن الخطوات الإجرائيّة ذاتها، مع مراعاة توحّد القائل وغياب أثر المواجهة المباشرة بين المرسِل والمتلقي؛ وستكون هذه المعالجة أيضاً مقتصرة على نص واحد؛ اختير هذا النص بعد قراءة كاملة لمجموع الرسائل العمريّة إلى الولاة، وهو رسالته إلى أبي موسى الأشعري التالية:

"**بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس؛ سلام عليك، أمّا بعد: فإنّ القضاء فريضة محكمة، وسنّة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، وانفذ إذا تبيّن لك، فإنّه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً، ولا يمنعنك قضاء قضيّته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه إلى رشدك أن ترجع إلى الحق، فإنّ الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك ممّا ليس في كتاب الله ولا سنّة (ﷺ)، ثمّ اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك بنظائرها**

---

(١) نصّار، **نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي**، ص٥٢.

واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق. واجعل لمن ادّعي حقاً غائباً أو بيّنة أمداً ينتهي إليه، فإنّ أحضر بينته أخذت له بحقه، وإلا استحللت عليه القضيّة، فإنّ ذلك أنفى للشك، وأجلى للعمر، وأبلغ في العذر. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حدّ، أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيناً في ولاء أو نسب؛ فإنّ الله قد تولى منكم السرائر، ودرأ بالبيّنات والأيمان، وإيّاك والغلق والضجر والتأذي بالخصوم، والتنكر عند الخصومات، فإنّ الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحّت نيّته، وأقل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنّه ليس من نفسه، شانه الله، فما ظنك بثواب عند الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام"(١).

أمّا هذه الرسالة فقد بحثت قديماً وحديثاً من جميع جوانبها، وعلى أضواء عديدة، ولذلك فقد رأيت أنّ أبحثها دون غيرها على ضوء نحو النص لعلي أرى فيها شيئاً لم يتضح لمعالجيها من الناحية اللغويّة، وفيما يلي تبيان لهذه المعالجة:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

البنيّة الكليّة للنص:

إنّ نص عمر هذا موضوع معبّر عنه في حالة تخاطبيّة مفترضة، يحقق وظيفة تخاطبيّة بشكل متصل، وله تركيب كلامي تسيطر عليه عناصر معجميّة تحمل معنى موضوعه الرئيس، وتشكل محتواه القضوي وتنظيمه الدلالي.

ولمّا كانت البنية الكليّة تبحث من خلال التنظيم المعنوي – الدلالي، ويحدّدها اكتشاف العلاقات الخاصّة التي تجمع وتظهره في مظهر وحدوي، فإنّ التصوّر العلائقي لكليّة النص يظل مرتبطاً بوظيفة السمات المميّزة التي تنفذ في النص الكلي؛ وتعبّر عن الواقع والأشياء بلغة توصيليّة تحاول أنّ تكون وفيّة في التعبير فتقدّم الدلالة عارية ومطابقة(٢).

فالقضاء عمليّة مركزيّة في إرساء دعائم الحكم، وتحقيق العدل؛ والحرص على المعرفة بها والإحاطة بجوانبها جعل عمر يبني النص عليها، ويوحّده حولها، ويفصل القول في ماهيّتها وكيفيّة إجرائها، وحكم مشروعيتها.

---

(١) المبرّد، **الكامل**، ج١، ص٧؛ والجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٢، ص٤٢؛ وابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١، ص٢٧؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١٠، ص١٩٣؛ وابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، م٣، ص١١٩؛ والباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص١١٧؛ وأبو يوسف، **كتاب الخراج**، ص١٤٠؛ وصفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج١، ص٢٢٥.

(٢) انظر: السد، **مفارقة الخطاب الأدبي**، ص٢٩٧.

وتتم هذه الإحاطة والشمول عن خبرة بممارسة القضاء، وتجربة مع المتقاضين، ومواجهة لقضايا مختلفة، وظروف متعدّدة، صهرت جميعها في ملفوظ واحد صبغته بصبغة متكاملة سار النص على ضوئها كلاً متكافلاً بما جمعها من علاقات دلاليّة كوّنت هذا الالتحام.

البنى النصيّة الكبرى:

حدّد الترتيب الكلي لهذا النص بناه الكبرى كما يلي:

البنية الأولى: بنية التعريف بالقضاء وتأكيد مشروعيّته ومثلتها "فإنّ القضاء فريضة محكمة وسنّة متبعة".

البنية الثانية: وتضم مجريات العمليّات القضائيّة، ويمثلها: "فافهم إذا أدلى... والتنكر عند الخصومات".

البنية الأخيرة: وتشمل مرحلة الانتقال من معالجة حيثيات القضاء إلى تبيان فضائل إحقاق الحق والترغيب فيها، ويمثلها: "فإن الحق في مواطن الحق... وخزائن رحمته، والسلام".

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وبالنظر إلى هذه البنى مرّة أخرى ندرك كيف استطاع عمر أن يجعل منها كلاً موحّداً، إذ تلتحم هذه البنى، ويتماسك بعضها مع بعض، ويجمعها محور دلالي عام، وضبط نفسي واحد، بحيث تغيب خصوصيّة كل واحدة منها بحضور هذا الالتحام، وتعكس اطمئناناً نفسياً تلاءم معه هذا الشكل المتناسل من الأفكار.

ومن خلال هذه البنى الثلاث المفترضة يتضح لنا كيف استطاع عمر – رضي الله عنه – أن يبني نصّه محكوماً بنحو عام ذا نظام موحّد مترابط في المستويين: الداخلي والخارجي، بعد أن كان هذا النص قبل أن يظهر بهذا الشكل مجرّد فكرة هي الحديث عن القضاء لشخص معيّن هو أبو موسى الأشعري، وكيف وزّع هذه الفكرة الشموليّة على محطات لا يشعر السائر معه بتوقف فيها.

البنى النصيّة الصغرى:

"من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس، سلام عليك".

يمثل الجزء الأوّل من هذه البنية المدخل الرئيسي لولوج القائل في الإجراء التنفيذي للخطاب، وتعدّ البوابة الخارجيّة للسور الذي يحيط بالنص ويحميه ويمنع الدخول إليه إلا عبرها، ويأتي الجزء الثاني منها بمثابة إذن يسمح بالبدء في استيضاح فنائه، وتهيئة المتلقي وطمأنته لما يرى من أركان البيت اللاحقة.

"أمّا بعد، فإنّ القضاء فريضة محكمة، وسنّة متبعة".

ثمّ يستأنف عمر حديثه بـــ(أمّا بعد)، وهي تشكل عتبة لموضوعه الذي عبّر عنه مباشرة، ويتابع بالوحدة الرئيسة التي تمثل مقدّمة لغويّة ذات مضمون عام يتمثل في القضاء، وينتقل من هذا العام إلى جزئياته فيبدأ بتفكيك موضوعه، ويأخذ في تبيان مداخله ومعطياته ومخارجه، وأوّل ما يباشره قوله:

"فافهم إذا أُولي إليك، وانفذ إذا تبيّن لك، فإنّه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له".

والمتأمل في هذا يجد فيه شرطاً وتوضيحاً لقوله "القضاء فريضة محكمة"، وفيه ما يشير إلى إعادة دلالة القول الأوّل بصياغة جزئية تفصيليّة، بحيث يضع المخاطَب في الدائرة الموسّعة للموضوع، ويعرّفه كيفيّته، ثمّ يتابع هذه الدعوة إلى التحوّط في الدلالة العامّة في قوله:

"آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك".

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وهي دعوة صريحة إلى تحقيق العدالة والحق وأن تتجلى سمات هذا النهج على وجه صاحبها، وفي هذا مراعاة لدلالة الأحوال التي يجب أن تصاحب الأفعال، وهو بذلك يسير مع المتلقي سيراً تدريجياً ويجعله موازياً ومشاركاً في حيثيات الموضوع وتلقي نتائجه، وهي طريقة تثير المتلقي وتحمّسه لما يعقب العام من الكلام؛ ثمّ يأتي طرفا الثنائيّة (شريف – ضعيف) باستحضار مقصود من المخاطب لاستشارة وتعريفه بالمتناقضات شكلياً.

"البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً".

ويتجه عمر – بعد شرحه لمقدّمته – إلى توظيف المعطيات الشرعيّة التي توافق ما يتحدّث فيه، ويوظف هذا الجزء من حديث النبي (ﷺ)، ويجمع بين هذا التوظيف وإدخال حكم جديد يرغّب به ويقيّده وهو الصلح، وهو جامع لغوي بين الملفوظين المتوازيين (البنية على من ادعى) و(اليمين على من أنكر).

"ولا يمنعك قضاء قضيّته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه إلى رشدك إن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، وراجعة الحق خير من التمادي في الباطل".

إنّ في هذه الوحدة عودة لما قبلها ورضاً لدلالاتها، وفيها عودة صريحة لمعنى المقدّمة الأولى، وحرص على أخذها بجميع أحوالها وحذافيرها، فهي شرح تفصيلي لها وتجسيد لحيثياتها، ولذلك فهي متصلة بها ورابطة بينها وبين أحوال المخاطب، ومقتضيات القضيّة.

"الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك ممّا ليس في كتاب الله ولا سنّة النبي (ﷺ)، ثمّ اعرف الأشباه والأمثال نفس الأمور عند ذلك بنظائرها، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق".

إنّ هذه الوحدة التي ترغب في الفهم وتحضّ عليه تتصل بالوحدة السابقة التي نبهت على ضرورة مراجعة القضايا التي يتبيّن فيها الخطأ، وهي في الوقت ذاته تذكّر المخاطب بمصادر التشريع الواجب الاعتماد عليها، وتلفت انتباهه لها بطريقة ذكيّة، تبتعد عن التوجيه المباشر في أمور تعدّ من بديهيات العمل القضائي، ثمّ تعمد لإرشاده إلى المراجع الأخرى إن لم يجد شيئاً في المصادر المعروفة.

"واجعل لمن ادّعى حقاً غائباً أو بيّنة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه، وإلا استحلت عليه القضيّة، فإن ذلك أنفى للشك، وأجلى للعمر، وأبلغ في العذر".

ثمّ يعود في هذه الوحدة إلى التفصيل في جزئيات العمل القضائي، وينبّه إلى جزئيات دقيقة قد تخطر له، فيرشده إلى وضع إطار عام، هو منح وقت لمن يدّعي وجود بيّنة أو حجّة، لئلا يكون ادعاء بظلم ممن لا تحضره بيّنته لحظة القضاء، ولئلا يكون الوقت حجّة من لا حجّة له، فتضيع الحقوق بمرور الزمن.

"المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد، أو مجرباً عليه شهادة زور، أو ظنيناً في ولاء أو نسب".

ويستمر تناول مجريات القضاء كأن القائل يعاين قضيّة ما، فيناقش كل ما يعرض فيها، وما يخص القاضي من مجلسه ووجهه؛ وما يخفى المعيار الذي يحتكم إليه وهو الحق، وما يستند إليه من مصادر التشريع، وحجج المتخاصمين، والزمن الذي يحتاجونه، ثمّ ينتقل إلى شهود القضيّة ويبيّن أنّ الشهادة حق للجميع، ويستثني ما استثناه الشرع، وهو يستند إلى كل استثناء منها إلى آية قرآنيّة أو حديث نبوي أو حادثة قضائيّة سابقة.

"فإنّ الله قد تولى منكم السرائر، ودرأ بالبيّنات والأيمان".

وفي هذه الوحدة ينبّه على سابقتها ويربطها بها، فلا ينبغي تعقب الناس ومحاولة كشف ما ستر الله حتى تردّ شهاداتهم، وإنّما يكون ذلك بشيء واضح وبيّنة جليّة.

"وإيّاك والغلق والضجر والتأذي بالخصوم، والتنكر عند الخصومات".

ويعود في هذه الوحدة لمعالجة حالة القاضي النفسيّة كونه العنصر الأكثر أهميّة في عمليّة القضاء فينبّه على أن يكون واسع الصدر صبوراً على عمله، ويربط هذا التحذير بترغيبه في أجر القضاء عند الله، فيقول:

"فإنّ الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحّت نيّته، وأقبل على نفسه كفّاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنّه ليس من نفسه شأنه الله".

في هذه البنية تقل سيطرة حضور مجلس القضاء وحيثيّاته من ذهن المتكلم، ويتجه نحو الحديث عن الحق، ويبيّن أنّ له مواطن يكون فيها في أسمى حالات الانتصار، ومنها القضاء، حيث تعطى الحقوق وترد المظالم لأهلها.

وتجتمع هذه البنية مع سابقتها بوحدة مضمونيّة، واتصال نفسي، فقد بيّنت هذه البينة فضائل الحق غاية القضاء ومبتغاه فيما يتعلق بالقاضي، وجاءت لتوطد نفسه على الصبر والمصابرة من أجل أجر عظيم عند الله، وجعلت هذا الصبر والتصبّر للقاضي ضيمة وطبعاً، وليس حالة طارئة مصطنعة تأتي في حين وتغيب أحياناً.

وبيّنت هذه البنية أنّ ممّا يمكن أن يكون حائلاً دون العدل ومحاباة الناس هو الخوف من أن تكون للقاضي عندهم حاجة، ورجاؤه أن يلبّوها، وأعطت علاج ذلك وأصل القضاء عليه، وهو الإقبال على الله والتوكل عليه.

"فما ظنك بثواب عند الله – عز وجل – في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام".

اتصلت هذه البنية بالحديث عن معوّقات الإنصاف في القضاء، ممّا يكون في نفس القاضي؛ وهو الخوف على الرزق، ولذلك رأى عمر أن استئصال هذا المعوّق من نفس القاضي يكون بتعريفه بحقيقة هذا الخوف، وبيان زيف هذا الخوف وبطلانه.

ولما كان هذا الخوف متأصلاً في النفوس، فقد رأى تغيير النسق الخطابي المتسلسل إلى أسلوب الاستفهام، وترك الجواب له حتى تستقين نفسه، ويكون بذلك قد ختم النص بتعليق المخاطَب بالله، وتوجيهه نحوه.

الوحدة النصيّة العامّة ونحو النص:

إنّ لإنشاء النص موضوعاً علائقياً متسقاً منسجماً مواقف تبليغيّة وحالات إبلاغيّة تتدخل في تنظيمه وترتيبه، ويظهر أثرها في تشكيل المكوّنات الداخليّة وائتلافها مع الحالة العامّة المحيطة بالنص.

فالمعرفة حول هذه المواقف والحالات تضيء العلاقات القائمة، وتعين على تحقيق درجة عالية من الإلمام بمعطيات التماسك الماثلة في الملفوظ النصي، وليس أدل على ذلك من أننّا عندما نأخذ "في اعتبارنا هويّة المتكلم ومقصده، والوظيفة التي هو عليها، نرى بأنّ المعنى يتعدل ويتدقق ويغتني"(١).

ولعل البحث في الدور التخاطبي لعمر – كونه مشكّل النص والطرف المرتب له – استنفد في الحالات السابقة، ولكن أثره في كل ينتجه بإنشاء كل نص جديد، إذ يستحيل النص في كل حالة تجسيداً محضاً لوعي المؤلف، ويظل ذهنه الجوهر المحدّد لما يتلاءم مع كل مرحله من تكوّن دلالي ومظاهر أسلوبيّة، وباختلاف المؤثرات المحيطة بهذا الذهن تتنوّع استراتيجيّات الإنتاج النصي.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

وبما أنّ الكشف عن هذه المؤثرات أمر تنغلق مداخله، وتستعصي أسبابه، فإنّنا سنكتفي بالعناصر الظاهرة، ومنها كون عمر خليفة المسلمين والحريص على قيام العدل فيهم؛ وفهمه لضرورة تحقيق العدل، ووجوب شيوعه، ومعرفته لمزالقه وما يحيط به من صعاب، فهو يخلق لهذا النص انسجاماً مع الواقع العام الذي ظهر فيه، ويوحّده مع مجمل نصوص عمر الأخرى(٢).

و"لا ريب أنّ التأثير (في)(*) المتلقي هو المكوِّن الوظيفي الذي يستأثر بباقي المكوّنات، ولمّا كان هذا الكون ذا علقة بالحمولة الخلفيّة للمتلقي ومرجعياته الاعتقاديّة والمذهبيّة"(٣)، فإنّ لحضور المتلقي – وهو هنا أبو موسى الأشعري – في نفس عمر أثر في بث الأفكار وتنظيم

---

(١) ارمينكو، فرانسواز، (١٩٨٦). **المقاربة التداوليّة**. (ترجمة: سعيد علوش)، بيروت: مركز الإنماء القومي، ص١٩.

(٢) يقول عمر في نص آخر: "...وإن للعدل إمارات وتباشير، ...وقد جعل الله لكل أمر باباً، ويسير لكل باب مفتاحا، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، ...، والزهد: أخذ الحق من كل أحد قِبله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق، ولا تصانع في ذلك أحداً، واكتف بما يكفيك من الكفاف، ..." راجع: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ). **تاريخ الرسل والملوك**. (ط١). (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ج٣، ص٤٨٥.

(*) غير موجودة في النص المقتبس منه، ولا يستقيم المعنى إلا بها.

(٣) مبارك، الحسين آيت، (٢٠٠٣). صورة المتلقي في التراث النقدي، **مجلة جذور**، (١٥)، ٣٦٦.

الناص، فالاتصال عبر هذه الرسالة "هو فعل مشاركة وعلاقة مشتركة"[١] يراعي فيها القائل أقدار المعاني وطبقات المتلقِين[٢].

وفي هذا النص نجد أبا موسى الأشعري ماثلاً أمام عمر وهو يقضي للناس؛ بل إنّ عمر يصوِّر مجلس القضاء، ويبيّن حالات القاضي، وملابسات القضاء، وظروف المتقاضين، وبينهم أبو موسى يتداول في قضاياهم، فجاء النص مبنيّاً على هذا التصوّر، وجارياً مع ذلك المشهد، ومتوافقاً مع تلك الحال، أوّله متوحد مع آخره، وبعضه منسجم مع بعض، كان صدر كلامه دليلاً واضحاً على مراده، وختامه برهاناً شاهداً على مقصده، وهو إحقاق الحق، وإعظام الأجر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(١) أبو إصبع، صالح خليل، (٢٠٠٠). **نصوص تراثيّة في ضوء علم الاتصال المعاصر**. (ط١). عمّان: دار آرام للدراسات والنشر، ص٩٧.

(٢) يُنظر في ذلك: حديث الجاحظ وما رواه عن بشر بن المعتمر (الجاحظ، **البيان والتبيين**، ص١٣٥-١٤٥).

نحو النص (وسائل الاتساق وتحقيق الرؤى):

يسير نص عمر هذا إلى أبي موسى الأشعري في تتابع شكلي أبرزته وسائل الاتساق النصي التي جعلت منه تكاملاً لغوياً ينتظم وفق آليّة معيّنة، ويمكن تفصيلها كما يلي:

الإحالة:

- **بالضمائر:**

إنّ محاولة تحديد ما يحيل إليه النص يجعلنا نستحضر "أنّ كل علامة لسانيّة تمثل معنى وإحالة في نفس الآن، وبالتالي فالدلالة ناتجة عن حدوث تلازم بين المعنى والإحالة"[(١)]، وبالتالي فإنّ النص يحيل على مرجعيّات لفظيّة صريحة وأخرى مستترة يفسّرها النمط الصوتي في ضمن إطار النظم النصي العام.

فالمتكلم يستهل خطابه بعرض حقيقة القضاء وتبيانها، ويجعلها ظاهر النص موجّهة إلى طرف ثانٍ ومقصورة عليه، ويحدّد إحالاتها بالأشكال اللغويّة الواردة فيها:

"فافهم إذا أدلى إليك، وانفذ إذا تبيّن لك".

تحدّد لنا صيغة الأمر للفعل (فهم) مخاطباً حاضراً حضوراً ذهنياً، وتتطابق صورته السمعيّة الذهنيّة مع المرجعيّة المقاميّة، وهذا يجلي حقيقة ضمير المخاطب (أنت)، ويكشف لنا عن بُعدين في النص:

الأوّل: تحميل التركيب الواحد مقاصد متنوّعة.

الثاني: طبيعة فعل الأمر التي تستدعي غياب المخاطب الذي يكون فاعلاً تالياً في صيغ الماضي والمضارع والأمر اللاحقة.

والفاعل مختلف في طريقة وروده، فهو يرد معلوماً في بعض الصيغ ولا يرد إلا مستتراً في صيغ الأمر الأخرى: أنفذ، آس، اعرف، قس، اعمد، اجعل؛ فورودها إشارة لتواصل وحدات النص، حيث جاء لاحقاً: لام المخاطَب بالفهم، وهذا يجعل من تواليها تسلسلاً يخترق النص ويسير معه كما في الشكل:

---

(١) الباهي، حسان، (٢٠٠٠). **اللغة والمنطق: بحث في المفارقات**. (ط١). الدار البيضاء والرباط: المركز الثقافي العربي ودار الأمان للنشر، ص١٨٢-١٨٣.

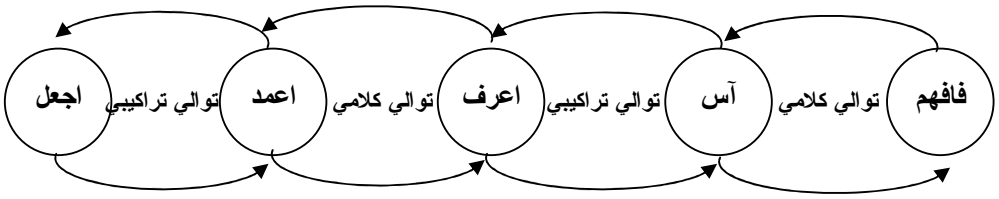

ومزج النص بين هذه الألفاظ وألفاظ تتصل بها ضمائر المخاطب المتصلة، وقد توزّعت هذه الألفاظ بين الأسماء والأفعال وأشباه الجمل:

- **الأسماء:** مجلسك، وجهك، حيفك، جورك، صدرك، عدلك، رشدك.
- **الأفعال:** يمنعنك، راجعت، هُديت، أخذت، استحالت، كفاه، شانه.
- أشباه الجمل: إليك، عليك، منكم.

إنّ ورود ضمير المخاطب المتصل بهذا الشكل المكثف؛ يجعل من حضور الآخر (أنت) بؤرة الخطاب والمركز الذي يدور حوله، فيسري أثره في تكوين التشكيلات الصرفيّة للنص، وتكون باقي المكوّنات النصيّة مسخّرة له ومستضيئة بضوئه.

وهي بذلك – أي الإحالة الضميريّة المنفصلة والمتصلة – تربط بين أجزاء الملفوظ، دون أن تذكر مخاطباً محدّداً بخصوصيّة ما، ممّا يجعل من النص نموذجاً عامّاً يصلح لأن يكون دستوراً لأي قاض في أي زمان وأي مكان.

- **الإحالة بألفاظ الإشارة:**

تقل الإحالة في نصوص عمر بن الخطاب باستخدام ألفاظ الإشارة، ويأتي استعمالها وفق ما يقتضيه نظام النص ويتفق مع البُعد عن التعمية والتشتت، ولم يرد في هذا النص إلا لفظ إشارة واحد هو (ذلك)، وجاء في سياقين داخلين محبوكين عليه، وهما:

- ...فقس الأمور عند ذلك بنظائرها...
- ...فإنّ ذلك أنفى للشك، وأجلى للعمى...

فيحيل (ذلك) في التركيب الأوّل إلى معرفة الأشباه والأمثال بعد فهم ما يتلجلج في صدر المخاطب ممّا ليس في كتاب الله وسنّة نبيه (ﷺ)، ممّا يجعل المخاطب في حالة ذهنيّة تأمليّة إرجاعيّة لما سبق قوله من كلام، فتكون النتيجة مبنيّة على المقدّمات، وهو ذلك أغني عن نمط لغوي تكراري قد يدخل في النص حشواً لا فائدة منه، من خلال حمولته الدلاليّة لكلام مكوَّر.

ويحيل (ذلك) في التركيب الثاني على ملفوظ سابق "واجعل لمن ادّعى حقاً غائباً أو بيّنة أمراً ينتهي إليه فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضيّة"، ويسقط عليه التأويل العلائقي السابق نفسه، فهو يشير من جهة إلى الارتباط والتسلسل الكلامي، ويُغني عن تكرار الملفوظات السابقة التي تجعل من النص ركيكاً ومفتقراً لعناصر الاتساق، من جهة أخرى.

هذا، وتتباين عناصر الإحالة الداخليّة بين الضمائر المتصلة، والمنفصلة، وألفاظ الإشارة، مع انتظام في ورودها، وكان لتكثيف هذه الضمائر أثر في استدعاء صورة الطرف المقابل باستمرار، وحدّت من تأويلات المتلقي.

الاستبدال:

إنّ الاستبدال يعدّ من رائزاً بين روائز بناء النظم اللغوي، وعليه تتوقف عمليّة الاختيار التركيبي، وكان له في هذا النص ملامح بارزة، تجلت اختيار المتكلم لصيغ الأمر وتقصّده التركيز على المخاطب نفسه، وفي هذا ما يميّزها عن باقي الصيغ الأخرى ويحيطها بالعناية والاهتمام، وبأنّ هذا بجلاء في المفردات: أنّهم، أنفذ، آس، اعرف، اعمد، اجعل؛ حيث يجدها المتكلم أكثر ملاءمة لغرضه ومطابقة للواقع.

ومَثّل الاستبدال على المستوى التركيبي بوضوح من خلال تجاذب التراكيب ومشاكلة بعضها لبعض، نحو: "لا يطمع شريف في حيفك" و"لا ييأس ضعيف من عدلك".

فمن الملاحظ أنّ التركيب الأوّل استدعى التركيب الثاني، وجاء موافقاً له في الصرف والبناء، بعد أوثر على تراكيب أخرى، لما له من دقة في توصيل المعنى، ووضعه موضع الجلاد والوضوح.

واستدعى التركيب (افهم إذا أدلي إليك) تركيباً آخر موازياً له صوتياً وصرفياً ودلالياً تكميلياً هو (أنفذ إذا تبيّن لك)، وفق الشكل التالي:

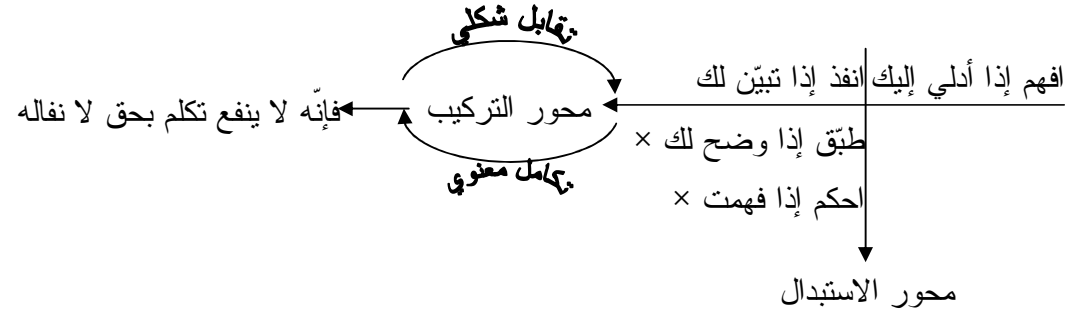

وتسير مفردات النص سيراً انتقائياً يعزل المفردات الأخرى، كما تسير التراكيب سيراً يؤطر التراكيب الأخرى، ويكون لها قالباً يجذب كلاً منها بشكل تناسلي كما يلي:

- افهم إذا أدلي إليك.
- انفذ إذا تبيّن لك.
- آس بين الناس في وجهك.
- اعرف الأشباه والأمثال.
- اجعل لمن ادّعى حقاً...

ومثل هذا الاختيار التركيبي إيثار من قِبل المتكلم وتفضيل له على تراكيب نحويّة أخرى، وهو يجسّد مجموعة دوال محدّدة أقحمها المتكلم في ملفوظه عن قصد ووعي لخدمة توصيل رسالته اللسانيّة.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولعل هذه الاختيارات الصرفيّة والتركيبيّة والمعجميّة تشكّل أساس أسلوب المتكلم الذي يمتاز به من غيره.

ولقد أشارت يمنى العيد إلى وجود علاقة استبداليّة بين وحدة (البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر) ووحدة (والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً) وذلك بإقامته التناظر بين "البيّنة" و"الصلح"، إذ إنّ "قيام الصلح يلغي البيّنة، وإن تعذر الصلح، يوجب البيّنة، وبالتالي فلا ضرورة للبيّنة مع الصلح، أو أنّ وجود الصلح يلغي ضرورة البيّنة، وهذا يعني أنّ لا وجود للوحدتين في آن واحد، فتستقل الواحدة عن الأخرى"[١].

الحذف:

ذكرنا أنّ الحذف من وسائل الاتساق، وهو فرع من الاختيار النحوي الذي تسمح به قواعد اللغة، ويأتي لغايات بلاغيّة أو مقصديّة، وهو إمّا أن يكون عاملاً مساعداً في بناء الاتساق النصي وإمّا أن يكون مخلاً بهذا الاتساق.

ولقد جاء الحذف في هذا النص في مواضع ساهمت في صنع اتساقه، منها:

- البيّنة على من ادعى.
- اليمين على من أنكر.

---

(١) العيد، **في معرفة النص (دراسات في النقد الأدبي)**، ص١٧٣-١٧٤.

- اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك.

- واجعل لمن ادّعى حقاً غائباً أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بيّنة أخذت له بحقه، وإلا استحللت عليه القضيّة، فإن ذلك أنفى للشك، وأجلى للعمر.

ففي التركيب الأوّل يلاحظ المتلقي – ملاحظة تأويليّة استنتاجيّة – أنّ هناك كلاماً محذوفاً، يمكن تأويله بمثل: البيّنة على من ادّعى (الظلم) أو (السرقة) أو (الكذب) أو (القتل).

ويسمح التركيب الثاني بتأويل المفردات السابقة نفسها: اليمين على من أنكر (الظلم) أو (السرقة) أو (الكذب) أو (القتل)، وذلك لكون التركيب الثاني مبنيّاً على الأوّل ومتعلق به.

وهو هنا مقصد بلاغي أراد به القائل إثارة المتلقي، وجَعْلِه يشارك في عمليّة الإنتاج الخطابي؛ وفيه أيضاً فضل يتحوّط لكل المحمولات الممكن تأويلها، كما أنّ له غاية جماليّة إيقاعيّة تأثيريّة تساهم في إظهار النص بمظهر متناسق.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز الإيداع الرسائل الجامعية

العطف:

ويظهر العطف عاملاً مهمّاً من عوامل الربط والتماسك، فيجمع الوحدات النصيّة ويظهرها بمظهر موحّد متناسق يوحي بالبيّنة العامّة الموحّدة للنص، وقد ظهر هذا العامل في الأشكال اللغويّة التالية:

- فإنّ القضاء فريضة محكمة، وسنّة متبعة.

- آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.

- البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر و[1]الصلح جائز.

- ولا يمنعنّك... وهديت فيه إلى رشدك... ومراجعة خير...

- ثمّ اعرف الأشباه والأمثال... واجعل لمن ادّعى حقاً غائباً أو بيّنة... أنفى للشك وأجلى للعمر وأبلغ في العذر.

- ...إلا مجلوداً في حدّ أو مجرّباً... أو ظنيناً في ولاء أو نسب.

---

(١) علقت يمنى العيد على العلاقة التي يقيمها حرف العطف (الواو) في هذا الموقع، وأشارت إلى وظيفة الدمج التي يقوم بها مع كون كل من الوحدتين تستقل عن الأخرى، ووجودها يلغي الآخر؛ (العيد، **في معرفة النص**، ص١٧٤)، والواقع أن وظيفة الدمج التي ذكرتها هي أحد مسوّغات العطف، وقيامها يأتي ضمن سلسلة الربط العامّة.

- فإنّ الله قد تولى منكم السرائر ودرأ بالبيّنات والأيمان... الغلق والضجر والتأذي... والتنكّر...
- فإنّ الحق... يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر، فمن صحّت نيّته وأقبل على نفسه... ومن تخلق...

فالناظر لهذه التتابعات العطفيّة يدرك الدور الذي يقوم به العطف في توالي وحدات النص وتعالقها، وكيف يغني استعماله عن التكرار، وعن الحاجة إلى الوصل بين التركيبات الجزئيّة بطريقة أخرى، فظهرت وحدات النص منسجمة متسقة موحّدة تتنامى وتتكامل وفق ترتيب يجعل الدلالة النصيّة تأخذ صورتها النهائيّة بعد اكتمال النص.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الاتساق المعجمي:

١- التكرار:

يعدّ التكرار عاملاً مهمّاً من عوامل الاتساق المعجمي، لما له من أثر في تأكيد المعنى، وإبرازه، وتمكينه المتلقي من الإحاطة التذكيريّة بالملفوظات السابقة من الكلام، ولقد ورد في النص على النحو التالي:

- **حالات التكرار التام:**

- (الحق):

تكرّر هذا اللفظ في النص ست مرّات، وهو أمر لافت للانتباه، حيث إنّ هذا النص مخصوصاً بالقضاء وليس للحق عامّة، ولكن هذا التكرار يعكس حقيقة القضاء، ويبيّن أنّ أساسه هو الحق، وهو بذلك يجعل من هذا اللفظ بؤرة للنص، ويوضّح بأنّ القضاء أوّله حق وآخره حق وأنّه لا يقوم إلا على الحق.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- عدلك:

وتكرّر هذا اللفظ في النص مرّتين ليؤكّد على حقيقة الغاية من القضاء، ويبيّن أقصى ما يسعى إليه، وهو العدل، وهذا يتسق مع الحقل الدلالي العام لنص يتحدّث عن القضاء.

- لفظ الجلالة (الله):

وقد تكرّر في هذا النص ثماني مرّات، وهو يرتبط به ارتباطاً وثيقاً فالغاية من القضاء العدل، والغاية الكامنة وراء العدل هي إرضاء الله المتصرّف في كل شيء، والذي يتولى القضاء بين الناس يوماً وينصف كلاً من كل.

- الفهم:

وقد جاءت ضمن أسلوب الإغراء وهو تنبيّه المخاطَب على أمر محمود ليفعله، وهذا سياق يقتضي التوكيد على الأمر المرغب فيه، وهو أمر متعلق بطبيعة القضاء، والعدل في جانبه الأكبر مرتبط به.

- سنّة:

وقد وردت في النص مرّتين وهذا أمر طبيعي لا سيّما أنّها أحد الأسس التي يقوم عليها القضاء، وتأتي ضمن الحقل الدلالي لموضوع النص، فتزيده انسجاماً وتماسكاً.

- **الناس:**

وقد تكرّرت مرتين وهي مرتبطة بالموضوع العام (القضاء) الذي يكون بلا شك بين الناس.

- **حالات التكرار الجزئي:**

- **(القضاء – قضاء – قضيّته – القضيّة).**

يتخيّر عمر أوزان المعاني، ويضعها في مواقعها المناسبة، فيمدّ الكلام بحسب المعنى المطلوب، ويؤكّد المعاني التي سبيلها التوكيد، ويعمد إلى ذلك من جهتي اللفظ ونظم الكلام، فنجده في حال الأمر والنهي لا يختصر ولا يقتصر على موجز الكلام، بل يكرّر ويعيد، لتأكيد المعنى في نفس المتلقي، ومن ثمّ إقامة الحجّة عليه.

ولمّا كان (القضاء) هو موضوع النص ومؤدّاه، فقد أخذ في تكريره بصيغه المختلفة، واشتقاقاته المتنوّعة، بما يظهر ماهيّته ويبيّن حقيقته ويوضّح دقائقه ويجلى غوامضه ويشرح كيفيّته، وتطلب هذا منه أن يكرّر ما يصاحب هذا المفهوم من ألفاظ أخرى تقوّي معناه وتزيد في دلالاته، ومنها:

(فافهم – الفهم)، (بحق – الحق – حقاً – بحقه)، (أنفذ – نفاذ)، (البيّنة – بيّنة)، (الخصوم – الخصومات)، (الصلح – صلحاً)، (أحل – حلالاً)، (حرّم – حراماً)، (راجعت – ترجع – مراجعة).

- **التوازي:**

جاء التوازي في هذا النص – كما هي الحال في معظم نصوص عمر – بشكل لافت، ومن الذين تنبّهوا لهذا التوازي يمنى العيد[1] حيث قسّمت النص إلى فئتين، تتكوّن كل منهما من خمس وحدات تركيبيّة، ويجمع بين أجزاء كل فئة علاقات تشابه، وجاءت علاقات التوازي بشكل متعادل في المساحة التي تشغلها كل فئة، بحيث ينهض بناء النص بالفئتين معاً، فيبدأ بوحدة من الفئة الأولى، فوحدة من الفئة الثانية، ثمّ من الفئة الأولى، وهكذا وإليك، وكأن النص "معيار هندسي" ينهض وفق نظام معيّن تتناوب بموجبه وحدات الفئتين في إقامة البناء ورصفه.

وممّا يلاحظ في معالجة يمنى العيد لهذا النص أنّها أقيمت على التوازن من أوّلها إلى آخرها، ففصّلت القول في التوازن على مستوى البنية اللغويّة، وتقصد بها بناء الجمل، وكونها

(١) العيد، **في معرفة النص**، ص١٧٢–١٨٢.

اسميّة أو فعليّة، ثمّ المستوى الزماني والمكاني، ثمّ الأقوال الجزئيّة الواردة في كل من الفئتين المتوازيتين؛ ولما كانت دراستها تغطي هذا الجانب وتكفيه فقد آثرنا عدم التفصيل فيه، والاكتفاء بأهم مظاهره، وهي على النحو التالي:

- تتوازى (افهم إذا أولى إليك) مع (انفذ إذا تبيّن لك).
- تتوازى (..لا يطمع شريف في حيفك) مع (لا ييأس ضعيف مع عدلك).
- تتوازى (البيّنة على من ادّعى) مع (اليمين على من أنكر).
- تتوازى (أحل حراماً) مع (حرّم حلالاً).
- تتوازى (راجعت فيه عقلك) مع (هديت فيه إلى رشدك).
- تتوازى (أنفى للشك) مع (أجلى للعمر) مع (أبلغ في العذر).
- تتوازى (...مجلوداً في حد) مع (ظنيناً في ولاء أو نسب).
- تتوازى (يعظم به الأجر) مع (يحسن به الذخر).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٢- المصاحبة المعجميّة:

لعل أكثر من عالجوا علاقات المصاحبة المعجميّة ركّزوا على علاقات الرصف التي ينتجها "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة"[١]، والواضح من خلال التعامل مع هذه العلاقات أنّ دائرة المصاحبة المعجميّة تتسع لتشمل "الورود المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوي ما، مثل: البقرة مع اللبن، والليل مع الظلمة"[٢].

ونحن هنا ننظر إلى علاقات المصاحبة المعجميّة، من حيث مشاركتها في اتساق النص، بقدر ما يكون نصيب العلاقات المعجميّة من تحديد المعنى اللغوي فيه[٣]، وهذا غالباً ما يتمثل في ضروب التماثل والتكافؤ والتباين والتكامل[٤].

---

(١) عمر، أحمد مختار، (١٤٠٢هـ). **علم الدلالة**. (ط١). الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ص٧٤.
(٢) البركاوي، عبد الفتاح، (١٩٩١). **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث**. (ط١). القاهرة: دار المنار، ص٥٢.
(٣) يُنظر: الطلحي، **دلالة السياق**، ص٢٠١.
(٤) يُنظر: عبد المجيد، **البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النصيّة**، ص١٠٧-١٠٩.

وإذا نظرنا لهذا النص وجدنا أنّ المصاحبة المعجميّة عنصر بارز من عناصر الاتساق فيه، وذلك لتكثيف الدلالات المحيطة بالقضاء، وهذا جعل حشداً كثيراً من عناصر حقله الدلالي يكرّس للغرض ذاته، وجاءت هذه الألفاظ دالة على القضاء وإجراءاته وماهيّته وأهدافه: (القضاء، الفهم، الحق، عدلك، مجلسك، حيفك، البيّنة، اليمين، ادّعى، أنكر، الصلح، قضيّته، الباطل، حقاً، بيّنة، القضيّة، شهادة، الخصوم، الخصومات، فريضة، سنّة، مراجعة).

ولقد جاء توزيعها ضمن المحاور التالية:

الأوّل: محور التناقض والتضاد: (أنفذ/ لإنفاذ)، (حيفك/ عدلك)، (أحل حراماً/ حرّم حراماً)، (غائباً/ أحضر)، (يطمع/ ييأس)، (شريف/ ضعيف)، (ادّعى/ أنكر)، (مراجعة/ التمادي).

الثاني: محور التشاكل: (وجهك/ مجلسك)، (عقلك/ رشدك)، (الأشباه/ الأمثال)، (أقربها/ أشبهها)، (حق/ بيّنه)، (أنفى/ أجلى)، (الغلق/ الضجر/ التأذي/ التنكّر)، (الأجر/ الذخر).

التعريف والتنكير:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يأتي أثر التعريف والتنكير في الاتساق النصّي من خلال إحالة المعرف على ألفاظ مذكورة أو حصره لمعان مقصودة، وابتعاد النكرة عن إرادة شيء بعينه، واختصاصها بدلالة عامّة لشيء ما، "وقد يدق التفريق بين النكرة والمعرف بأل في بعض التعبيرات، فيحتاج إلى فضل نظر وزيادة تأمّل"[(١)]، وكيف ساهم كل منهما في الاتساق النصّي، ولكن فيما يلي محاولة بيان ذلك في النص:

- إنّ ورود كلمة "القضاء" في أوّل النص، وكون النص مبنياً عليها هو تعريف جنس جعل من الإشارة إليها يقصد إيضاحها للمخاطب، وتبيينها له، وذلك أنّ المخاطب يعرفها، ولكن معرفته ليست شاملة، فاقتضى هذا من القائل أن يحدّدها بما هو خاص من: ماهيّتها، وآليّاتها، وأحكامها، غاياتها، ومقتضيات الأحوال المؤدية إليها، أمّا في سياق (ولا يمنعنّك قضاء قضيّته) فقد جاءت في حيّز النفي، وهذا لجعل دلالتها تصل إلى أقصى درجات العموم، أي أنّه يقصد: أي قضاء مهما كانت أحواله ومقتضياته.
- إنّ مجيء (بحقه) فكرة في سياق (لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له) جاء دالاً على التجاهل، والإهمال، والاستهزاء بالمآل الذي آل إليه، فكان متسقاً ومنسجماً مع عدم تنفيذه، أمّا في سياق (ولا يمنعنّك قضاء... فراجعت فيه عقلك... أن ترجع إلى الحق) فقد جاء هنا معرفة بغرض

---

(١) السامرائي، **معاني النحو**، مج١، ص١٠١.

الإشارة إلى ما عرفت حقيقته في الذهن من دون قصد التعيين، فهو لا يقصد حقاً بعينه، وإنّما ما وقر في قلب القاضي بعد مراجعة القضيّة، فالغرض من تعريفها الدلالة على الحق الذي يوجب المراجعة.

ومجيئها معرفة في سياق (فإنّ الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي...) بعد سياق التعريف السابق – مباشرة – فهو لإفادة استغراق جميع خصائص الحق مبالغة في الحضِّ والترغيب فيه.

أمّا كونها معرفة في (مراجعة الحق...) فالقصد منه استحضار ما عرف عن الحق في الذهن، ودليلنا على هذا مجيء الباطل بعدها زيادة في جلال كل منها باستحضار النقيض.

وإنّ مجيء (البيّنة) معرفة في (البيّنة على من ادعى...) ربط جملتها بجملة (...وأنفذ إذا تبيّن لك) السابقة، ودل تعريفها على اقتضائها لكمال ما هو معلوم عنها واستحضار ما عرف عنها في الذهن.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هذا، وبالنظر إلى هذه الرسالة واستقراء رسائل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يمكن أن نلاحظ ما يلي:

- الرسائل العمريّة تعتمد في تماسكها على السياق اللغوي والسياق الخاص بين عمر والمرسَل إليه، ولكن نسبة التعويل على العلاقة بين المرسِل والمرسَل إليه لا تسمح بجعل المتلقي حراً في التأويل، إذ لا تكون الثغرات في النص المرسل تسمح له بالتصرّف فيه.
- الرسائل العمريّة إلى الولاة تمثل مجموعة من الإرشادات والأوامر المباشرة، ولذلك يكثر فيها استخدام أفعال الأمر وصيغ النهي والتحذير.
- يقل في الرسائل العمريّة الحذف الذي يستعاض عنه في الخطب بالنبر والتنغيم والاعتماد على المواجهة والمباشرة بين القائل والمتلقي.
- يكثر في الرسائل العمريّة استخدام الجمل القصيرة المنفصلة التي تدل على انفعال متدفق مطلق لا يكبحه زمام، ونفس شديدة مندفعة، فتمثل شخصيّة عمر كأنّه يتكلم بنفسه، ممّا يجعل قارئها يتخيله أمامه.
- تتباين رسائل عمر بين الطول والقصر بحسب السياق العام والمراسلات بينه وبين من يتلقى رسائله، وغالباً ما يذكر في أجوبته على رسائل تصله بعضاً ممّا جاء فيها من أسئلة وأفكار،

ويعطي الإجابة عليها وقد يعلل إجابته، وهي مع ذلك تكون متصلة البنى، ومنسجمة مع الواقع الخارجي.

- يتم في الرسائل العمريّة استحضار المرسَل إليه الغائب ويُبنى على هذا الاستحضار تكوين نصّي علائقه مرتبطة بمعرفة كل من عمر والمرسَل إليه بالآخر، وطبيعة العلاقة القائمة بينهما.
- تمتاز الرسائل العمريّة من خطبه ووصاياه بالزيادة في استخدام الربط بأدوات العطف والصلة وألفاظ الإشارة.
- يظهر في الرسائل العمريّة تركيز عمر على موضوع واحد فيبنى النص عليه وتتوزّع البنى النصيّة حول هذا الموضوع ضمن سلسلة من الوحدات الفكريّة المضغوطة.
- تصاغ الرسالة العمريّة بصورة متسقة منسجمة متناغمة ولا تظهر فيها الوقفات المبعثرة والمتناثرة، ويظهر فيها أثر التدقيق والتحبير.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الخاتمة

النص نظام كلي ينطوي على أبعاد دلاليّة ومحمولات معرفيّة تشكّل وحدة تواصليّة في فضاءٍ نصّي مركب من مجموعة من العلاقات المتبادلة بين مجريات لغويّة ومعطيات إنجازيّة، فهو يخضع للدلالة العميقة المنتجة له، وإطار التلقي المفترض لمرحلة الإنتاج.

فالتكوين النصّي لا يقوم على مكوّنات التركيب وحدها، بل على نسق متكامل من اللغة والواقع؛ يمثّل هذا النسق مزيجاً من مستويات التحقق اللساني والتصوّرات التي تنظم العالم النصّي فتصهر البنية والدلالة حول موضوع الكلام.

وللنص في جوهره مركز فكري ونظام يوحّد مكوّناته اللسانيّة وعلاقاته الدلاليّة، ويمثّل الموجّه الحقيقي لمحاور النص وحركة انتظامها في الاتجاهين الأفقي والعمودي؛ وهو لا يقتضي اتخاذ معيار متصلب لامتداد كل منهما في شكله الظاهري.

وليس معنى ذلك أنّ هذا المركز يتحكم في إنتاج النص وتنظيمه العضوي، أو أنّه يقرّر ماهيّة العناصر الفاعلة في نظام علاقاته التركيبيّة، وإنّما يحدُّ من توالديّة النص الفوضويّة وامتداداتها اللاشعوريّة، فيجعل من تكوينه المظهري وعمقه الدلالي كياناً متجانساً وسلسلة متماسكة.

وهذا التجانس والتماسك لا يقوم في النص إلا إذا ربطت بين وحداته علاقات اتساق داخليّة مرتبطة بسياق تواصلي معيّن ذي موضوع ما، وغرض محدّد، وهذه العلاقات تخضع للمعارف التي يستلزمها إنتاج النص وللدوال المعبّرة عنه، ولمخزون المتكلم المعرفي، وما يفترضه هذا المتكلم حول مخزون المتلقي المعلوماتي.

على ضوء هذه الرؤية انتظمت أطروحة هذا البحث، وسارت فكرة "نحو النص" في وصف العلاقات الرابطة بين مكوّنات النص العمري وتفسيرها، وأخذت في الكشف عمّا يوحّد بين مكوّنات النص الداخليّة وفضائه الخارجي، وانطلقت من افتراض أنّ للنص بنية أساسيّة واحدة، وهيكلاً عامّاً تربط بين مكوّناته علاقات ووظائف مهما كان نوع النص وجنسه.

وكان من الطبيعي أن تتخذ خطاباً معيناً – مؤطراً بظروف إنتاج وتلقٍ – نموذجاً، ليكون رائزاً لها وممحِّصاً لفحوى مقولتها وغاية جدواها، فوقع الاختيار على خطاب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بعد أن وضع الباحث لها منطلقاً نظرياً وإطاراً إجرائياً، وتمّ الولوج إلى فضاء النص العمري واختراق مكوّناته، وتفكيك مستوياتها الداخليّة، ومعرفة كيفيّة انتظام اللغة

فيه عبر ثلاثة نصوص، ينتمي كل منها إلى جنس نثري مختلف، ومرحلة خطابيّة متباينة عن الأخرى؛ وهذه النصوص هي: خطبة ابتهاليّة قالها عند البيعة، ووصيّته للخليفة من بعده، وهي آخر نص له؛ وبين هذه وتلك رسالته إلى أبي موسى الأشعري في القضاء.

فطبّقت هذه الدراسة أطروحتها على هذه النصوص تطبيقاً مباشراً، والتزمت معها منهجيّة قرائيّة واحدة، وأخذت في الكشف عن معطيات التماسك النصّي، والوقوف على مظاهر الاتساق وملامح الانسجام فيها، وانتهت إلى النتائج التالية:

- لنحو النص دوائر ومحاور؛ أمّا الدوائر فهي: البنية الكليّة للنص، والبنى النصيّة الكبرى، والبنى النصيّة الصغرى، وأمّا المحاور فهي: قائل النص، وموضوعه، ومناسبته، ومتلقيه، ومكانه، وزمانه، وطريقة تلقيه، وإحالاته إلى خارجه، تتعالق جميعها لإنتاج دلالة كليّة للنص.
- التماسك النصّي يتوقف على مجموعة من العلاقات المتبادلة في نظام التفاعل الإنساني، أهمّها: الذات المنتجة للنص، وإطار التلقي، والمحتوى القضوي والمكوّنات اللغويّة، وفهم المتلقين ومعارفهم، فهو ظاهرة بنيويّة تأويليّة تفاعليّة.
- يبرز الموضوع الأساسي للنص وحدات شاملة وجوانب محوريّة وله تأثير جوهري في بقيّة العناصر وكيفيّة اختيار المبدع لأدواته اللسانيّة وتوحّدها وظائفياً ومضموناً.
- للنص بنية كليّة عامّة تتوزّع فيها بنى نصيّة كبرى تنتظم فيها سلسلة من البنى النصيّة الصغرى، تتوحّد جميع هذه البنى معاً ضمن سياقين: مقالي يتحكّم في تشكيل البناء الداخلي للنسيج النصّي، ويحكم مكوّناته، ومقامي يربط المكوّنات اللغويّة بالعالم النصي.
- البنية النصيّة الكليّة في النص العمري ترتكز على توازيات تركيبيّة وتشاكلات دلاليّة تزخر بالعلاقات التأسيسيّة للدلالات الجزئيّة فتعلق كل بنية نصيّة صغرى على سابقتها، وكل جزء في داخل البنية الصغرى على سابقه.
- إنّ علاقات الاتصال بين كل بنية نصيّة وسابقتها وتاليتها في النص العمري تجعل منه جسماً واحداً متماسكاً، ولكن ليس بالضرورة أن تكون أعضاء هذا الجسم المتآلفة متساوية أو متماثلة.
- يرتكز الاتساق النصّي في النص العمري على عدّة وسائل ومظاهر لغويّة تنسج العلاقات بين البنى الداخليّة، وتساهم في تشكيل وحدة النص وانتظام العناصر المكوّنة له، ومنها: الإحالة

بأنواعها، والاستبدال، والحذف، والعطف، وعلاقات الاتساق المعجمي من تكرار ومصاحبة معجميّة بأشكالها المختلفة.

- تجري الإحالة بضمير المتكلم في النص العمري بشكل لافت للنظر، ويزيد الاعتماد على هذه الظاهرة التركيبيّة في الخطب والوصايا العمريّة، ويقل في رسائله؛ إذ يهيمن على النص العمري المنطوق ضمير المتكلم المتصل (الياء) وتحال عليه جميع محاور الخطبة، ومعظم محاور الوصيّة، بينما يكون التركيز في الرسائل على ضمير المخاطب ويمثل البؤرة المركزيّة المحال إليها.
- إنّ بناء النص العمري المنطوق على ضمير المتكلم واعتماده عليه في تطويع الجزئيات المتناثرة وجعلها نسيجاً موحّداً منتظماً يشف عن بُعدٍ فكري، وهو أنّ الخطاب العمري خطاب أحادي متمركز حول الذات القائلة ويستمد حضوره منها.
- يبنى النص العمري المنطوق – غالباً – على الأفعال المستندة إلى ضمير المتكلم ويتخذ شكلاً تراتبياً معيّناً متناسقاً مع مكان الصدارة الذي يتخذه هذا الضمير.
- مثل ضميرا المخاطب المستتر (أنت) والكاف التي تدل على الخطاب وتفيد الاسميّة عنصرين أساسيين في اتساق النص العمري وتكوُّن وحدة المعنى الدلاليّة وائتلاف المعاني الجزئيّة داخل النص.
- يلجأ النص العمري إلى الإحالة بأسماء الإشارة وجعلها رابطاً نصياً، وتقسم هذه الإحالة فيه إلى قسمين: إحالة إشاريّة ذات مدى قريب وهي التي تبرز في الخطب؛ وإحالة إشاريّة ذات مدى بعيد وهي التي تبرز في الوصايا والرسائل.
- يتم الاستبدال في النص العمري في المستويين التركيبي والمعجمي، وهو يخضع لمخزون عمر اللغوي ووعيه الثقافي ومفاهيمه المعرفيّة المتأثرة كثيراً بالخطاب القرآني والخطاب النبوي والمعجم الخاص بعصره.
- مثل الحذف في النص العمري ظاهرة اتساقيّة وردت في المستويين المعجمي والتركيبي، وتفاوتت هذه الظاهرة بالاعتماد على القرائن المقاميّة في الخطبة والوصيّة، وبالاعتماد على القرائن المقاليّة في الرسالة، وقد أدّت هذه الظاهرة إلى مظاهر جماليّة وبلاغيّة زادت النص متانة ورصانة لقربها من مرجعيّة الحدث ووضوح السياق اللغوي.

- حقق العطف في النص العمري تماسكاً على مستوى الألفاظ، ومستوى الجملة، ومستوى الجمل، ومستوى البنى النصيّة الكبرى، وشكل نواة أساسيّة تجمّعت حولها علاقات التضام، وكان ظهور المركب العطفي القائم على الواو والفاء في الخطب والوصايا أكثر جلاء منه في الرسائل التي ظهر فيها العطف – بالإضافة إلى الواو والفاء – بـــ"ثمّ"، وكثرت الحالات التي تمّ فيها العطف في داخل البنية النصيّة بين الكلمات التي ترتبط دلالاتها بحقل دلالي واحد.
- تنوّعت مظاهر الاتساق المعجمي في النص العمري، فظهرت حالات التكرار التام والجزئي وتكرار المعنى وتكرار البنية التركيبيّة، وساهمت المصاحبة المعجميّة بعلاقات التقابل والتضاد والتشاكل والتكامل في تشكيل الدلالة النصيّة الموافقة لواقع التلقي.
- ظهرت لعمر – رضي الله عنه – فلسفة خاصّة في تعلق كلامه بعضه ببعض، فالمكوّنات اللغويّة تنصهر في بوتقة وحدويّة وفقاً لترتب المعاني في نفسه، والمعنى عنده قوام التركيب، ومحدّد للتنظيم النصّي الذي يخدم قضاياه، فمراعاته لإحراز المنفعة على موافقة الحال، وحرصه على أن تكون دلالة ظاهرة مكشوفة، وقريبة معروفة عند العامّة والخاصّة، جعله يدقق في فعاليّة الكلمة وما يتولد عنها من دلالات، وكيف ترتب هذه الدلالات في الوحدات النصيّة والبناء التنظيمي للنص.
- ظهر الاتساق التركيبي في النص العمري بأشكال متنوّعة تختلف من جنس نثري لآخر، ففي الخطب، مثلاً، قد يأتي تركيب ما مقدّمة لتراكيب لاحقة وسبباً لها، فإذا ورد صار ورود تراكيب أخرى شيئاً متوقعاً، وقد تأتي تراكيبُ ما بياناً أو مزيدَ بيانٍ وشرحٍ لتركيبٍ عامٍ سابقٍ عليها، أمّا في الوصايا والرسائل فيغلب أن تكون تركيباتها ملتفة حول حقيقة مقرّرة مبثوثة في ثيمة نصيّة واحدة.
- يتشاكل النصّان المنطوق والمكتوب عند عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ويتباينان؛ وتتبع علاقات التشاكل من كون كليهما تواصلاً إنسانياً وتفاعلاً اجتماعياً معبّراً عنه باللغة، وتابعاً لأنظمة تواصليّة، أمّا علاقات التباين فتفرضها ظروف الإلقاء وسياق التلقي ودرجة التواصل وسرعة التفاعل، فهو في حال النص المكتوب قادر على النظر في ما كتب دون أن يخضع لسطوة الإلقاء المباشر أو يفاجأ بتدخّل خارجي، بينما في النص المنطوق يخضع لضغط نفسي يلح عليه في الاستمرار ويحذره من الخطأ، ويجبره على النظر الفوري في تأثر الآخرين به؛ والكاتب يكون بحاجة لاستخدام استراتيجيّات لسانيّة محضة تعبّر عمّا في نفسه،

وتبلغ أقصى درجات التأثير في المتلقي، بينما يكون المتكلم مستغنياً عن ذلك بالإيماءات والإشارات المصاحبة والنبر والتنغيم، وقد كان عمر – رضي الله عنه – يراعي ذلك ويكيّف نصّه معه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المصادر والمراجع

إبراهيم، عبد الله والغانمي، سعيد وعلي، عواد، (١٩٩٠). **معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقديّة الحديثة**. (ط١)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

إبراهيم، عبد الله، (٢٠٠٠). **السرديّة العربيّة: بحث في البنية السرديّة للموروث الحكائي العربي**. (ط٢)، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.

إبراهيم، علي نجيب، (٢٠٠٢). **جماليّات اللفظة بين السياق ونظريّة النظم**. (ط١)، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر.

أبو إصبع، صالح خليل، (٢٠٠٠). **نصوص تراثيّة في ضوء علم الاتصال المعاصر**. (ط١). عمّان: دار آرام للدراسات والنشر.

جميع الحقوق محفوظة
الرسائل الجامعية

أبو دلو، أحمد، (٢٠٠٢). **تحليل الخطاب الجدلي في القرآن: دراسة في لسانيّات النص**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

أبو زيد، نصر حامد، (١٩٩٩). **إشكاليّات القراءة وآليّات التأويل**. (ط٥)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

أبو سعيد الآبي، منصور بن الحسين، (ت: ٤٢١هـ). **نثر الدر**. (ط١)، (تحقيق: محمد علي قرنة)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.

أبو صفيّة، جاسر خليل، (١٩٧٧). **الخطابة وتطوّرها في عصر الخلفاء الراشدين**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة اللبنانيّة، بيروت.

أبو غزالة، إلهام وحمد، علي خليل، (١٩٩٩). **مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظريّة روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر**. (ط٢)، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

أحمد زكي صفوت. (د.ت). **جمهرة خطب العرب في العصور العربيّة الزاهرة**. بيروت: المكتبة العلميّة.

أدونيس، علي أحمد سعيد، (١٩٨٣). **الثابت والمتحوّل: بحث في الاتباع والإبداع عند العرب (١-الأصول)**. (ط٤)، بيروت: دار العودة.

أرمينكو، فرانسواز، (١٩٨٦). **المقاربة التداوليّة**. (ترجمة: سعيد علوش)، (ط١)، بيروت: مركز الإنماء القومي.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الأوراغي، محمد، (٢٠٠١). **الوسائط اللغويّة: ١- أفول اللسانيّات الكليّة**. (ط١). الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع.

أوكان، عمر، (١٩٩١). **مدخل لدراسة النص والسلطة**. (ط١)، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت: ٣٧٠هـ). **تهذيب اللغة**. (ط). (تحقيق: عبد السلام هارون)، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والأنباء والنشر والدار المصريّة للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤.

إفيتش، ميلكا، (٢٠٠٠). **اتجاهات البحث اللساني**. (ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد)، (ط٢)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

إيرليخ، فكتور، (٢٠٠٠). **الشكلانيّة الروسيّة**. (ترجمة: الولي محمد)، (ط١)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد، (ت: ٦٥٦هـ). **شرح نهج البلاغة**، (ط٢)، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥.

ابن أبي طالب، علي، (ت: ٤٠هـ). **نهج البلاغة**، (شرحه وضبط نصوصه: محمد عبده)، مؤسّسة المعارف، بيروت، ١٩٩٦.

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم، (ت: ٦٣٧هـ). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. (ط٢). (تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة)، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ.

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت: ٦٣٠هـ). **الكامل في التاريخ**. ط١، (تحقيق: علي شيري)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٩.

ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، (ت: ٥٧٧هـ). **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دون مكان طبع، ١٩٨٢.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، (٥٩٧هـ). **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**. (ط١)، (دراسة: تحقيق وتعليق السيّد الجميلي)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ابن القيّم الجوزيّة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (٧٥١هـ). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. (ط٢)، ٤م، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجاريّة، القاهرة، ١٩٨٥.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، (ت: ٣٩٢هـ). **الخصائص**، (تحقيق: محمد علي النجار)، الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت: ٨٥٢هـ). **الإصابة في تمييز الصحابة**، (ط١). (دراسة وتحقيق: أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض). بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت: ٨٥٢هـ). **فتح الباري**. (ط٢)، المطبعة السلفيّة، ١٤٠١هـ.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، (ت: ٢٤١هـ). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (ط١)، (تحقيق: محمد أحمد عاشور)، مطابع الأهرام التجاريّة، ١٩٧٤.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت: ٨٠٨هـ). **المقدّمة**. (ط١)، (تحقيق: خليل شحادة)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

ابن ذريل، عدنان، (٢٠٠٠). **النص والأسلوبيّة بين النظريّة والتطبيق**. (ط١)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، (ت: ٤٥٦هـ). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، (ط٢)، (تحقيق: محمد قرقزان)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، (ت: ٢٣٠هـ). **الطبقات الكبرى**. (ط). بيروت: المكتبة العلميّة.

ابن عبد ربه، أبو شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت: ٣٢٧هـ). **العقد الفريد**. (ط٣). (تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ). **الإمامة والسياسة**. (علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ). **عيون الأخبار**. دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٦.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ). **تأويل مشكل القرآن**، (ط١)، (نشره وحققه وعلق على حواشيه: السيّد أحمد صقر)، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٩٥٤.

ابن كثير الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ). **البداية والنهاية**، (ط١). دار الريّان، القاهرة، ١٩٨٨.

ابن مضاء القرطبي، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي (ت: ٥٩٢هـ). **الرد على النحاة**، (ط١)، (تحقيق: شوقي ضيف)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن جلال الدين، (ت: ٧١١هـ). **لسان العرب**. (ط١)، (تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.

ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام، (ت: ٧٦١هـ). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. (ط١)، (حققه وعلق عليه: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، (ت: ٣١٣هـ). **السيرة النبويّة**، (تحقيق: مصطفى السقا)، مطبعة الحلبي، ١٩٣٦.

ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، (ت: ٣٣٥هـ). **البرهان في وجوه البيان**، (ط١). (تحقيق: حفني شرف)، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٩.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، (ت: ٦٤٣هـ). **شرح المفصّل**. القاهرة: إدارة الطباعة المنيريّة، (د.ت).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بارت، رولان، (١٩٨٨). نظريّة النص. (ترجمة: محمد خير البقاعي). **مجلة العرب والفكر العالمي**. (٣)، ص٨٧-١٠٢.

بارت، رولان، (١٩٩٢). **لذة النص**. (ترجمة: منذ عياشي)، (ط١)، حلب: مركز الإنماء الحضاري.

بارط، رولان، (١٩٨٦). **درس السيميولوجيا**. (ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي)، (ط١)، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب، (ت: ٤٠٣هـ). **إعجاز القرآن**، (تحقيق: السيّد أحمد صفر)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤.

الباهي، حسان، (٢٠٠٠). **اللغة والمنطق: بحث في المفارقات**. (ط١)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي ودار الأمان للنشر.

بحيري، سعيد حسن، (١٩٩٧). **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**. (ط١)، مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان.

بحيري، سعيد حسن، (١٩٩٩). **دراسات لغويّة تطبيقيّة في البنية والدلالة**. (ط١)، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

بحيري، سعيد حسن، (٢٠٠٠). **اتجاهات لغويّة معاصرة في تحليل النص**. **علامات في النقد**. ١٠(٣٨)، ١٣٣-٢٢٢.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بدوي، إسماعيل، (٢٠٠٠). **السياسة الشرعيّة**. (ط١)، الكويت: مكتبة المنار.

براون، ج. ب. ويول، ج.، (١٩٩٧). **تحليل الخطاب**. (ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي)، (ط١)، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود.

البركاوي، عبد الفتاح، (١٩٩١). **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث**. (ط١)، القاهرة: دار المنار.

بركة، بسام وقودير، ماتيو والأيوبي، هاشم، (٢٠٠٢). **مبادئ تحليل النصوص الأدبيّة**. (ط١)، مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان.

بصل، محمد إسماعيل، (١٩٩٤). التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق. **مجلة المعرفة**، (٣٧٠)، ٦٤-٧٩.

البقاعي، شفيق، (١٩٩٦). مفهوم النص في اللسانيات الحديثة. **الفكر العربي**، (٨٥): ١٥٨-١٧٦.

بليث، هزيش، (١٩٩٩). **البلاغة والأسلوبيّة: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص**. (ط٢)، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

بناني، محمد الصغير، (١٩٨٦). **النظريّة اللسانيّة والبلاغيّة عند الجاحظ**. (ط١)، بيروت: دار الحداثة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

البهنساوي، حسام، (٢٠٠٣). **أنظمة الربط في العربيّة: دراسة في التراكيب السطحيّة بين النحاة والنظريّة التوليديّة التحويليّة**. (ط١)، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

التجديتي، نزار، (٢٠٠١). إنتاج النص في نظريّة زيغفريد شميث. **علامات في النقد**، ١١(٤١)، ٣٧١-٤٠٢.

تحريشي، محمد، (٢٠٠٠). **أدوات النص**. (د. ط). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

التيمي، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي، (ت: ٥٣٥هـ). **الخلفاء الأربعة (أبو بكر – عمر – عثمان – علي): أيامهم وسيرهم**. (ط١)، (تحقيق: كرم أبو صيري)، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٩٩.

التوحيدي، علي بن محمد، (ت: ٤٠٠هـ). **البصائر والذخائر**، ط١، (تحقيق: إبراهيم الكيلاني)، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء، ١٩٦٤.

توفلر، آلفن، (١٩٩٢). **تحوّل السلطة**. (ترجمة: فتحي بن شتوان وعثمان نبيل)، (ط١)، ليبيا، مصراتة: الدار الجماهيريّة للنشر.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت: ٢٥٥هـ). **البيان والتبيين**. ٤م، (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار الجميل، بيروت، د.ت.

جالبريث، جون كنيث، (١٩٩٤). **تشريح السلطة**. (ترجمة: عباس حكيم)، (ط٢)، دمشق:

الجبر، خالد، (٢٠٠٢). **نظريّة التلقي عند العرب: دراسة في التراث النقدي والبلاغي**. رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنيّة، عمّان، الأردن.

جحفة، عبد المجيد، (٢٠٠٠). **مدخل إلى الدلالة الحديثة**. (ط١)، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

الجراح، عبد المهدي، (٢٠٠٢). **الخطاب وأثره في بناء نحو النص: تطبيق على المعلقات السبع**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الجرجاني، عبد القاهر، (ت: ٢٧١ أو ٢٧٤هـ). **أسرار البلاغة**. (ط١)، (قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني، جدّة، ١٩٩١.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

الجرجاني، عبد القاهر، (ت: ٢٧١ أو ٢٧٤هـ). **دلائل الإعجاز**، (ط٣)، (قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني، جدّة، ١٩٩٢.

الجرجاني، عبد القاهر، (ت: ٢٧١هـ). **العوامل المائة النحويّة في أصول علم العربيّة**. (ط١)، (تحقيق: البدراوي زهران)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

الجمحي، محمد بن سلام، (ت: ٢٣١هـ). **طبقات فحول الشعراء**، (قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني، جدّة، د.ت.

جمعة، حسين، (١٩٩٧). **البيئة الطبيعيّة في الشعر الجاهلي**. عالم الفكر، ٢٥(٣)، ٢٥٩-٢٩٤.

جمعة، خالد محمود، (٢٠٠٣). نظريّة النص: بين التنظير والإنجاز. **علامات في النقد**، ١٣(٤٩)، ٥٠٥-٥٥٨.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

جينيت، جيرار، (١٩٩٩). **مدخل إلى النص الجامع**. (ترجمة: عبد العزيز شبيل)، (ط١)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

حاتم، باسل وميسون، إيان، (١٩٩٨). **الخطاب والمترجم**. (ترجمة: عمر فايز عطاري)، (ط١)، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود.

حازم القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن، (ت: ٦٨٤هـ). **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، (تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة)، دار الكتب الشرقيّة، تونس، ١٩٦٦.

حرب، علي، (١٩٩١). **لعبة المعنى**. (ط١)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

حسان، تمام، (١٩٨٨). **الأصول: دراسة ابستمولوجيّة للفكر اللغوي عند العرب**. (ط٢)، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة.

حسان، تمام، (٢٠٠٠). **الخلاصة النحويّة**. (ط١)، القاهرة: عالم الكتب.

حسان، تمام، (د.ت). **اللغة العربيّة: مبناها ومعناها**. (ط١)، الدار البيضاء: دار الثقافة.

حسن، عباس، (١٩٧٦). **النحو الوافي**. (ط٤)، القاهرة: دار المعارف.

حسين، جميل عبد المجيد، (٢٠٠٣). **علم النص: أسسه المعرفيّة وتجلياته النقديّة**. عالم الفكر، ٣٢(٢)، ١٤١–١٧٨.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

حُمر العين، خيرة، (١٩٩٦). **جدل الحداثة في نقد الشعر العربي**. (ط١)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

حمودة، طاهر سليمان، (١٩٨٢). **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**. (ط١)، الإسكندريّة: الدار الجامعيّة للطباعة والنشر والتوزيع.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت: ٦٢٦هـ). **معجم الأدباء**، ط١، (تحقيق: أحمد فريد الرفاعي)، مكتبة عيسى البابي، القاهرة، ١٩٣٦.

حميدة، مصطفى، (١٩٩٧). **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة**. (ط١). مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان.

خريّف، محمد، (٢٠٠٢). **نحو الخطابة، نحو الكتابة الهامشي: المعنى عدمه/ الهذيان نقيضه. كتابات معاصرة.** ١٢(٤٧)، ٥٦-٥٨.

الخضري، محمد الأمين، (١٩٩٣). **من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم: الفاء وثمّ.** (ط١)، القاهرة: مكتبة وهبة.

خطابي، محمد، (١٩٩١). **لسانيّات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب.** (ط١)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

خليل، إبراهيم، (١٩٩٧). **الأسلوبيّة ونظريّة النص.** (ط١)، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

خليل، إبراهيم، (٢٠٠٢). **في النقد والنقد الألسني.** (ط١)، عمّان: منشورات أمانة عمّان الكبرى.

خمري، حسين، (٢٠٠١). **متخيّل النص وعنف القراءة. علامات في النقد،** ١١(٤١)، ٣٤٩-٣٧٠.

الخولي، أمين، (١٩٤٧). **فن القول.** (ط١)، القاهرة: دار الفكر العربي.

الخولي، أمين، (١٩٦١). **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب.** (ط١)، القاهرة: دار المعرفة.

الخولي، محمد علي، (١٩٨٢). **قواعد تحويليّة للغة العربيّة.** (ط١)، الرياض: دار المريخ.

دايك، تون أ. فان، (٢٠٠١). **علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات.** (ترجمة: سعيد حسين بحيري)، (ط١)، القاهرة: دار القاهرة للكتاب.

دايك، فان، (٢٠٠٠). **النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي.** (ترجمة: عبد القادر قنيني)، ط١، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

دريدا، جاك، (٢٠٠٠). **الكتابة والاختلاف.** (ترجمة: كاظم جهاد). (ط٢)، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨). **النص والخطاب والإجراء.** (ترجمة: تمام حسان). (ط١)، القاهرة: عالم الكتب.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

دي سوسور، فرنان، (١٩٨٥). **علم اللغة العام.** (ترجمة: يوئيل يوسف عزيز)، (ط١)، بغداد: دار آفاق عربيّة للصحافة والنشر.

ديكور وجان، أوزوالد وسشفاير، جان ماري، (٢٠٠٣). **القاموس الموسوعي لعلوم اللسان.** (ترجمة: منذر عياشي)، (ط١)، البحرين: منشورات جامعة البحرين.

رافيندران، س. ، (٢٠٠٣). **الشفرات الخمس والمعنى في قصة سارازين: دراسة (S/Z) وأبعاده.** (ترجمة: خالد حامد)، مجلة نوافذ، عدد (٢٥).

روبول، آن وموشلار، جاك، (٢٠٠٣). **التداوليّة اليوم: علم جديد في التواصل.** (ترجمة: سيف الدين ودغفوس ومحمد الشيباني)، ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

الرويلي، ميجان والبازعي، سعد، (٢٠٠٢). **دليل الناقد الأدبي**. (ط٣)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

ريكور، بول، (٢٠٠٣). **نظريّة التأويل: الخطاب وفائض المعنى**. (ترجمة: سعيد الغانمي)، (ط١). الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

الزمر، أحمد قاسم، (٢٠٠٢). معالم أسلوبيّة عند ابن الأثير من كتابه المثل السائر. **المورد**، ٣٠(٢)، ٣١-٤٢.

الزناد، الأزهر، (١٩٩٢). **دروس في البلاغة العربيّة: نحو رؤية جديدة**. (ط١)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

الزناد، الأزهر، (١٩٩٣). **نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً**. (ط١). بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

زيدان، جرجي، (ت: ١٩١٦م). **تاريخ آداب اللغة العربيّة**، (تعليق: شوقي ضيف)، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧.

الزين، محمد شوقي، (٢٠٠٢). **تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر**. (ط١)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

الساقي، فاضل، (١٩٧٧). **أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة**. (ط١)، القاهرة: مكتبة الخانجي.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

السامرائي، فاضل صالح، (٢٠٠٣). **معاني النحو**. (ط٢)، عمّان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

سبيلا، محمد، (١٩٩٢). **الأيديولوجيّة**. (ط١)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

ستيتية، سمير شريف، (٢٠٠٣). **منازل الرؤية**. (ط١)، عمّان: دار وائل للنشر.

السّد، نور الدين، (١٩٩٨). **مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع**، المؤتمر العلمي الثالث (تحليل الخطاب العربي)، جامعة فيلادلفيا، جرش، (١٠-١٢ أيار ١٩٩٧)، ٢٨٣-٣١٠.

السداني، علي خالد، (١٩٨٩). **منهج العقاد في دراسة الشخصيّات الإسلاميّة**. (ط١)، صيدا وبيروت: المكتبة العصريّة للطباعة والنشر.

سعيد، خالدة، (١٩٧٩). **حركيّة الإبداع**. (ط١). بيروت: دار العودة.

سلدن، رامان، (١٩٩٦). **النظريّة الأدبيّة المعاصرة**. (ترجمة: سعيد الغانمي)، (ط١)، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.

سويدان، سامي، (٢٠٠٠). **أبحاث في النص الروائي العربي**. (ط١)، بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.

سويدان، سامي، (٢٠٠٠). **أبحاث في النص الروائي**. (ط١)، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

جميع الحقوق محفوظة

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت: ١٦٠هـ). **الكتاب**، (ط١)، ٣م، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦.

السيّد، عز الدين علي، (١٩٨٦). **التكرير بين المثير والتأثير**. (ط٢)، بيروت: عالم الكتب.

سيرفوني، جان، (١٩٩٨). **الملفوظيّة**. (ترجمة: قاسم المقداد)، (ط١)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

سيلدن، رامان، (٢٠٠٢). **رفض البنى النصيّة**. (ترجمة: عزيز المطلبي)، مجلة نوافذ، عدد (٢٢).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين، (ت: ٩١١هـ). **تاريخ الخلفاء**. (ط١)، (حققه وقدّم له وخرّج آياته: الشيخ قاسم الشماسي الرفاعي والشيخ محمد العثماني)، دار القلم، بيروت، ١٩٨٦.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت: ٩١١هـ). **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في العربيّة**. (ط١)، (تحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم)، دار البحوث العلميّة، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٧٥.

الشاوش، محمد، (١٩٨٣). **ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة العربيّة، أشغال ندوة اللسانيّات في خدمة اللغة العربيّة**، تونس، (٢٣-٢٨ نوفمبر ١٩٨١)، ٢٣٧-٢٦٦.

الشاوش، محمد، (٢٠٠١). **أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة: تأسيس نحو النص**. (ط١)، تونس: كليّة الآداب بمنوبة، وبيروت: المؤسّسة العربيّة للتوزيع.

شبلنر، برند، (١٩٨٧). **علم اللغة والدراسات الأدبيّة: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي**. (ترجمة: محمود جاد الرب)، (ط١)، القاهرة: الدار الفنيّة للنشر والتوزيع.

شبيل، عبد العزيز، (٢٠٠١). **نظريّة الأجناس الأدبيّة في التراث النثري: جدليّة الحضور والغياب**. (ط١)، تونس وصفاقس: دار محمد علي الحامي.

الشيخ موسى، عبد الله، (١٩٩٩). **الكاتب والسلطة**. (ترجمة: بشير السباعي)، (ط١)، القاهرة: مصر العربيّة للنشر والتوزيع.

صالح، بشرى، (٢٠٠١). **نظريّة التلقي: أصول وتطبيقات**. (ط١)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

صفوت، أحمد زكي، (د.ت). **جمهرة رسائل العرب في عصور العربيّة الزاهرة**. بيروت: المكتبة العلميّة.

الصلابي، علي محمد محمد، (٢٠٠٢). **فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيّته وعصره**. (ط١)، الإسكندريّة: دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

ضيف، شوقي، (١٩٧٦). **العصر الجاهلي**. (ط٧)، مصر: دار المعارف.

ضيف، شوقي، (د.ت). **الفن ومذاهبه في النثر العربي**. (ط٨)، مصر: دار المعارف.

طاليس، أرسطو، (١٩٧٩). **الخطابة: الترجمة العربيّة القديمة**. (د.ط)، (حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي)، الكويت: وكالة المطبوعات، وبيروت: دار القلم.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ). **تاريخ الرسل والملوك**. (ط١). (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

الطعان، صبحي، (١٩٩٥). بنية النص الكبرى. **عالم الفكر**، ٢٣(١، ٢).

الطلحي، ردة الله، (١٤٢٤هـ). **دلالة السياق**. (ط١)، مكة المكرمة: منشورات جامعة أم القرى.

عاشور، محمد أحمد، (١٩٨٥). **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**. (ط١)، مصر: دار الاعتصام ودار النصر للطباعة الإسلاميّة.

عاقل، فاخر، (١٩٦٨). **اعرف نفسك**. (ط٢)، بيروت: دار العلم للملايين.

عباس، فضل حسن وعباس، سناء فضل، (٢٠٠١). **إعجاز القرآن الكريم**. (ط٢)، عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

عباس، فضل حسن، (٢٠٠٠). **البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني**. (ط٧)، عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

عبد الجليل، منقور، (٢٠٠١). **علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي**. (ط١)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

عبد الرحمن، عبد الهادي، (١٩٩٨). **سلطة النص: قراءات في توظيف النص الديني**. (ط١)، بيروت: مؤسّسة الانتشار العربي.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز الايداع

عبد الرزاق، علي، (١٩٧٨). **الإسلام وأصول الحكم: بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام.** (ط١)، بيروت: دار مكتبة الحياة.

عبد العال، محمد يونس، (١٩٩٦). **في النثر العربي: قضايا وفنون ونصوص.** (ط١)، مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان.

عبد اللطيف، محمد حماسة، (١٩٩٦). **بناء الجملة العربيّة.** (ط١)، القاهرة: دار الشروق.

عبد المجيد، جميل، (١٩٩٨). **البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النصيّة.** (ط١)، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

عبد المجيد، جميل، (١٩٩٩). **بلاغة النص: مدخل نظري ودراسة تطبيقيّة.** (ط١)، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد المطلب، محمد، (١٩٩٣). **البلاغة والأسلوبيّة.** (ط١)، مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان.

العبد، محمد، (١٩٨٩). **اللغة والإبداع الأدبي.** (ط١)، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

العبد، محمد، (١٩٩٠). **اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة: بحث في النظريّة.** (ط١)، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

عتيق، عبد العزيز، (١٩٨٥). **علم المعاني.** (ط١)، بيروت: دار النهضة العربيّة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

عزام، محمد، (٢٠٠١). **النص الغائب: تجليّات التناص في الشعر العربي.** (ط١)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

العزاوي، نعمة رحيم، (١٩٨٢). الجملة العربيّة في ضوء الدراسات اللغويّة الحديثة. **المورد،** ١٠(٣، ٤)، ١٠٩-١٢٧.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت: ٣٩٥هـ). **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر.** (ط١)، (تحقيق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢.

عصفور، جابر، (١٩٨٣). **الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.** (ط٢)، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

عكاشة، أحمد، (١٩٦٨). **علم النفس الفسيولوجي.** (ط١)، مصر: دار المعارف.

علوش، سعيد، (١٩٨٥). **معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة.** (ط١)، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

عمر، أحمد مختار، (١٤٠٢هـ). **علم الدلالة.** (ط١). الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع.

العمري، محمد، (١٩٨٦). **في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة، الخطابة في القرن الأوّل نموذجاً.** (ط١)، الدار البيضاء: دار الثقافة.

العموش، خلود، (١٩٩٨). **الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق (مثل من سورة البقرة)**. رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنيّة، عمّان، الأردن.

عوض، يوسف نور، (١٤١٠هـ). **علم النص ونظريّة الترجمة**. (ط١)، مكة المكرمة: دار الثقة للنشر والتوزيع.

عوض، يوسف نور، (١٩٩٤). **نظريّة النقد الأدبي الحديث**. (ط١)، القاهرة: دار الأمين.

العيادي، عبد العزيز، (١٩٩٤). **ميشال فوكو: المعرفة والسلطة**. (ط١)، بيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع.

عياشي، منذر، (١٩٩٠). **مقالات في الأسلوبيّة**. (ط١)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

العيد، يمنى، (١٩٨٣). **في معرفة النص**. (ط١)، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

غارمادي، جولييت، (١٩٩٠). **اللسانة الاجتماعيّة**. (عرّبه: خليل أحمد خليل)، (ط١)، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

الغانمي، سعيد، (١٩٩٣). **اللغة والخطاب الأدبي**. (ط١). بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

الغذامي، عبد الله محمد، (١٩٩١). **الخطيئة والتكفير**. (ط٢)، دون مكان نشر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

غزول؛ فريال جبوري، (١٩٨٦). **علم العلامات (السيميوطيقا): مدخل استهلالي**. في: سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد (محرران)، مدخل إلى السيميوطيقا. (ط١)، القاهرة: دار إلياس العصريّة.

غصن، أمينة، (١٩٩٩). **قراءات غير بريئة في التأويل والتلقي**. (ط١)، بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.

فراي، نورثرب، (١٩٩١). **تشريح النقد: محاولات أربع**. (ترجمة: محمد عصفور)، (ط١)، عمّان: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

فضل، صلاح، (١٩٩٦). **بلاغة الخطاب وعلم النص**. (ط١)، مصر: الشركة المصريّة العالميّة للنشر – لونجمان.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فضل، صلاح، (١٩٩٩). **شفرات النص: دراسة سيميولوجيّة في شعريّة القص والقصيد**. (ط١)، بيروت: دار الآداب.

الفقي، صبحي، (٢٠٠٠). **علم اللغة النصي بين النظريّة والتطبيق**. (ط١)، القاهرة: دار قباء للنشر.

الفهري، عبد القادر الفاسي، (١٩٩٠). **البناء الموازي: نظريّة في بناء الكلمة وبناء الجملة**. (ط١)، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

فوكو، ميشال، (١٩٨٧). **حفريّات المعرفة**. (ترجمة: سالم يفوت)، (ط٢)، الدار البيضاء وبيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع.

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت: ٨١٧هـ). **القاموس المحيط**. (ط٦)، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسّسة الرسالة)، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨.

القاضي، وداد، (٢٠٠٣). **معاجم التراجم: تنظيمها الداخلي وأهميّتها الثقافيّة**. في: جورج عطيّة (محرر)، الكتاب في العالم الإسلامي. (ط١)، (٨١-١٠٦)، الكويت: عالم المعرفة.

قريرة، توفيق، (٢٠٠٣). التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي. **عالم الفكر**، ٣٢(٢)، ١٧٩-٢٠٠.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

قلعة جي، محمد رواس، (١٩٩٧). **موسوعة فقه عمر بن الخطاب**. (ط٥)، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

القمودي، سالم، (٢٠٠٠). **سيكولوجيّة السلطة**. (ط٢)، بيروت ولندن: مؤسّسة الانتشار العربي.

كريسطيفا، جوليا، (١٩٩٧). **علم النص**. (ترجمة: فريد الزاهي)، (ط٢)، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

كولنج، ن. ي. (محرر). (٢٠٠١). **الموسوعة اللغويّة**. (ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان)، (ط١)، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود.

كيرزويل، اديث، (١٩٨٥). **عصر البنيويّة من ليفي شتراوس إلى فوكو**. (ترجمة: جابر عصفور)، (ط١)، بغداد: دار آفاق عربيّة للصحافة والنشر.

كيليطو، عبد الفتاح، (١٩٩٧). **الأدب والغرابة: دراسات بنيويّة في الأدب العربي.** (ط٣)، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

لاينز، جون، (١٩٨٧). **اللغة والمعنى والسياق.** (ترجمة: عباس صادق الوهاب)، (ط١)، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة.

لاينز، جون، (١٩٩٠). **علم الدلالة.** (ترجمة: مجيد الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر)، (ط١)، البصرة: منشورات جامعة البصرة.

لحمداني، حميد، (١٩٩٠). **النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي.** (ط١)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

لحمداني، حميد، (٢٠٠٢). **عتبات النص الأدبي: بحث نظري. علامات في النقد،** ١٢(٤٦)، ٧-٥٠.

لحمداني، حميد، (٢٠٠٣). **القراءة وتوليد الدلالة: تغيير عادتنا في قراءة النص الأدبي.** (ط١)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

لوكمان، توماس، (١٩٨٧). **علم اجتماع اللغة.** (تعريب: أبو بكر أحمد باقدار)، (ط١)، جدّة: النادي الأدبي الثقافي بجدّة.

مالطي – دوجلاس، فدوى، (١٩٨٥). **بناء النص التراثي: دراسات في الأدب والتراجم.** (ط١)، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مبارك، الحسين آيت، (٢٠٠٣). صورة المتلقي في التراث النقدي. **جذور التراث**، ٨(١٥)، ٣٥٨-٣٨٤.

المبارك، صبحي، (٢٠٠٠). **علم اللغة النصي بين النظريّة والتطبيق**. (ط١)، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت: ٢٨٥هـ). **المقتضب**، (تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٩٨٤.

المتوكل، أحمد، (٢٠٠١). **قضايا اللغة العربيّة في اللسانيّات الوظيفيّة: بنية الخطاب من الجملة إلى النص**. (ط١)، الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع.

مرتاض، عبد الملك، (١٩٩٠). **نظريّة، نص، أدب: ثلاثة مفاهيم نقديّة بين التراث والحداثة، قراءة جديدة لتراثنا النقدي**. المجلد الأوّل، النادي الأدبي الثقافي بجدة، جدّة، (١٩-١٩٨٨/١١/٢٤)، ٢٥٥-٣٠٢.

مرتاض، عبد الملك، (١٩٩٧). قراءة النص بين محدوديّة الاستعمال ولانهائيّة التأويل. **كتاب الرياض**، (٤٦، ٤٧).

المسدي، عبد السلام، (١٩٨٢). **الأسلوبيّة والأسلوب: نحو بديل ألسني في نقد الأدب**. (ط٢)، تونس وليبيا: الدار العربيّة للكتاب.

مصطفى، إبراهيم والزيات، أحمد حسن وعبد القادر، حامد والنجار، محمد علي، (د.ت). **المعجم الوسيط**. (ط١)، استانبول: المكتبة الإسلاميّة للطباعة والنشر والتوزيع.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مصلوح، سعد، (١٩٩٠). **العربيّة من نحو الجملة إلى نحو النص.** في "دراسات مهداة إلى ذكرى عبد السلام هارون"، الكويت: جامعة الكويت.

مصلوح، سعد، (١٩٩٠). **مشكل العلاقة بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّات اللسانيّة، قراءة جديدة لتراثنا النقدي،** المجلد الآخر، النادي الأدبي الثقافي بجدّة، جدّة، (١٩-١٩٨٨/١١/٢٤)، ٨١٩-٨٧٦.

مصلوح، سعد، (١٩٩١). نحو أجروميّة للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهليّة. **فصول،** ١٠(١، ٢).

مفتاح، محمد، (١٩٩٠). **ديناميّة النص: تنظير وإنجاز.** (ط٢)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مفتاح، محمد، (١٩٩٢). **تحليل الخطاب الشعري: استراتيجيّة التناص.** (ط٣)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

مفتاح، محمد، (١٩٩٦). **التشابه والاختلاف: نحو منهاجيّة شموليّة.** (ط١)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

مفتاح، محمد، (١٩٩٩). **المفاهيم معالم: نحو تأويل واقعي.** (ط١)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

مفتاح، محمد، (٢٠٠١). **التلقي والتأويل: مقاربة نسقيّة.** (ط٢)، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

الملائكة، نازك، (١٩٩٧). **قضايا الشعر المعاصر**. (ط١٠)، بيروت: دار العلم للملايين.

الملاح، ياسر، (١٩٩٣). **المقدّمة إلى علم المعنى في العربيّة: بحث في النظريّة والمنهج**. (ط١)، عمّان: دار الفرقان للنشر.

الموسى، نهاد، (١٩٧٤). **الوجهة الاجتماعيّة في منهج سيبويه في كتابه**. ٥٩-٦٧ و٧٥-٨٥.

المومني، قاسم، (١٩٩٧). **علاقة النص بصاحبه: دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعريّة**. عالم الفكر، ٢٥(٣)، ١١٣-١٢٨.

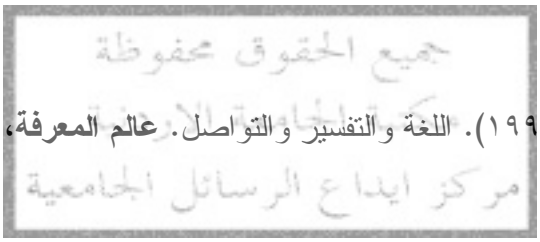
جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ناصف، مصطفى، (١٩٩٥). اللغة والتفسير والتواصل. **عالم المعرفة**، (١٩٣).

نحلة، محمود أحمد، (١٩٩٩). **التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل**. (ط١)، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

نصّار، حسين، (١٩٩٦). **نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي**. (ط٢). القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة.

نور الدين، صدوق، (١٩٨٤). **حدود النص الأدبي: دراسة في التنظير والإبداع**. (ط١)، الدار البيضاء: دار الثقافة.

نيوبرت، ألبرت وغريغوري، شريف، (٢٠٠٢). **الترجمة وعلوم النص**. (ترجمة: محيي الدين حميدي)، (ط١)، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود.

هارون، عبد السلام، (د.ت). **تهذيب سيرة ابن هشام**. (ط١)، الكويت: مؤسّسة الرسالة ودار البحوث العلميّة.

هاينه من، فولفجانج وفيهفيجر، ديتر، (١٩٩٩). **مدخل إلى علم اللغة النصي**. (ترجمة: فالح بنه شبيب العجمي)، (ط١)، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود.

الهليل، عبد الرحمن، (١٩٩٩). **التكرار في شعر الخنساء: دراسة فنيّة**. (ط١)، الرياض: دار المؤيد.

هولب، روبرت، (١٩٩٤). **نظريّة التلقي**. (ترجمة: عز الدين إسماعيل)، (ط١)، جدّة: النادي الأدبي الثقافي بجدّة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الوعر، مازن، (١٩٩٠). تقنيات الفك والربط في الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب: دراسة لسانيّة نقديّة أدبيّة. **مجلة المعرفة**، (٣٢٤، ٣٢٥)، ١٦٣-١٨١.

وهبة، مجدى والمهندس، كامل، (١٩٨٤). **معجم المصلحات العربيّة في اللغة والأدب**. (ط١)، بيروت: مكتبة لبنان.

ياكبسون، رومان، (١٩٩٤). **ست محاضرات في الصوت والمعنى**. (ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح)، (ط١)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

اليحيى، يحيى، (١٩٩٦). **الخلافة الراشدة والدولة الأمويّة من فتح الباري: جمعاً وتوثيقاً**. (ط١)، الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع.

يعقوب، إميل وبركة، بسام وشيخاني، محيي، (١٩٨٧). **قاموس المصطلحات اللغويّة والأدبيّة.** (ط١)، بيروت: دار العلم للملايين.

يقطين، سعيد، (١٩٩٧). **الكلام والخبر: مقدّمة للسرد العربي.** (ط١)، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

يقطين، سعيد، (٢٠٠٣). من النص إلى النص المترابط. **عالم الفكر**، ٣٢(٢)، ٧١-١٠٢.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

TEXT GRAMMAR, AN APPLIED STUDY OF 'UMAR B. AL-KHATTAB'S SPEECHS, LETTERS, AND COMMANDMENTS'

By
Othman H. Abu Zneid

Supervisor
Dr. Nehad Al-Mousa

Co-Supervisor
Dr. Jaser Abu Safeyyeh

ABSTRACT

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

This study looked for putting a perusal methoadology which forms abuse of describing the disparat texts and its interrelations. This study connect between the verbal, synthetic, and incorporeal, so it gets into its textual atmosphere reaching its systems, disassemble its inner levels and get to know the organization of the language within and how does its textual forms formed.

The study tried to employ Text Grammar techniques to the text and its methods of the applied study of 'Umar B. Al-Khattab-God, bless his soil, and his commandments, letters to the governers, and it used a unified therotical framework, and the entity of the 'Umar's text start to form through special models.

The study was formed through four chapters, it handles in the first chapter the concept of the text, and its definition in the light of the verbal theories. Such as, structuralism, semiotics and sociology. Then it discussed the text linguistics of the text, and looked for its strains, then looked for the entity of the text, its function and its experiments and how for it is connected with the wholesale linguistics.

After the study determined its theoretical framework, it discussed in the second chapter, a speech for ‘Umar B. Al-Khattab, and it discussed it fully, gradating from the textual units and its interaction to the connection of the Textual Grammar and the influence of the verbal components within it. It discussed the influence of anaphora, substitution, ellipsis, appositive, recurrence, difinities and indifinite in accomplishing the text, and it included the discussion of its textual cohesion and coherence in ‘Umar Bin Al-Khattab Speaches’.

The same was in the next two chapters, but in different two types of prose, commandment and letters, implaying the same steps, concluding some results including the components of the text, and the grammatical of the text, and the merites of the spoken speeches of ‘Umar B. Al-Khattab’.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية